نداء الشيطان

الكتاب: نداء الشيطان
المؤلف: أحمد أسامة
تصميم الغلاف: إسلام مجاهد
تدقيق لغوي: هدير جودة
رقم الإيداع: 2019/27404
الترقيم الدولي: 978-977-778-203-6

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

أحمد أسامة

نداء الشيطان

رواية

إهداء

لكل من أمضوا حياتهم يقولون وداعًا اِعلموا أنتم الأكثر قدرة على البقاء! لكل من يهابون الألم ويخشون الندم اِعلموا ألَّا هروب من القدر! لكل من يعتبرون الورق بمثابة ملجأ لهم من هذا العالم خذوا حذركم بعض الأوراق تسبب الجنون وبعضها يقتل!

الآن صار لدينا قصة لنرويها.

فهل أنت جاهز لنقطف الورود ونحرق الغابات ونقطع الأشجار
ونلوث ماء النهر؟

(1)

أحمد رأفت - القاهرة

تعلمت أن الحياة مجموعة من الفخاخ عليك أن تنجو منها بشكل ما كي تستمر حياتك، أفواه مفتوحة كل بضع خطوات تنتظر اِلتهامك بشغفٍ، أحيانًا تجذبك إليها فتندفع بعيدًا عنها بشكل تلقائي، وأحيانًا تفاجأ بأن إحدى قدميك فوقها مباشرة والأخرى على وشك اللحاق بها، أحيانًا يكون لديك الوقت الكافي لتنجو بنفسك، وأحيانًا يكون الوقت قد تأخر كثيراً على خطوة كهذه ليصبح السقوط أمرًا حتميًا، نجوت مرات من عدة فخاخ، وسقطت في مجموعة أخرى، خرجت منها مصابًا بألم أو عدة جروح، بعض الفخاخ قاتلة، وما كان في اِنتظاري هذه المرة أحدها، ولكن لنبدأ من البداية.

بالطبع الكل يعلم أن الصحافة هي مهنة البحث عن المتاعب أمَّا إذا كنت صحفيًا يهوى الغرائب والماورائيات مثلي فأنت تبحث عن المتاعب والمخاوف معًا، لا أحب المقدمات لذا سندخل في صلب الموضوع مباشرة.

دعونا نرجع قليلًا للوراء بالتحديد في الشهور الأولى لشتاء النصف الأول من عام 2017.

في هذا التوقيت ظهرت جريمة مدويَّة شغلت الرأي العام طويلًا، كانت القصة باختصار زوجة وُجِدت رأسها في غرفة نومها، نعم لا خطأ كما قرأتموها، رأسها فقط، أين باقي جسدها؟ هذا السؤال شغل المحققين والصحافة والمتابعين كثيراً،

بالطبع أشارت أصابع الاتهام للزوج الذي اِختفى دون عذر ودون سابق إنذار، ناهيك عن أن الغرفة ليس بها سوى بصماته، فهو المتهم الأول والوحيد كذلك، الزوج هو رجل أعمال شاب لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر، والده برلماني قديم رجل أعمال أيضًا كون إمبراطورية لا بأس بها وليس له إلَّا هذا الولد وابنة تعيش في فرنسا، سمعت بالقصة كغيري ولم أُلق لها بالًا، فإلى الآن هذه جريمة عادية نوعًا، ليس هناك أكثر من الرؤوس المفصولة عن الأجساد هذه الأيام، اِستمر عمل رجال الشرطة أيامًا دون جدوى، حتَّى عثروا على الزوج، أو تحريًا للدقة عثروا على رأسه أيضًا فقط، يبدو أنه صار عسيرًا نوعًا أن تحتفظ بجسدك هذه الأيام؟ أين جسده؟ تسألون أسئلة غريبة حقًا إننا لم نجد جسد زوجته حتَّى نتعجل بالعثور على جسده، هنا تبدأ الغرابة فبعد أن كان هو المشتبه الوحيد كفاعل للجريمة الأولى صار الفاعل لكلا الجريمتن مجهولًا، لم تتوقف الدهشة عند هذا الحد بل أن كل البصمات التي عثر عليها رجال الشرطة في الغرفة المذبوح فيها بإحدى البنايات كانت تخص زوجته، ما بالكم تفغرون أفواهكم بهذه الطريقة؟ نعم زوجته المفصول رأسها المقتولة منذ أسبوع والتي لم يعثر على جسدها بعد هي المشتبه الأول لأن كل البصمات تشير لها وحدها، أعرف هذا جنون مستفز، ولكنه ما حدث وصارت هذه القصة محور حديث كل الناس، وانتشرت علامات الاستفهام في الأرجاء تبحث عن فتى شجاع يقدم إجابات منطقية يقبلها العقل، فتبارى رجال الإعلام ومقدمو البرامج في تناول القصة ومحاولات التفسير، وظهر الدجالون والمشعوذون كضيوف دائمين في هذه البرامج لعلهم يحظوا بإجابة من عوالم أخرى، حتَّى صدر قرار بحظر نشر وتناول هذه الجريمة حتَّى ينتهي رجال المباحث من التحقيقات، هنا كان الفضول يلتهمني، فقد كنت متابعًا لكافة التفاصيل، فالأمر مثير حقًا كيف لميت أن يُتهم بجريمة قتل؟ ثمَّ أين ذهبت باقي الجثتين؟ الأمر لغز مربك بالفعل، لذا فقد قررت الاعتماد على صديقي ضابط الشرطة مراد، إنَّه ملاذي الوحيد الآن، الصداقة التي جمعتنا عبر سنوات العمر

تدفعني للاعتماد عليه دون خوف أو حساسية، فهو يعلم مقدار حبي لكل ما هو غريب وفريد بجانب أنَّه يثق في تمام الثقة بأني لن أنشر أي جديد دون أن يسمح لي بذلك ودون التأكد من أن ذلك لن يسبب له أي ضرر، ولكن الأوامر والتعليمات الصادرة كانت تضمن حقًا له هذا الأمر، ولكنها الحاجة لإرواء الفضول.

ضباط الشرطة نادرًا ما يردون على الهاتف من الأساس إلَّا لو كان المتصل رؤسائهم في العمل، لذلك قررت زيارته في مقر عمله وعقد جلسة دردشة معه، حتمًا سيكون لديه جديد بعد قرار حظر النشر الصادر منذ أكثر من أسبوع، حين وصلت إلى مكتبه لم يكن موجودًا فقررت التجول قليلًا بدلًا من الانتظار، أمشي وحيدًا أتفرس الوجوه، وراء كل وجه حكاية مختلفة عن الآخر، كثيرون يبدو عليهم القلق، وآخرون يسيرون على غير هدى بخطوات بطيئة وكأنهم لن يصلوا إلى وجهة محددة، لقد علمتني الكتابة، أن كل شخص لديه قصته وبها من الغرابة ما يكفي لإثارة دهشتك، جميعنا يمر بأحداث عجيبة وتدابير غريبة حتمًا ليست من صنع بشر، مر الوقت وتوسطت الشمس السماء ولكنها كانت كأم حانية ترسل دفئها ومحبتها إلى أطفال، إننا نتحدث عن شمس فبراير تلك التي تبحث عنها وتشتاق إليها، اِتجهت إلى أحد المطاعم وابتعت شطيرة محشوة باللحم المفروم، لسوء الحظ كان نيئًا ودون طعم، جلست على أحد المقاهي لاحتسي كوبًا من الشاي لعله يصلح ما أفسدته تلك الشطيرة، وأثناء جلوسي عاد عقلي للتفكير بشأن تلك الجريمة، كيف تفعلها الزوجة وهي منزوعة الرأس؟ دعك من السؤال التقليدي لماذا هم زوجها بقطع رأسها خاصة وأنهما ميسورى الحال؟ هل شك في سلوكها؟ هل قرر القضاء على كل سخافات زوجته بطريقة جذرية ولكنها عنيفة أكثر من اللازم؟ ثمَّ لماذا اِفترض أنا أنه قتلها إذا كان هو أيضًا مقتولًا بيديها، عقلي سيجن من فرط الاحتمالات الغير معقولة، أثق أن مراد لن يبخل عليّ بالإجابات، قررت العودة من جديد لمقر عمله، وقبل أن نلتقيه دَعُونِي أصفه لكم، مراد له قامة رجل شرطة وهيئة رجل شرطة وصوت رجل شرطة وأسلوب رجل شرطة، ماذا هذا عام

أكثر من اللازم؟ مراد له قوام رياضي لم يتأثر بزواج أو تقدم العمر، طوله يتجاز ال 180 سم، لذا هو أقرب للطول، له وجه مريح ذو بشرة بيضاء تحولت بمرور الزمن للأحمر قليلًا من فرط التعرض للشمس، كأي ضابط شرطة نظراته متشككة متفحصة، شعره أسود ناعم ولكنه يصر على تقصيره أولًا بأول وكأنه لا يحمل له أي ود، أمَّا صوته فصوت قوي جهوري أظنه يبذل جهدًا إذا همس وجهدًا أقل كي لا يبدو حديثه العادي مشاجرة، أخبروني بوصوله المكتب فطلبت لقاءه، فانصرف الجندي ليبلغ مراد بحضوري، ثمَّ عاد بعد دقيقة ليرافقني إلى مكتبه:

- أهلًا مراد كيف حالك؟ كل هذه الأيام دون أن تسأل على أخيك أحمد؟

- كيف حالك يا أحمد؟ لا تؤاخذني، إنَّه العمل فقط كما تعلم يستنزف كل وقتي كان رده باردًا هادئًا ليس حميميًّا كما اِعتدت منه.

- كان الله في عونك يا صديقي أعلم أن المهام تزداد يومًا بعد يوم والجرائم تصبح أكثر غرابة وكأن هناك جامعة تفرز حفنة منتقاة من الأوغاد الذين لا سبيل لهم سوى اِرتكاب جرائم محيرة تثير جنون رجال الشرطة والصحافة على حد سواء

جاءني رده على هيئة نصف اِبتسامة مترددة عصية الخروج فبدت بهذا الاصفرار، ليست المشكلة في الابتسامة ولكن المشكلة تتلخص في حضوري الذي يبدو أنه جاء في وقت غير مناسب تمامًا، مراد لا يبدو مهمومًا واجمًا هكذا إلَّا لو كان الأمر جلل، حاولت استدراجه:

- ماذا بك يا صديقي؟

- لا شيء يا أحمد، إنه العمل فقط.

- لا بد أنها جريمة الرؤوس المقطوعة أليس كذلك؟

- أي جريمة تقصد؟

- وهل هناك غيرها تلك التي تم حظر النشر أو الحديث عنها في وسائل الإعلام

هنا رماني بنظرة اِخترقت مسام جلدي، رغم أن مراد صديقى لكن عليا الاعتراف بأن له نظرة قاتلة تصيبك بالارتباك، أظنه لا يجد صعوبة معها في اِنتزاع الاعترافات من المجرمين بسهولة دون عناء يذكر، نظراته ما زالت مسلطة عليّ وكأنه لسبب لا أعرفه راودته الشكوك بشأني أنا فجأة، كأنما هناك وحي هبط عليه فجأة ليخبره بأني أنا الفاعل، حين طالت نظراته أكثر من اللازم هممت بأن أقسم له بأني لستُ من فعلها قبل أن يفتح فمه ويجيب على سؤال نسيت أني قد طرحته من قبل.

- لا ليست هذه القضية، إنها قضية أخرى أكثر تعقيدًا من هذه.

- قضية أخرى؟ وأكثر تعقيدًا؟ هل هذا يعني أنكم حللتم لغز هذه القضية الأولى؟

- لا أدري لأني لست أنا من يتولى التحقيق فيها.

- ولكنك على الأقل يمكنك معرفة إلام وصلت التحقيقات في هذه القضية، ألا ينتابك الفضول يا مراد لمعرفة من فعلها؟ البلد كلها تتحدث عنها.

- حقيقة ليس لدي فضول، ليس هذا أغرب ما واجهته في عملي، كما أني مشغول في قضية أخرى كما أخبرتك.

- - أي قضية يا مراد؟

- قضية أكثر غرابة من تلك التي تثير فضولك، ولحسن الحظ أن الصحافة لم تأخذ علمًا بها؛ لأنها ستثير ضجة أكبر من قضية الرؤوس المفصولة تلك.

يبدو أن ثلثي وزني أو نصفه على الأقل فضول ليس إلَّا، كنت سأجن لأعرف ماهية هذه القضية وعلى اِستعداد لأقبل يده إذا أراد لأطلع على تفاصيها، حين لمح لمعان عيني أدرك ما وصلت إليه حالتي فقال على الفور:

- لمصلحتك يا أحمد اِبتعد عن هذا الأمر، إنها قضية خطيرة فعلا والأفضل لك الابتعاد، كما أني لا يمكن الحديث عنها للصحافة، الأوامر هكذا.

- مراد، أنت تعلم بأني لن لن أنشر كلمة واحدة لو أردت ذلك ولكن لا تثر جنوني ثمَّ تتركني هكذا.

- جنونك؟ أنا لم أقل شيئًا بعد.

- هناك قضية غريبة أعجب من قضية الزوج وزوجته هذا ما قلته أنت لا أنا

- حقًا، اِبتسم ثمَّ أضاف... لم أقصد إثارة فضولك ولكنك أنت من سألت ودعني أخبرك أمرًا، أعلم سعيك وراء كل ما هو غريب، أو لا أدري ربما سعي كل ما هو غريب وراءك وكأنك تجذبه إليك بشكلٍ ما، ولكن صدقني إنَّها ليست غريبة فقط بل الأمر ينطوي على كثير من الخطورة.

- لهذه الدرجة؟ أخبرني ودعني أحكم بنفسي إلى أي درجة من الخطورة تنتمي هذه القضية؟

- إلى الدرجة التي تجعلني أنا خائفًا يا أحمد؟ هل يكفي هذا الاعتراف؟ هذه القضية سبقني للتحقيق فيها الرائد عصمت، تعرفه أليس كذلك؟

فأومأت رأسي بالإيجاب.

- الرائد عصمت اِختفى بعد أن تولى زمامها بأيام، فقلت مذهولًا:

- ماذا تعني؟ أُختُطِف؟

- حقًا لا أعلم وكما تعرف هناك فرق بين اِختفى واختطف، لستُ متيقنًا من مسألة الخطف هذه لأنه ليس لدي مشتبه به، لذلك فأنا أعني حقًا لفظة اِختفى، ولا أحد يعلم بهذه المسألة في هذا المبنى إلَّا عدد محدود من الأفراد، أنا أحدهم لأني من تولى القضية بعده، جميع العاملين هنا يعلمون أنَّه غائب لحصولة على إجازة بِناء على طلبه لا نريد زعزعة الروح المعنوية للضباط، ليس هذا ما ينقصنا، كما أن الصحافة لو عرفت ستزيد الطين بلة وتجعل أقدامنا تغوص أكثر في الوحل، أضف إلى ذلك أنه ليس المختفي الأول في القضية وليس لديّ ما يؤكد بأنه سيكون

الأخير، وبالتالي يا أحمد، فأنا مُعرض لهذا الأمر، قد اِختفى ولن تفعل الوزارة سوى إخفاء الأمر وتكليف آخر بالتحقيق في قضية تفاصيلها لا تصدق.

- ما الأمر يا مراد؟ أخبرني من فضلك، أنت تعرف أني لن أتفوه أو أكتب حرفًا من الممكن أن يؤذيك.

أرى تردده فحاولت تخفيف حدة الأمر:

- أخبرني حتَّى أعلم سر اختفائك لو حدث، لن أقبل بكلامهم بوجودك في إجازة

اِبتسم اِبتسامة حقيقية هذه المرة.

- منذ قليل فكرت لماذا لا أستعين بك في هذه القضية، فهي من النوع المفضل لديك غريبة وبلا تفسير وأشعر بأن هناك ما هو أبعد من ذلك، ربما قد تكون واجهت مثلها طوال حياتك وتتمكن من تفسير بعض الأمور لي قد تعينني في التحقيق، ولكني خفت عليك، لن أسامح نفسي لو حدث لك مكروهًا بسبب هذه القضية.

- للمرة الألف دعني أنا أحكم يا مراد، لسُت قاصرًا ويمكنني أن أقرر بنفسي، كما أني بالفعل قد يمكنني مساعدتك.

ضم شفتيه وضاقت عينيه وكأنه على وشك اِتخاذ قرار خطير جدًا ثمَّ نطق:

- حسنًا لن أخبرك بكل ما لدي الآن ولكن خُذ هذه الأوراق ستكشف لك ما نحن بصدده كخطوة أولى، أقرأها بعناية، لو هناك خبرة مشابهة مررت بها أخبرني على الفور، لو أثارت هذه الأوراق أية ذكرى، أية فكرة لا تتردد بإبلاغي، أحمد! هناك عدة أشخاص مختفون بسبب هذه القضية، أحدهم ضابط شرطة، هل تعي خطورة ذلك؟ بالطبع لا تحتاج إلى توصية بحتمية سرية الأمر.

أعطاني مجموعة من الأوراق، أمسكتها بكلتا يَديّ وكأنهما كنز هبط عليّ من السماء، ترى أي لغز تحويه هذه الأوراق، التي تجعل من مراد خائفًا هكذا. هذا ما سأعرفه بعد قليل.

اِتجهت إلى المنزل على الفور ومعي غنيمتي، لقد ذهبت للسؤال عن قضية محيرة وعدت ومعي ملف أوراق لقضية خطيرة، أثناء الطريق تلقيت عدة مكالمات من الجريدة يطالبوني بإرسال مقال العدد القادم، لقد تأخرت قليلًا في إرساله، اِنتهيت من معظمه بالأمس فلا يتبقى سوى وضع النهاية له مع مراجعة سريعة.

لم يتبق إلَّا هذه الأوراق تنتظرني على مكتبي لتطلعني على ما في جعبتها، جمعتها بيديّ واتجهت بها إلى سريري، المكان الأكثر راحة في هذا العالم لكل شخص منا هو فراشه، الآن سأتواري جانبًا لكي أنقل لكم كل ما بداخل الأوراق كما كتبها صاحبها.

"لماذا حين يبني شخص جدارًا، يصبح لجاره الفضول أن يعرف ماذا يوجد على الجهة المقابلة؟".

جورج مارتن

"لعبة العروش".

(2)

"ماذا بك؟" كانت هي البداية، أكثر سؤال ندمت عليه، لم أكن أعلم وقتها كيف سيبدل هذا السؤال حالي، كيف سيحيل حياتي جحيمًا، سؤال طالما طرحته على زملائي أقاربي، أصدقائي، حتَّى حانت المرة الأخيرة لطرح السؤال، بالطبع لن أطرحه ثانية أبدًا ولو تلوى من أمامي ألمًا، ولو تقلب في التراب، ولو تقطع لمائة جزء وإن رجاني آناء الليل وأطراف النهار، سأنسى هاتين الكلمتين للأبد، إن كان القليل المتبقى في عمري يسمى (أبد) تجاوزًا.

شاردًا كان ممدوح على غير عادته، رفيقي فى المكتب وزميلي، حسن المعشر لطيف مرح، كانت العلاقة بيننا لا تتجاوز حدود الزمالة، علاقة طيبة بين شخصين يقضيان معًا أغلب ساعات النهار، لكنها لم تتطور أبدًا لمرحلة الصداقة، حتَّى جاء ذلك اليوم، لم يكن طبيعيًّا بالمرة، لذا جاء سؤالي منطقيًا "ماذا بك؟" لكنه اِكتفى بالنظر لي دون إجابة حتَّى كررت سؤالي، حينها بدأ بالكلام ناظرًا للفراغ وكأنه يحادث نفسه.

"لي جار في نفس البناية التي أسكن بها" ثمَّ توقف وكأنه ندم على الحديث فقلت بحماس "ما له جارك هذا؟" عاد يرمقني من جديد، أكاد أرى تردده على صفحة وجهه الآن وحيرته بين أن يحكي وبين أن يتوقف أو حتَّى يهون من الأمر أو يتظاهر بعدم جدوى الحديث، لكن ما أنا واثق منه إنه كان بحاجة ملحة للحديث ولم يكن أمامه سواي، اِتخذ قراره واندفع في الحديث دون النظر إليّ ودون أي اِحتمال لإيقافه، ودون أدنى رغبة مني بأن يتوقف فما رواه كان مثيراً بحق.

”جاري أيمن اِختفى منذ أكثر من أسبوع، ولم يترك ورائه أي أثر، يوم يومان وزوجته في اِنتظار ظهوره دون جدوى حتَّى عصف القلق بها، فلم تجد بدًا من إبلاغ الشرطة، وبدأت تحقيقاتهم وأسئلتهم التي لا تنتهي، لكل معارفه، أقاربه، جيرانه، وبالطبع أنا واحد منهم، كانت علاقتي به سطحية جدًا لا تتجاوز التحية وإلقاء السلام في كل مرة ألتقيه في المصعد أو في مدخل البناية، بالطبع لم يكن لديّ أدنى معرفة حقيقية به أو أدنى علم بسر اِختفائه، كما لم يكن لديّ أي فضول لمعرفة آخر نتائج التحقيقات، من حق الناس أن يتخفوا لبعض الوقت، أؤمن بهذا جدًا، الالتزامات التي تتيح للجميع معرفة مكان تواجدك واتجاهاتك ومقاصدك وأوقات تحركاتك هي قيود تكبل القليل الباقي من حرية نتمتع بها، لذا لم أجد أي غضاضة في اِختفاء الرجل، على عكس زوجتي التي كان الفضول يحاصرها لمعرفة سبب اِختفاؤه، ونسجت من وراء غيابه قصصًا وأساطيرًا تصلح لصنع مُجلد من العجائب المشوب بسوء الظن.

يمكن القول بأن علاقتها بزوجته كانت أقوى من علاقتي به بمراحل وهو ما يمكن تفهمه في عالم النساء، لذا كانت دائمة السؤال عليها لمواساتها والتخفيف عنها وطرح الأفكار التي تدور في رأس كل منهما بشأن اِختفاءه والتي يمكن التخمين أنها كانت متشابهة بشكل كبير، لم أعترض على ذلك بل وتفهمت الموقف تمامًا، ومع طول مدة الغياب صارت لدي شكوكي أنا أيضًا وتخميناتي، لم يعد الموضوع رجلًا يسعى للتخفي بعض الوقت للهرب قليلًا من عبء وضغوطات الحياة، صار هذا الموضوع محورًا أساسيًا وشريكًا حاضرًا في أي نقاش بينى وبين زوجتي فى الأيام الماضية، تروي لي تفصيلًا ما تخبرها به زوجته، كانت الأمور طبيعية حتَّى قبل أسبوع من اِختفائه، مجرد رجل يعيش حياة ساكنة مستقرة مع زوجته، ولكنه على غير العادة ودون مقدمات، بدأ ينزوي فى غرفته، أخبر زوجته بأن لديه فيلمًا عجيبًا ينتمي لأفلام الرعب، عرض على زوجته مرارًا أن تشاركه المشاهدة، لكنها كانت ترفض بوضوح، فلم تكنْ أبدًا من هواة مشاهدة تلك الأفلام، كانت تتهمه

هو ومشاهديها بأن لديهم ميول سادية مازوخية للتلذذ بتعذيب الذات بالبقاء ساعات تحت وطأة ضغط وتوتر هذه الأفلام، وهو ما لا ألومها عليه قط أمًّا هو فلم يتوقف يومًا عن تكرار مشاهدة نفس الفيلم طوال عدة أيام، بالطبع أي فيلم مهما بدا بديعًا فلن تشاهده أكثر من مرتان أو ثلاثة على الأكثر خاصة وأن الفاصل الزمني بين المرة والأخرى لا يتجاوز 24 ساعة، بالطبع معلومة كهذه لم يكترث لها كثيراً رجال الشرطة ولا ألومهم، دائرة بحثهم تتلخص في أعداء محتملين أو معارف لديهم دافع للقتل، وضع تحت كلمة دافع ألف خط، قبل توجيه الاتهام لأي فرد لا بد من وجود دافع وهو في حالتنا هذه يصر على الاختفاء تمامًا كجاري هذا، فهو بحسب أقوال زوجته فإن كلا النوعين غير موجودين، فلا لديه أعداء ولا من مصلحة أحد قتله.

عند هذا الحد توقف ممدوح عن الكلام شاردًا لثوانٍ حتَّى بدا وكأنه نسى محادثتي تمامًا ولعله نسى وجودي أيضًا، فابتسمت بينما صوتي يعلو في محاولة لاستعادة تركيزه موضحًا "على الأرجح حل اللغز عند زوجته، الحقيقة كاملة لديها، هذا ما ستكشفه التحقيقات قريبًا" كنت أتحدث بثقة لا أدري مصدرها كمن هو على دراية بمثل هذه الأمور ولكنه لم يكنْ أكثر من مجرد حدس قد يصدق وقد يخيب، وبمجرد أن أنهيت جملتي فلن أنسى أبدًا تلك النظرة التي رمقني بها نظرة اِستخفاف وسخرية لاذعة لا تصفها كلمات، ولكنه لخص كل سخريته وردوده في جملة واحدة لم ألقِ لها بالًا "لقد حصلت بالأمس على قرص مدمج للفيلم عبر زوجتي".

حديثه يرمى لربط اِختفاء الرجل بالفيلم وهو ما بدا لي غير منطقيًا تمامًا، الناس تختفي لأسباب كثيرة ليس من بينها مشاهدة أفلام الرعب. لو اِختفى كل مشاهدي أفلام الرعب لن نجد من ينتج ويصنع تلك الأفلام من الأساس، ودون مزيد من التفسير ودون طرح مزيد من الأسئلة من ناحيتي هكذا اِنتهى الحديث بيننا.

لاحقًا لم أعر الموضوع مزيدًا من الاهتمام ولو حتّى من باب الفضول، اِنشغلت بمجريات الحياة وظننته كذلك هو الآخر، وبيني وبين نفسي لم أجد غرابة في ذلك لطالما حدث ذلك من قبل ولطالما سيحدث معه ومع آخرين، ودارت رحى الحياة تطحن ما ندخره من جهود وتستأثر بما تبقى لدينا من اِهتمام، في الأيام التالية لحديثنا السابق ندر الكلام بيننا طوال تلك الساعات، فلم يكنْ يقضي أغلب الوقت على مكتبه، وفي الوقت القليل المتبقى كان الصمت رفيقنا وثالثنا ولكن شعورًا يسيطر عليّ بأنه دائم النظر لي دون أن يسمح لعينانا أن تلتقيا، فما إن أوجه نظري له يدير نظره في خفة ليبدو شاردًا. لماذا يحدق في هكذا؟ هل هو يحدق فيّ فعلًا؟ ليس لديّ فكرة، ولكن تكرار الأمر أزعجني قليلًا.

اِنقضى الأسبوع وجاء يومي الراحة لتنضم أحداث أسبوع كامل من العمل لسلة مهملات الذاكرة، ومع بداية أسبوع جديد عدت لمكتبي الذي خلا من صديقي ليومين متتاليين، بالطبع من حق المرء الحصول على إجازة متى شاء وبالتالي لم أكنْ مندهشًا من تغيبه عن العمل لليوم الثالث والرابع إلّا حين علمت من زميل مشترك في العمل بأنه لم يطلب إجازة وأنه متغيب عن العمل دون إذن مسبق، كما أنَّه لا يرد على هاتفه الذي بات مغلقًا أو خارج نطاق الخدمة كما تعلن الرسالة الصوتية المسجلة، حينها قفزت إلى ذاكرتي أخر محادثة حقيقة دارت بيننا، المرحلة التي تلت حديثنا السابق إن كانت عادية بالنسبة لي فيبدو إنها لم تكنْ كذلك له، بدأ القلق يساورني ويتحسس موضعه في صدري قبل أن يحتله كاملًا عقب زيارة سريعة قمت بها لمنزله عبر عنوانه المسجل لدينا في العمل، كانت زيارة أولى له ولكنها ضرورية لوأد هذا القلق. فأن يخبرك زميلك باختفاء جاره الذي يصر على مشاهدة فيلم واحد عشرات المرات، ثمَّ يتبع ذلك اِختفاء زميلك نفسه الذي حصل على نفس الفيلم لهو بحق أمر يبعث على القلق، فضلًا عن أن صاحب الفيلم الأول تبخر كذلك. وقانون المصادفة يصعب التعويل عليه في حالة كتلك أو هذا ما ظننته.

قابلت زوجته وطفله ذا الثلاث سنوات، زوجة ودودة هادئة لكنها حزينة خائفة وطفل وديع كملاك يشبه أباه كثيراً لتخبرني بما لم أجرؤ على توقعه، لقد اِختفى زوجها منذ بداية الأسبوع، متغيب عن منزله وكل أقاربه لا يدرون شيئًا عن مكان تواجده، تظن أنها تعيش في مزحة سخيفة من تأليفه ليختبر حبها له إثر شِجار نشب بينهما لإصراره على البقاء وحيدًا في غرفة مكتبه طوال ساعات مكوثه في المنزل، اِنتهى صراعهما ببقاءه في غرفته مغلقًا بابها من الداخل، أمَّا هي فبقت بجانب طفلها في غرفة نومها حتَّى الصباح الذي حل ولم يكن ممدوح بالمنزل فخمنت ذهابه للعمل وحين لم يعد مساءً، شكت بأنه ما زال غاضبًا عقب مشاجرة الأمس، اِستمر الحال هكذا حتَّى اِتصلت اليوم بالعمل ليخبرها بغيابه أربعة أيام متواصلة، حسدتها على صبرها وطول بالها، هل فعل ذلك من قبل وغاب عن المنزل هكذا لأيام متواصلة؟ فجاءت إجابتها أن نعم وعاد من تلقاء نفسه من جديد وكأن شيئًا لم يكنْ ولكنه حينها لم يتغيب عن العمل.

إذن هي تظن بأنه قادم حين يهدأ، اِعترفت لي أنها تلوم نفسها على ذلك الشجار الذي لم يكن له هناك داعيًا قويًّا سوى رغبتها بألا ينعزل عنها وعن طفلهما داخل المنزل، لا شك يساورها في خطر ناتج عن غيابه بينما أنا لديّ من الشكوك ما يجعل صدري لا يتسع لها، فلم أجد بدًا من ضرورة سؤالها عن جارها الذي اِختفى هو الآخر من قبل "هل عاد؟" "لا، لم يعد وما زال البحث جاريًا عنه".

اِندهشت هي لعلمي بهذا الأمر وسرحت قليلًا فأخبرتها بأن ممدوح هو من أخبرني بشأنه، وبدا لي الأمر غريبًا بأنها لم تحاول الربط بين كلا الأمرين، قبل أن أغادر طلبت منها أن ألقي نظرة على غرفة مكتبه، تعجبت لطلبي ولكنها أذعنت له، دلفت إلى الغرفة، بها مكتب يقبع على سطحه جهاز كمبيوتر وخلفه مقعد مريح وفي الجوار أنتريه صغير مع عدد من المقاعد، طالت نظرات صامتة بيننا أشعرتني بالارتباك قطعتها بسؤالها "ماذا تريد أن تشرب؟ هل لك بكوب من الشاي؟" فأجبتُ على الفور "أكون شاكرًا جدًا" ذهبت لتعد الشاي، وهرولت

أنا لجهاز الكمبيوتر لأنفذ ما نويته في حالة عدم ظهور ممدوح، ضغطت على زر التشغيل ليفرغ الجهاز محتوياته أمامي، قمت بجولة سريعة على الجهاز ثمَّ ذهبت إلى حيث موضع الأسطوانة ونسخت ما به على فلاش ميموري خاص بي، وما إن اِنتهت عملية النقل، دقات قلبي تعلو ولا أدري كيف واتتني الشجاعة بالإقدام على كل هذا، ثمَّ أطفئت الجهاز قبل أن تعود الزوجة إليّ حاملة كوب من الشاى على صينية فضية اللون، تناولت الكوب ثمَّ رشفت منه على عجالة وقبل أن أهم بالرحيل أعطيتها رقم هاتفي وطلبت منها أن تخبرني متى جد جديد أو إن اِحتاجت لأي أمر، صحيح أني لم أرتح لها كثيرًا، صحيح أن اِنطباعي الأول تلاشى تمامًا في نهاية اللقاء، صحيح أني أظنها كاذبة في بعض الأمور، صحيح أن حالها لا يعبر أبدًا عن زوجة اِختفى زوجها منذ أيام، لكن الواجب واجب.

وهكذا عدت إلى منزلي أنا وشكوكي والفيلم، بدأت نفسي تحدثني هذا رجل متزوج له بيت وأسرة وطفل وشاهد الفيلم وقد اِختفى، ماذا سيحدث لي وأنا أعيش وحدي بلا زوجة أو طفل أو أنيس، تُرى هل تسرعت بقراري هذا؟ لا أحمل ضغينة ما تجاه أفلام الرعب أعلم أن هناك الجيد منها وهناك الرديء، كل حسب ذائقته وميوله، ولكن السيرة التي يحملها هذا الفيلم والذي لا أدري بالمناسبة اِسمه لا تجعلني متحمسًا للمشاهدة كما كان الحال قبل اِصطحابه معي، اِنتحيت غرفة من الغرف مصطحبًا معي حاسوبي، ثمَّ بدأت تشغيل الفيلم، الآن سأكشف لغز هذا الفيلم الذي يختفي كل من يشاهده، وربما تكون مجرد صدفة كما أتمنى وإذا كانت ذلك فستثبت مدى حماقتي بعد أن قدمت لنفسي دليلًا دامغًا لذلك.

إعلانات معتادة بدأ بها الفيلم عن أفلام ستُعرض قريبًا، اِستمر ذلك لدقائق ثمَّ تلا ذلك ظهور عبارة بخط عريض:

(ينصح بعدم المشاهدة لمن هم أقل من 16 عامًا)

تحذيرًا تجاريًا جدًا بهدف جذب فئة الأقل من 16 عامًا تحديدًا، فالممنوع

مرغوب دائمًا، وكذلك لإعطاء دفعة معنوية لمن تجاوز هذه الفئة العمرية فإن راق له الفيلم فلسان حال الشركة المنتجة "ألم نقل لك بأننا لا نمزح هنا؟" وإن لم يرق له فلسان حالها "أنت فقط ناضج كفاية لتبتلع وتتحمل بشاعة ما عرضنا عليك؟".

بدأت أشعر بسخافة ما أفعل، لابد وأن ممدوح ومن قبله أيمن مختفيان لأسباب أخرى تمامًا لا علاقة لها بهذا الفيلم.

مازلت بانتظار ما يحتويه هذا الفيلم، العبارة التي ذكرتها تحتل وسط الشاشة بثبات، لقد مر 5 دقائق ولا جديد ثمَّ 10 دقائق، تقدمت بشريط التحكم في الوقت ربع ساعة ، ثلث ساعة، نصف ساعة، يا للمزحة! ليس هناك أسوأ من مشاهدة فيلم بلا مضمون حرفيًّا، ليس هناك فيلم أصلًا.

ضحكت بمرارة وأنا ألعن غبائي الذي أوصلني إلى ما أنا فيه، كدتُ أبكي لفرط حماقتي، ثمَّ بدا وكأن الفيلم يعلم ما أشعر به، فامحت العبارة التحذيرية بشكل مفاجئ لتظهر إثرها عبارة أخرى تكفلت بإلقائي فى بئر من الغموض.

(الحمقى وحدهم هم من يحملون هذا القدر من الغباء لمتابعة اللاشيء كل هذا الوقت، لذا فهم يستحقون ما هم مقبلون عليه) ما معنى هذا وأي إهانة يقصدها صانعو هذا الفيلم، كمدت غيظي "هل سيبدأ الفيلم حقًا بعد كل هذا؟" ثمَّ جاءت اللقطة التالية لتجيب عن سؤالي.

بدأت الإضاءة تغمر الشاشة لتفصح عن حجرة مكتب أنيقة وأسطوانة مدمجة مستقرة على سطح المكتب ثمَّ يد ذكورية تقترب منها، تلتقطها لتضعها بحاسوب شخصي، ثمَّ يتحرك الرجل مارًا بدولاب يتكون من ضلفتين حاملًا حاسوبه حتَّى يصل إلى أريكة عريضة يجلس عليها واضعًا الحاسوب على فخذيه بانتظار ما سيعرض على الشاشة.

حسنًا الشخصية الأولى في الفيلم تتهيأ لمشاهدة فيلم ما، تقترب الكاميرا من الشاشة حتَّى تخترقها لندلف إلى الأحداث التي يشاهدها الشخصية الأولى، نفس

المشهد تقريبًا مع اختلاف الديكور، رجل وحيد غير واضح الملامح يجهز نفسه لمشاهدة فيلم، إعلانات وعبارة تحذيرية تستغرق وقتًا طويلًا في العرض، إنه يتبع نفس الخطوات، تقترب الكاميرا من الشاشة، تدريجيًّا تعاود نفس الأحداث التكرار من جديد، شخص ما يعد نفسه لمشاهدة فيلم تبًا لهذه الدائرة المفرغة، ما هذا العته؟! قلتها لنفسي ثمَّ أوقفت الفيلم الذي أتابعه.

نهضت باتجاه المطبخ لأعد كوبًا من الشاي يعينني على هذا الملل، لا أرى أي سبب واضح يجعل من هذه الأسطوانة مصدر خطورة قد يتسبب في اِختفاء أي مشاهد لما تتضمنه من هراء، وأثناء تحضيري للشاى فكرت، إن كل من ظهروا بالفيلم كانوا بصدد ما كنت أنا نفسي أقوم به، التجهيز والجلوس لمشاهدة فيلم، وأنا بصدد مشاهدة فيلم رعب، فهل هم كذلك؟ هل هذا له معنى ما؟ هل هي الصدفة وحدها؟ لا أظن، الأمر يثير فضولي بقدرٍ ما يستفزني، ما هي نهاية هذه الدائرة المفرغة؟ عدت لحاسوبي بصحبة قدح الشاى، التعب يسيطر عليّ، لماذا لا أؤجل مشاهدته للغد؟ لعل زميلي يعود وينهي وساوسي.

وجدتنى أميل لإنهاء هذا الجدل الدائر في رأسي بعد أن هجم عليّ صداع مفاجئ أنهى أي رغبة لمشاهدة المزيد، أغلقت الحاسوب واتجهت للفراش وأنا أشعر بأني اِتخذت القرار الصحيح بعدم التمادي أكثر مع هذه الأسطوانة على الأقل لهذه الليلة، في الصباح ألقيت النظرة على الحاسوب وبداخلي أمل بعودة زميلي كي لا أضطر لمشاهدة هذا الفيلم، إذا تجاوزنا وأسميناه فيلمًا.

عدت من العمل، لا جديد، ممدوح مازال غائبًا، أبدلت ملابسي بسرعة، كان قراري هو متابعة هذا الفيلم الغريب حتَّى النهاية لعلي أفهم.

وصلت إلى نفس النقطة التى توقفت عندها، لم تعد الصورة واضحة كما بدأت، كلما دخلنا إلى شاشة داخل شاشة باتت الملامح والمعالم أقل وضوحًا ولكنها مفهومة، لا أدري لماذا أظن بأن الشخصية الخامسة مألوفة لديّ، أشعر بأني أعرفه،

أه لو تقترب الكاميرا من وجهه قليلًا، حتَّى ملابسه السروال الأسود والتيشيرت الأبيض ، أقسم أني رأيته من قبل، ولكن حين سرت رعشة قويَّة في جسدى فهمت "إنه أنا" نفس ملابسي، نفس هيأتي، صحيح أن وجهي غير واضح لكني لن أتوه عن نفسي، وعن منزلي، أنا أشاهدنى بداخل الفيلم، أي جنون هذا؟ متى تمَّ تصويري؟ أين وضعت الكاميرا؟ كيف لم أنتبه لذلك؟ أسئلة كادت تخنقني، دقات قلبي تتعالى بمزيج من الغضب والخوف، أغلقت الحاسوب وقمت لتفتيش الشقة بحثًا عن أي كاميرا مراقبة، فتشت جميع الأرجاء والأنحاء، لا شيء، عدت إلى الفيلم من جديد، لقد تملكني الفزع والفضول كذلك، جلست من جديد وانا أمام الفيلم، لحسن الحظ لم ندخل إلى شاشة جديدة، أنا أشاهدني بداخل فيلم أشاهد فيلمًا، ثمَّ بدوت فجأت اِتلفت حولي، أرهفت السمع لما يدور بداخل الشاشة، هناك صوت اِرتطام خارج محيط رؤيتي داخل الشقة، أنا أقوم لاستكشف ما حدث خارج الغرفة يبدو أنني خائف فى الفيلم، والحقيقة أنني خائف أكثر وأنا أشاهدني خائف، أي لعنة يحملها هذا الفيلم؟ ثمَّ فجأة يقوم الشخصية الرابعة بداخل الفيلم بتثبيت الشاشة التي أمامه التي أنا بطلها دون أن أعلم كيف حدث ذلك، لماذا تبدو لي الغرفة التي يعيش بها الشخصية الرابعة مألوفة؟

أمعنت في التركيز أنا أعرفها لأنني كنت فيها اليوم، إنها غرفة زميلي ممدوح، الجنون سيفتك بي، هل ممدوح يجلس يشاهدني داخل الفيلم؟! أطفئت الحاسوب وأعصابي تحترق، ما معنى ما رأيته وأين هو ممدوح؟ الخوف يتملكني، هذا الفيلم شيطاني ملعون، بسرعة أبدلت ملابسي ونزلت إلى الشارع، كنت بحاجة إلى ونس، إلى بشر، أناس طبيعيين، لقد صرت خائفًا من منزلي، منزل تراقب فيه دون كاميرات هو منزل مخيف بحق، ما الذي يدور حولي؟ وبينما أسير في الطرقات كان تفكيري منصبًا على مشاهدته، إذًا ممدوح هو الشخصية الرابعة في الفيلم وكان مراقبًا ورآني هو الآخر في الفيلم، ترى من إذن الشخصية الثالثة؟ هل أعرفها؟ قشعريرة تسري في خلاياي وأنا أتصور بأن الشخصية الثالثة هي أيمن جار ممدوح،

صحيح أني لا أعرف شكله، لكن ذلك ليس مستحيلًا، غدأ سأعلم، الوقت ليس مناسبًا الآن، جلست على مقهى بأحد الشوارع الرئيسية أشاهد ما يعرضه التلفاز وأحتسي مشروبات لا طعم لها حتَّى أدركنى الصباح، لم أذهب إلى العمل واتجهت إلى العمارة التي يسكن بها كلا من ممدوح وأيمن، لا أود مقابلة زوجة ممدوح ثانية، فقط أريد صورة لأيمن، لأتاكد من حدسي، حصلت عليها عبر بواب العمارة بعدما مكنني من دخول جروب خاص بساكني البناية على أحد مواقع التواصل، حفظت شكله، وعدت للمنزل وأنا مذعور، دلفت إلى غرفتي وحاسوبي، ومن جديد أنا والفيلم والخوف ثالثنا، بالطبع لم يخب ظني، وكان التسلسل كالآتي:

الشخصية الأولى مجهولة لديّ تعد نفسها لمشاهدة فيلم يحتوي على الشخصية الثانية المجهولة أيضًا بالنسبة لي يجلس ليشاهد فيلمًا بطله هو أيمن جار ممدوح زميلي الذي يشاهد فيلمًا بطله هو ممدوح نفسه الذي يشاهد فيلمًا بطله هو أنا، لقد قمت بإعادة نفس الأحداث عشرات المرات وأنا في كامل تركيزى منتبها بكل حواسي حتَّى أصل لهذه النتيجة.

ها هو اليوم الثالث دون أن أذهب للعمل، لقد سكنني الذعر وسيفتضح أمري إن رآني أحدهم بالعمل، عدد من الإجازات المتتالية من رصيدي لن يضير شيئًا، عدت لمشاهدة الفيلم عند اللقطة التي سمعت فيها صوت اِرتطام بالمنزل، ويبدو أنه ما حدث للشخصيات الخمسة جميعهم، لقد توقفوا عن المشاهدة واحدًا تلو الآخر

حتَّى وصلنا إلى الشخصية الأولى تغادر الغرفة بحثًا عن صوت الارتطام والكاميرا تتبعها في حذر، لا أرى إلَّا ظهره وهو يسير متوجسًا، فجأة ينقطع التيار وتغرق الأحداث في الظلام، يرتجف كعصفور مبلل في ليلة شتاء ممطرة، وتلهث أنفاسه بحثًا عن أي مصدر للضوء، فلا يجد، يكتشف أن الإضاءة الوحيدة المتاحة هي المنبعثة من شاشة حاسوبه، يعود إليه بخطوات مترددة، لو أن ما توصلت إليه

صحيحًا فلا بد أن الشخصية الثانية في الفيلم هي أحد معارفه، إن الخوف الذي أشعر به الآن هناك خمسة على الأقل شعروا به، اِثنان منهم علمت باختفائهم، فهل الآخرين اِختفوا أيضًا؟

وكان ذلك آخر ما جال بخاطري قبل أن أسمع ارتطام قوي أسقط قلبي في قدمي، شعرت بوخزة في صدري جراء هذه الخضة، خرجت لاستكشف مصدر ذلك الارتطام ، أتنقل من غرفة لغرفة، مهلًا إنه نفس ما يتعرض له الشخصية الأولى وقبل أن أتحقق من اِستنتاجي انقطع التيار الكهربي ليحتل الظلام كل ركن في منزلي، تذكرت بأن هاتفى غير مشحون وليس لديّ كشاف أو حتَّى شمعة تبدد هذا الظلام، وبينما أنا أتحرك في المنزل مفزوعًا على غير هدى لمحت الإضاءة الخافتة لشاشة الحاسوب، عدت فورًا إليه لأجد عبارة مثبتة خطت باللون الأحمر القاني على الشاشة (ألم تفهم بعد؟ أنت لم تعد وحدك فى المنزل) كان هذا كفيلًا بجعل قلبي يقفز على وشك الخروج من حَلقي، أغلقت الشاشة على الفور. ليطبق الظلام على أنفاسي اللاهثة ودقات قلبي المتسارعة.

أين أنت يا ممدوح، أين أنت يا أيمن؟ ماذا حدث لكما وما هو المصير الذي ينتظرني؟ ما هذه الدموع؟ هل أبكي من الخوف؟ وقبل أن تجف مقلتاي عاد التيار الكهربي، كدت أقفز من الفرحة كالصغار، غادرت هذه الغرفة التي لم أعد أكن لها أو لمحتوياتها أي ود بما فيها حاسوبي هذا، لن أشاهد هذا الفيلم مجددًا، سأنام وأنسى كل تلك التفاصيل، سأعود لحياتي وأطرد هذه الهواجس من رأسي، اِتجهت إلى غرفة نومي فجرًا، وضعت رأسي على الوسادة، وتجاهلت كل ما سمعته من أصوات بالخارج، خطوات همسات أنات، لن أخرج حتَّى تعود الشمس أو أموت في سريرى، نمت بعمق، نمت ونامت معي كل الحواس، ولكن المؤسف أني حين اِستيقظت، كانت الشقة تسبح فى الظلام، متى اِنقطع التيار؟ هل عاد الليل من جديد؟ لقد مر نهار كامل بينما أنا نائم، أريد معرفة الوقت، لا وسيلة لذلك وسط هذا السواد الحالك سوى حاسوبي، عدت إلى الغرفة لأجد حاسوبي يعرض

الفيلم، هنا تسارعت أنفاسي ودقات قلبي عازمين على العثور على تفسير غير مخيف دون جدوى، لقد أغلقت الحاسب قبل نومي أنا متيقن من ذلك، نظرت إلى الشاشة لأجد عبارة جديدة (إنهم بانتظارك) الفيلم يدعوني لمشاهدته من جديد، لم أعد أدري من يشاهد من؟ جلست مذهولًا مرعوبًا لأكمل المشاهدة، من الواضح أنَّه لا أحد يعلم بأنَّه مراقب، جميعهم يراقب غيره، أمَّا أنا أراقبني معهم، جلست متجاهلًا شعورًا يغمرني بأن هناك عيونًا مثبتة على ظهري ترقبني من الخلف، وشعورًا بأن هناك أيادي ستلتف حول عنقي في أي وقت، وشعورًا بأن قلبي يعلن العصيان وجسدي يرفع الراية البيضاء معلنًا الاستسلام في مواجهة المجهول.

عدت من جديد أحدق بهم وأنا أرى كل منهم يراقب الآخر حتَّى وصلت الشاشة إلى، ها أنا من جديد بداخل الفيلم أشاهد حاسوبًا داخل الأحداث لا أدري ما يعرضه لعدم وضوح الصورة ولكن فجأة، تتركز الكاميرا على الحاسوب تقترب أكثر وأكثر، أخيرًا سأعرف ماذا أشاهد، كانت رسالة مثبتة على الشاشة تقول (فلتتقدم إلينا طوعًا بدلًا من أن نباغتك، فقط اِفتح الخزانة التي أمامك) بسرعة تحركت الكاميرا لتعرض نفس الرسالة على حاسوب كل الشخصيات لتعود من جديد لترصد ردود أفعالهم وهم جلوس في ظلام تام مثلي يتلفتون يمينًا ويسارًا ثمَّ مثبتين عيونهم على أحد الأركان يبدو أن كل الشخصيات لديها خزانة في نفس الغرفة بما فيهم أنا، وشعور واحد لديّ الجميع بأننا لسنا وحدنا أبدًا، عندها وفي نفس التوقيت قام كل منهم بترك الحاسوب والوقوف بمواجهة الخزانة، سوداء عريضة ضخمة تكفي لإخفاء نصف شياطين الأرض، الكاميرا تنتقل من شخصية لشخصية وجميعهم يتحرك باتجاه الخزانة عداي، فجأة تتوقف الكاميرا لتقف عندي وأنا جالس بينما الآخرون اِقتربوا أكثر من اللازم من الخزانة، لتتوقف الأحداث فجأة داخل جميع الشاشات وكل شخصية تقف في مواجهة الخزانة لا يفصله عنها سوى أقل من نصف متر، لقد توقف الفيلم عند هذا الحد، تلا ذلك على الفور طرقات منبعثة من داخل الخزانة التي بغرفتي، أنهم هنا، لا أدري من هم وما كنههم

ولكنهم هنا، يزداد صوت الطرقات اِرتفاعًا، تزداد الرجرجة كما لو كان هناك حيوانًا بحجم كلب يتقافز بالداخل، لا يمكن وصف مدى رعبي ولا كمية الأدرينالين التي أفرزها جسدي، سأنهض الآن ولا أعرف ما هو بانتظاري فقط أرجو أن أجد الوقت الكافي لأعود وأدون ما كان في اِنتظاري.

عند هذا الحد اِنتهت الأوراق.

”أعمى من يثق بشخص ثقة عمياء“.

(3)

عام 2005 – إسكتلندا
ميلنر – آندى

حين بدأ ميلنر في اِستعادة وعيه كان مكومًا على أحد جانبيه مع ثني ركبتيه بمقدار 45 درجة، فقط رفع جفنه بعد معاناة ليهاله بياض الموجودات حوله، للوهلة الأولى لم يفهم، وفي الوهلة الثانية أدرك أنه لا يشعر بجسده، الألم يستحوذ على كيانه نفسه ولم يتبين عقله بعد سببًا معقولًا لكل ذلك، على بعد سنتيمترات من رأسه وجد يده يغطيها قفاز داكن، ولكن لم يكنْ لديه القدرة الكافية لتحريكها، أطال التحديق بها وكأنه يترجاها لتبدي أي ردة فعل، ولفرط عصيانها شعر بأنها ربما لا تخصه، لم يعتد على أعضاءه التردد متى جاءت من رأسه الإشارة، حتَّى وضعية الرقود هذه لم تكن مريحة وبدأت ضربات قلبه تزاد سرعة وحدة ، كان عليه أن يفعل شيئًا، لكن لا قدرة لديه لفعل ذلك، بعد لحظات من فوضى خيالات وأشباه صور في رأسه، ترجم عقله أخيرًا بأنه يرقد على الجليد، أكوام من الثلوج، أطنان منها تحيط به من كل اِتجاه، وصدق أو لا تصدق يبدو أن الثلج يحتل السماء أيضا أو بالأحرى ما بدا له منها، وقد بدت قريبة جدًا أكثر من أي مرة تطلع إليها من قبل، هل تجمد؟ الإجابة مخيفة ولكنها تفسر بشكل كافي عدم قدرته على الحركة، اِجتهد كي يحرك أصابع قدمه داخل حذاء سميك لا يتبين شكله الآن ولا يقدر على النظر إليه، ولكنها أبدت مرونة أكثر وكأنها تحتفظ ببعض الدفء الذي

كفل له الحركة، لا بأس سيبدأ من هناك ثمَّ يهبط لمشط قدمه إن لم يظهر عناد واضح، ثمَّ ساقه التى اِحتاجت مجهودًا أكبر للاقتناع حتَّى تتحرك، خطوة بخطوة بدأ جسده يستجيب من أسفل صعودًا إلى جذعه وظهره ليجد نفسه بعد مشقة راقدًا على ظهره وقد نجح فى الاعتدال قليلًا رغم ما بجسده من ثقل وما يستشعره من ألم، بذل مجهودًا شاقًا حتَّى وصل إلى هذه النتيجة ولكن إدراكه للكارثة كان أكبر من اِستيعابه وهو وحيد في صحراء الثلج هذه، فغاب رغمًا عنه فى إغماءةٍ جديدة.

لم يعرف كم اِنقضى ولكن جال ببصره يسارًا فوجد بقعة من الدماء ليظهر اللون الأحمر للمرة الأولى في المشهد ولكن لم يعني ظهوره سوى أنَّه نزف وفي الأغلب ما زال ينزف، هل يتوقف جرح عن النزيف من تلقاء نفسه؟ كيف جُرِح أو لعله طُعن؟ لم يتذكر، هنا اِلتقطت عينه كتلة من مزيج من اللونين الأسود والبيج قادمة من بعيد تتحرك تجاهه، إنها تسرع كما لاحظ، هناك عيون صفراء تحدق به وتتشمم جسده، هل هذا ذئب أم كلب؟ غير قادر على التفريق وسط الغشاوة التي داهمت بصره لفرط الإنهاك ولكن في كلا الحالتين هو غير قادر على المقاومة أو الهرب ما أصعب أن تكون عاجزًا عن الإتيان بالفعل أو تنقصك القدرة ليكون لك ردة فعل، أمَّا الحيوان الذي يدور حوله في ثبات وكأنه يتهيأ لوجبة شهية لم تكنْ في الحسبان فلم يتوقف عن التحديق به والتشمم حوله بينما ميلنر يتحاشى نظراته لعدم إثارة غضبه، وفجأة اِنطلق هذا الجسد بعيدًا وهو ينبح بشكل هستيري، تُرى هل يدعو رفاقه لهذه الوجبة أم ماذا ينوي هذا الكلب ذو الفراء السميك؟ بعد دقائق عاد ومعه رجلان يجران كلبًا آخر، حين تبين الرجلان منظره هرعًا نحوه، أحدهما نزل على ركبتيه بجواره بينما الآخر أخرج لاسلكيًّا وكأنه يجري مكالمة، لم يتبين كلمات الرجل الذي اِنحنى لمساعدته لأن عقله قرر الانصراف ثانية في غفوة طالت أو قصرت ولكنها إجبارية بشكل ما كانقطاع تيار كهربي مفاجئ.

سواء عاد وعيه أم لا، سواء شعر بما دار أو لم يشعر، فبنظرة من أعلى يمكن وصف المشهد كالتالي، هناك مروحية صغيرة الحجم اِخترقت الأضواء الضبابية وتزمجر في الهواء اِعتراضًا على هذا الطقس الصعب كانت على اِرتفاع طفيف عن الأرض يكاد لا يذكر، كان على متنها طاقم طبي مكون من ثلاثة أشخاص ما بين مسعف وطبيب وممرضة، نقالة هبطت على الفور يبدو أن هناك رابع بانتظارهما هو من أمدهم بها، قاموا جميعًا بالكشف على هذا الجسد الذي يغطى أحد جانبيه اللون الأحمر، يبدو أن الكم الذي نزفه كبيرًا بالفعل، اِستقرت الطائرة لدقائق ثمَّ حملت الجميع وطارت وهي تضرب الهواء كملاكم يدفع خصمه لتطير بهم إلى أقرب مستشفى مجهزة.

بعد ساعات من تلقي عناية فائقة، اِستعاد ميلنر بعض من وعيه وعافيته لكنه غير قادر بعد على مغادرة الفراش، حسبما أخبروه فقد كان مدفونًا وسط الجليد في مكان يكاد يخلو من البشر، الصدفة وحدها هي التي قادت إليه كلب أحد جيرانه الذي تصادف وجوده مع هذا الطقس السيء، وجده الكلب ونبش حوله بشكلٍ جنوني كما لو كان مرسل لإنقاذه لحكمة لا يعلمها بشر، كيف دُفن ولماذا؟ وهل كان الدفن محكم أم غير ذلك؟ ليس لديه إجابة قاطعة ولكن يمكن القول أنَّه نجا بمعجزة، ذاكرته منحته بعض الإجابات وتركت بعض علامات الاستفهام.

وبينما هو على الفراش جاءه محققان يتجاوزا الثلاثين من العمر الأول له عينان غبيتان نظراتهما جوفاء والثاني له نظرة ثاقبة متفحصة سأله في عجالة:

- هل تذكر ما حدث؟

- إلى حد ما.

- اِروِ لي ما تذكره بالتفصيل من فضلك.

- وصلت إلى المنزل على حافة الغابة بصحبة صديقي آندى وصديقتينا ميلينا وكاترين وقط رمادي لايفارق آندى أبدًا، كنا ننوي قضاء عدد من الليالي في هذا

المنزل، بالفعل قضينا ليلتنا الأولى معًا، تناولنا العشاء والمشروبات سمعنا الموسيقى ورقصنا وانتهت الليلة والجميع سعداء، في الصباح أخبرني أندى بأن الفتاتين غادرتا نتيجة تعرض والد ميلينا لحادث سيارة عنيف، فأصرتا الفتاتين على الرحيل في وقت متأخر من الليل ولم يريدا إزعاجي، وأخبرهما آندى بأننا سنلحق بهم في اليوم التالي أو الذي يليه على أقصى تقدير

قاطعه المحقق بسؤال ساذج كما بدا لميلنر:

- آندى هذا صديقك؟

- نعم ذكرت هذا.

- وما اِسمك بالكامل يا سيدي؟ يبدو أنه مسجل لدينا بشكلٍ خاطئ.

- ميلنر ماجوير.

- ميلنر ماجوير؟

نطقها المحقق باندهاش فسأله ميلنر:

- هل هناك خطب ما؟

- لا أبدًا، أكمل من فضلك!

- اِقترح آندى قضاء بعض الوقت في الصيد، بدا مهووسًا بالفكرة، راجعته ماذا لو قابلنا في الغابة حيوان ما شرس وأصبحنا نحن الفريسة؟ اِستبعد الأمر وأخبرني بأنه لا حيوانات مفترسة هنا، فقط يطمع في لحم غزال أو أحد الأبقار المنتشرة هنا والتي لا تشكل خطرًا ما، أبديت موافقتي فأخذنا العدة التي جلبها آندى وكأنه جهز للأمر مسبقًا.

اِبتعدنا عن المنزل كثيرًا، والطقس يزداد برودة رغم ملابسنا الثقيلة للغاية ولم نقابل حيوانًا واحدًا أو نراه يهرول من بعيد، أخبرته برغبتي في العودة فطالبني بمزيد من الصبر، بعد وقت قليل سألته:

"هل تظن أنه بإمكانك معرفة طريق العودة؟"، فأجاب بثقة لا تقلق، "لا تقلق أنا أحفظ هذه الأرض، كما أني معي البوصلة سترشدنا للمنزلنا بمنتهى السهولة".

ظهر مقنعًا ويعرف ما ينبغي عمله، فآثرت الصمت. بعد مزيد من السير المنهك اِزدادت الغيوم بشكل ملاحظ ، وزأرت الرياح بشكل أعنف وغاصت أقدامنا أكثر في الثلوج، اِستوقفته لأن الوضع لا يشجع على الاستمرار أيًّا كانت الدوافع، نظر آندى وراءه وشعرت أنه بدأ في الاقتناع، اِستدار بهدوء وهو يقول:

- ربما في يومٍ آخر.

تنفست الصعداء ونحن سائرون في طريق العودة وسبقت خطواتي خطواته، كنت أريد الاحتماء بالمنزل من هذا الطقس السيء، وبينما نحن على هذا الحال سمعته يناديني من الخلف فتلفت لأقف بمواجهته وهو يقترب أكثر مني، لأسمعه بوضوحٍ، وهو يقول:

"آسف ميلنر، صدقني لا أحب ذلك ولكني مضطر".

حينها لمحت شيئًا ما بيديه لم أتبين ماهيته؛ لأن الأمر حدث بسرعة فائقة وهو يهوى به على رأسي، لا أتذكر أي شيء بعد ذلك.

تبادل المحققان نظرة لم يفهمها ميلنر، قبل أن يخبره أحدهما:

"حسنًا يا سيدي سندعك ترتاح قليلًا ونعود إليك في وقت لاحق، نأمل تحسن حالتك واستعادة عافيتك في أقرب وقت ونتمنى أن يكون لديك مزيد من التفاصيل التي قد تعيننا في الوصول للجاني".

لاحظ ميلنر عدم ذكرهما لآندى برغم وضوح أقواله، فأومأ لهما بعينيه ثمَّ غادراه وانصرفا، وبعد خروجهما من الحجرة أشعلا سيجارتين قبل أن يستأنفا خطواتهما لباب الخروج فقال صاحب النظرة الجوفاء:

- أقواله لم تفدنا كما تمنينا بل على العكس زادت الأمر صعوبة.

- ما حدث ليس بالأمر الهين ولكني لم أتوقع أن تؤثر الحادثة على عقله بهذا الشكل إلى الدرجة التي تجعله يتهم نفسه بتدبير وتنفيذ جريمة الاعتداء عليه، كيف ينسى شخص أنه هو نفسه ومن ميلنر هذا الذي يظن أنه هو؟

- الأمر عجيب فعلًا ولكني أظن أنه عارض مؤقت حتَّى يتذكر أنه آندى ووقتها يعطينا تفاصيل وأحداث تشرح حقيقة ما حدث.

- أتمنى ذلك.

لم يفهم لماذا اِعتدى عليه صاحبه فجأة؟ لماذا بدا كمن تحول في غمضة عين لذئب جائع ثمَّ أين ذهب؟ ولماذا تركه؟ أي جنون أدى به إلى ذلك؟

لقد نوى قتله ولم يتراجع ولم يتردد، ولكن إلى أين سيهرب؟ حتمًا سيجده وحتمًا سينتقم منه بطريقة خاصة ولكنه مُصر على أن يفهم أولًا.

وأن يكشف حقيقة ما حدث.

"أما أنا فقد اِختلس الصباح جناحي.

أنا الجدير بالشفقة، أصحو.

مثل نوبي في صحراء خالية من الأحلام".

ماريان ناكيتش

شاعر ألماني.

(4)

برغم ملامحها الجامدة ونظرتها الشاخصة وأدائها للعمل بانظباط متناهٍ كعقرب ساعة لا يقدم ولا يؤخر، إلَّا أن الممرضة الصارمة أبدت تعاطفًا واضحًا مع هذا الشخص الراقد في سرير المستشفى وعليها متابعة حالته ومده بالأدوية في مواعيدها الدورية وقياس مدى اِستجابته للعلاج ومدى تحسن حالته، علمت أنه قضى بضع ساعات مدفون في الثلج ورأفت لحاله، فكرة أن إنسانًا يوضع في الفريزر بغرض التخلص منه وجدتها فكرة شنيعة بعض الشيء، أن تعامل كزجاجة منسية في الثلاجة قد تم حفظها للأبد قاسية جدًا، من حق هذا الجسد أن يغادر هذا العالم كما ستفعل الروح التي كانت تسكنه.

كان نائمًا حين دلفت لتضيف عبوة جديدة من المحلول المعلق بجواره في آلية قامت بالمطلوب، وقبل أن تغادر سألها بصوت واهن:

- متى يمكنني مغادرة هذا الفراش؟

- وقتما تصير قادرًا على ذلك دون أن يصاحب هذا دوار يؤدي إلى السقوط وحدوث ما لا يحمد عقباه من كسر أو ما شابه.

- هل لي أن أطلب خدمة؟

- نعم، ويمكنني الرفض في حالة عدم اِستطاعتي القيام بها.

- أريدك أن تتصلي بهذا الرقم، سترد عليكِ ناتالى أخبريها أن أخاها في المستشفى واعطها رقم الغرفة من فضلك!

- لا بأس سأفعل، ولكني أظن أن هناك من قام بالاتصال بذويك، هكذا أخبروني.

لم يعلق وانصرفت هي في هدوء، بينما عقله يستعيد أحداث الشهور الأخيرة قبل وقوع ذلك الحادث.

أهلًا بكم، معكم ميلنر ماجوير اِبن المليونير الإسكتلندي جورج ماجوير، كما يراني الآخرون فأنا شاب مرفه تحيطه مظاهر الترف، والدي يرسل لي شهريًّا ما يكفيني لمدة عامين، وكل ما يتوجب على فعله إيجاد طريقة لإنفاقه بشكل يسعدني، يسعدني حقًّا دون تظاهر، لذا أقود أفضل وأحدث سيارات، أرتدي أفضل ملابس، أتجول حول العالم تحيطني دومًا الجميلات، أغيرهم كما يبدل رجال الأعمال كرافاتاتهم، شخص مثلي لديه كل ما يحتاج تمكن السأم من التسلل إلى عالمه الذي يحسده عليه ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، وإذا زارك السأم سيصحبه الإهمال، وهو الخطأ الذي قد تجد نفسك معه في ورطة لا تدرك في التو حجمها ولكنها قد تكبر يومًا وراء يوم حتَّى تبتلعك دون أن تعود الشخص الذي كنت تظنه أبدًا، وعلى الرغم من ذلك مرت الأمور بخير حتَّى التقيت آندى. كيف التقينا؟ اللعنة لا بد لي من تذكر تلك اللحظات الغبية، في واحدة من تلك الليالي التي تسلم فيها نفسك للشراب، وبعد اِنتهاء الليلة تجد ما لم يكن في الحسبان، في الثانية بعد منتصف الليل خرجت من الملهى باتجاه سيارتي ومعي إحدى الفتيات التي كانت تراقصني طوال الليلة، شعرها ثائر وعينها بها كثير من وقاحة ويدها لم تكف عن ملامسة كل مكان في جسدى مِمَّا دفعني للقيام بالمثل وسط ترحيب من عينين تشتهي المزيد، كنا وصلنا لمرحلة لا ينبغي أن يرانا فيها أحد، لذا المنزل هو الحل والفراش هو المكان الأنسب، خرجنا للشارع حيث الإضاءة هادئة وكل ما حولك يبدو نائمًا أو ميتًا، حين اِقتربت من السيارة كان هناك رجلان عملاقان بانتظاري، أحدهم لكمني في وجهي فانفجر الدم من أنفي، نظرت إلى الفتاة التي كانت بصحبتي فوجدتها تأخذ صفهما وتقول في غير خجلٍ:

- هذا المعتوه بنك متحرك، فلتجلبوا كل ما يملك!

شعرت بطعنة في كرامتي فقمت محاولًا التغلب على هذا الدوار الذي أصابني من فرط الشراب وحاولت توجيه ضربة لأحدهم، فأمسك بيدي ثمَّ لوى ذراعي قبل أن يمسك رأسي بيده الأخرى ويدفع بها بعنف في زجاج إحدى السيارات، لا أدري هل ما زال أنفي سليمًا أم تحطم جراء هذه الضربة ولكني سمعت بالفعل عظمة تتهشم، أخرجوا كل ما في جيبي ثمَّ أخذوا السيارة وهواتفي وحاسوبي وساعة يدي وسلسلة ذهبية أعتز بها وارتديها منذ زمن، سمعت خطواتهم الهاربة وأنا في طريقي لفقدان الوعي بشكلٍ كامل، لم أعلم كم غبت عن الوعي فقد أظلم كل ما حولي جراء غلق عيناي، ولكن هناك يدان كانتا تمتدان لوجهي في محاولة لإفاقتي، أظن أني فتحت عيني لكني لم أر شيئًا أو هكذا خيل إليّ، ثمَّ كان هناك من يحاول رفع جسدي على كتفه، وفي المرة التالية التي رأت عيني فيها النور كنت في منزل لا أعرفه بغرفة هادئة وفراش مريحًا بما يكفي لجسدى المنهك وضمادة على رأسي، لا أعرف كيف جاءت ومن وضعها.

بعد قليل شخص ما دخل الغرفة وجلس على حافة السرير وظننته يحدق البصر بي ففتحت عيناي فجأة قدر ما اِستطعت فوجدت اِبتسامة هادئة من وجه شاب:

- لا تخف، لقد وجدتك في حالة يرثى لها في الجراج ووجهك يغطيه الدماء، فرأيت من غير الممكن التغاضي عن هذا الكم من الإصابات، اِصطحبتك في سيارتي وحاولت العناية بهذه الجروح ولكني أظن حالتك تستلزم زيارة طبيب.

من هنا بدأت معرفتي بآندى الشاب الذي يبدو في مثل سني ويتمتع بقدر من الوسامة وبنفس القدر من الشهامة، أنا الذي لم أملك صديقًا حقيقيًّا، وجدتني أحدث نفسي بعد أيام بأني صرت أمتلك واحدًا، مجموع الصفات التي لديه ساعدت من اِقترابنا واقترانا، إنَّه جريء، مغامر، يجذب الفتيات كما تجذب الوردة

الفراشات، يتمتع بخفة دم وسرعة بديهة عالية، ردود جاهزة، وحين أتمعن في أقواله أجدها تحتاج وقتًا أطول وعمرًا أكبر حتّى تخرج بهذا المزيج من الحكمة والمباشرة، لم أعرف عنه حاجة للمال، ولم أسأل عن أصوله أو عائلته، هذه أمور لا تشكل فارقًا بين الأصدقاء الحقيقيين، كما إنه لم يبدُ طامعًا، كان ينفق ببذخ مثلما كنت أفعل، كان محبًا للقطط، كان هناك قط يصحبه معه في كل مكان، كان متعلقًا به تعلقًا غير طبيعيًا، وأنا بدوري لا أكره القطط ولا أفضلها قمنا برحلات واصطحبنا فتيات وخضنا مغامرات، وثقت فيه تمامًا لكني رغم ذلك ومهما أظهر من قدرة على الغدر والدناءة فلم أعثر على مبرر واحد لفعلته، لم أفهم ولا يوجد سبب يجعل صديق يفعل بصديقه ذلك، ماذا لو لم يتم العثور عليّ؟ كنت سأتجمد من البرد، لقد قام بفعلته ولم يترك لي وقتها رفاهية أن أحظى بتفسير، الساعات التي أقضيها على الفراش وعدم قدرتي بعد على الحركة كانت تقتلني مرة تلو الأخرى دون رحمة.

لذا طرت من الفرحة عندما أخبرتني الممرضة في اليوم التالي بأن ناتالي جاءت لزيارتي، أنها العائلة بالنسبة لي، أبي مشغول دائمًا بأعماله وجولاته وصفقاته وأمي رحلت مبكرًا ونحن أطفال، لذا ناتالي هي الشخص الوحيد على هذا الكوكب الذي لا يمكنني تصور الحياة بدونه وهي أول من أهرع إليه في الشدائد والأفراح، تستمع لي بكل حب وتربت على كتفي وتعاوني للنهوض من جديد، ولكن هذه المرة كانت الطعنة غادرة وبلا تفسير، وما لم أكن أعلمه وقتها بأنها قادمة ومعها التفسير، التفسير الذي قد يطير معه العقل.

((لا يمكنك التعميم بسهولة فيما يتعلق بالألم، لكل نوع من الألم خصائصه، كل أنواع السعادة تتشابه، ولكن كل ألم يؤلم بطريقته الخاصة)).

تولستوي.

(5)

عصام شاهين

أنت لا تعلم ما معنى أن يكون لك طفلة منفصلة تمامًا عن الواقع، عند عمر السادسة اِستيقظنا ذات يوم على صراخ طويل لا ينقطع، وحين وصلنا لمصدر الصوت في غرفتها كانت جوليا صاحبة الصوت دون سبب معقول، قبل هذا اليوم كانت تحيا حياة طبيعية كأي طفلة في مثل عمرها، ولكن منذ ذلك اليوم توقفت عندها الحياة بشكل غير مفهوم، باتت لا تعي ما حولها ولا تتفاعل مع ما يدور، تحدق في الفراغ بنظرة خاوية لا تحمل أي معنى. ولا تستجيب لأي نداء أو إشارة، طفلة عمرها لا يتجاوز تسع سنوات تحتاج مني أو من أمها تدخل فوري لكافة شئون حياتها من طعام واستحمام وملبس وتغيير ملابس وحفاضات، حياة شاقة فرضت عليها ولا تتناسب أبدًا مع رقتها، وفرضت علينا لا تتناسب مع ما خططنا له لحياة سعيدة، سجن إجباري قاسي سقطت فيه ولا حيلة لي سوى مراقبة ابنتي تنمو متجمدة، عاجزة عن الاندماج كمثيلاتها في نفس العمر، فاقدة لأي فضول ضعيفة التركيز للغاية، لا مفر من ذلك إنها كانت وستكون متخلفة، لو أن ما يحدث لها عقابًا لي على ما ارتكبته من آثام فما ذنب هذه الصغيرة وما ذنب والدتها التي بالكاد تجفف دمعها حسرة على مصيبة اِبنتنا.

بالطبع كل ألم عاشته جولي تشاركته معها على نحو لا إرادي، أنا الذي ظننت أني لن أسمح بذرة ألم أن تتسلل إلى حياتي أو تسيطر على رأسي وجدتني مُرغمًا على الشعور به.

عوضًا عن هذه المأساة منحتني الأقدار طفلًا يصغر أخته بعامين، كان على العكس من أخته تمامًا، لماح، فضولي، مرح، يتعلم بسهولة وسرعة، لا شك أن هادي جعل الحياة أفضل لنا جميعًا وهون على الجميع كثيرًا من الألم لكني من وقت لآخر ألمحه ينظر بشفقة تجاه أخته ذات النظرة نفسها، نظرة من لا يفهم ما الذي أتى بها إلى هنا، إنها تعيش في عالم تحتويه رأسها، ولا قدرة لأحد لمعرفة ما يدور هناك، لا بد أن أسئلة كثيرة تثار داخله وقليل منها ما يترجم في صورة أسئلة مطروحة، رغمًا عنا لا نجد إجاباتها خاضعة لمنطق فيسكت هادي في حيرة، تُرى هل هذا السكوت حكمة يتلقاها تنمو معه؟ هل سيتمكن من الاحتفاظ بها لتعينه على القادم من حياة أم تذهب بعقله ليكفر بكل حرف عن معنى العدالة؟

الزمن وحده قادر على الإتيان بجواب، وبالرغم من تلك الصعوبات التي تواجهها بشكل يومي، فإن الحياة لا تخلو من جمال، هذا ما يجعلنا نتشبث بها حتَّى النفس الأخير، وفي هذا العمر خلال هذا التوقيت وبعد أن وصلت لهذه المكانة فيمكنني الجزم بأن ما حصلت عليه كان ثمينًا، ثمينًا جدًا في الواقع.

زوجة جميلة تشاركت معها لحظات سعادة حقيقية دون اِصطناع وتقاسمنا ذكريات أشبه بالخيال من فرط الجمال، لطالما اِبتهجنا حد الجنون ومرحنا حد الذهول، وتشابكت أيدينا وأجسادنا كعاشقين لم يتوقفا عن الظمأ لجرعات الحب المجنونة، صور تذكارية لنا في كل مكان، في واحدة تمسك بذراعي أسفل برج إيفل وفي أخرى تلف ذراعيها حول رقبتي وتضع رأسها الصغير على كتفي بابتسامة واسعة وفرحة من القلب، صحيح أنه تبدل الوضع حاليًا ولم تعد مشاعرها كما كانت ولكني أجد لها بعض العذر، يجب أن تكون ملاكًا أو شيطانًا لتتحمل تبعات وجود اِبنة عاجزة كليًا وما يستوجبه ذلك من متطلبات يفترض من أم حنونة القيام بها.

ومن الناحية العملية فالدرجة التي اِنتزعتها من الشهرة والتي اِستحقيتها كما أظن تكفل لي حياة كريمة ككاتب رعب تصنف أعماله من أكثر الكتب مبيعًا وتحظى بثقة هؤلاء القراء، أتابع عن كثب الشغف الذي يُنتظر به أعمالي، تعليقات

القراء، آراء النقاد، أصداء العمل بشكل عام أتلقاه باستمتاع حقيقي حتَّى وأنا أتوقع أغلبه، لقد وجدت المتنفس في الكتابة لأفرغ كل ما في رأسي من أفكار، لأخط بيدي ما عشته وما لم أعشه من رعب تقشعر له القلوب، إنه الخوف الخام الذي يجعلك تشعر بالقادم من خلفك حتَّى وإن لم تره، ذلك الذي يجعلك تعدو بأقصى سرعتك ذعرًا من عدو مجهول قد لا تدري كنهه مطلقًا ولكن عقلك يخبرك بأنك لا تقوى على مواجهته وأن الفرار هو القرار السليم.

وعلى الرغم من النجاح المدوي لأعمالي اِبتعدت قدر الإمكان عن صخب الأضواء، لا أحصى عدد اللقاءات والبرامج الإذاعية والتليفزيونية التي اِعتذرت عنها حتَّى اللقاءات الصحفية وحفلات التوقيع وما إلى ذلك، اِعتزلت كل وسائل التواصل التي يتم جري إليها جرًا، واكتفيت بالتعبير عمَّا أريد على صفحات الورق، لحظات الإثارة التي أمنحها لهم لا أريد أن يمنحوني في مقابلها دقائق ملعونة لمقابلة سخفاء الإعلام الجهلة الذين لن يروا في اِستضافتي سوى تزجية لشغل دقائق في هذا البث المفتوح، التقدير الحقيقي يأتيني بعيدًا عن هؤلاء.

وفي ذات صباح اِستيقظت على خبر وصول البروفيسور الألماني هاينريش مولر أستاذ وخبير حالات الصدمات العصبية والنفسية في زيارة تستغرق أسبوعًا لمصر، النجاحات التي حققها هذا الرجل تُقيد علميًّا تحت بند المعجزات، حالات شبيهة لحالة اِبنتي سجلت تطورًا ملحوظًا وبعضها عاد للاندماج من جديد، عاد إليّ الأمل فاتحًا ذراعيه في حنو فلم أجد سوى الترحيب به لعله يفي بوعده هذه المرة.

حجزت الموعد وذهبت إليه بصحبة عائلتي، في دقائق أتم كشفه عليها وأخبرني بألمانية طليقة أجيدها هي وعديد من اللغات بأنه لا مستحيل في حالة اِبنتي، وأن الأمر يستلزم بعض الصبر وكثير من الوقت والجهد والمال، وأنها بحاجة لمتابعة على يد متخصص بالتزامن مع أدوية كتبها لها، وتوقع لها تحسن ملموس في زمن قياسي لو تمت العناية بها على النحو المرجو.

”اِمرأة تلده وامرأة تقتله هذا ما يحدث مع أي رجل“.

(6)

حين قرأ صلاح الإعلان بالجريدة، فكر سريعًا ولم لا؟ مرتب شهر يساوي 3 أضعاف ما يتلقاه شهريًّا، كانت الصيغة المكتوب بها الإعلان مقتضبة ومختصرة لكنها مغرية:

(مطلوب أخصائي نفسي وممرضة للاعتناء بطفلة تبلغ 7 سنوات

إقامة كاملة مع إجازة شهرية، الراتب....

يرجى إرسال السيرة الذاتية مع صورة حديثة على البريد الإلكتروني التالي).

نور الممرضة الشابة التي تكن له إعجاب واضح لم تبارح ذهنه منذ قرأ الخبر، جذابة كأنثى، متقنة للعمل، جمعه بها أكثر من مكان عمل، في دار رعاية أطفال ذوي اِحتياجات خاصة، وفي مدرسة أخرى لتعليم الحالات المتأخرة ذهنيًّا، بالإضافة لقرب محل إقامتهما من بعضهما البعض, فتاة لا يُمل صحبتها ويمكن الوثوق بها وتكوين فريق عمل بدلًا من الاعتماد على أخرى لا يمكن الوثوق بها قد توقعه فى ورطة، أو ألا ينسجما سويًّا فتصبح أيام العمل كئيبة مملة، هاتف نور وعرض عليها الأمر، يمكنه سماع فرحتها في ردها، لو كانت أمامه لرأى إشراقة وجهها وبهجة عينيها، وتورد خديها، لا ينفي إعجابه بها، لديها القدرة على الاستحواذ على بصرك ما دامت موجودة، عينك لن تفقدها وستحرص أنت على ذلك، لديها مشكلة وحيدة أنها تجاهد للهروب من نفس الطبقة التي اِنتمى إليها، إذًا سيكافحا ويكدا معًا، ليس بوسعه حاليًا اِنتشالها من هذا الوضع ليجعلها الأميرة التي تتمنى، ربما

لو اِنتظرت قليلًا بعد أن يحقق ذاته قد يفلح الأمر، ولكن من يضمن له ألَّا يأتي عابث ويقطف الوردة قبل الأوان، لن يسبق الأحداث، ليدع الأمور تأخذ مجراها الحتمي دون تدخل بشري قد يفسد حياتين وليس حياة واحدة، بعد مكالمته أخبرته أنها ستحاول إقناع والدتها، الراتب الكبير سيلعب دورًا بارزًا، ووجوده معها سيمنحها حافز المحاولة باستماتة.

في المساء منحته الإشارة بمكالمة رقيقة:

- أنا معك.

لا يحتاج لمزيد من دلال، أو لتلميحات أكثر، هو يروق لها وهي تفتنه برقتها وعذوبة صوتها، يمكنه إرسال أوراقهما معًا، وليأملا أن يحالفهما الحظ.

بعد ثلاثة أيام جاءه الرد، والد الطفلة طلب مقابلته هو ونور الممرضة الحسناء، أعطاه عنوان المقابلة، مطعم هادئ على النيل، ذهب في كامل أناقته كما لو أنها مقابلة رسمية مرتديًا بنطالًا من الجينز الأسود وبلوفر من الصوف رمادي اللون، وجاكيت من الجلد بدوا جميعًا وكأنهم صمموا لأجله دون سواه، منحوه الثقة المطلوبة في هذا اللقاء، قبلها بنصف ساعة، اِلتقى نور، بملابس غاية في البساطة والرقي ووجه يخلو من المساحيق وشعر طويل مفرود بني اللون يتطاير مع أقل نسمة هواء سرقت أنظار المارة والعابرين، هذه هو مظهرها في لقاء عمل، ماذا لو كان موعدًا غراميًا، أي مجنون تلمح له نور بإعجابها ويتظاهر بعدم الفهم؟ ولكن لنرى أولًا هذه الفرصة، قد تفتح الطريق لقصة حب مشتعلة، سيمكثا معًا تحت سقف واحد لرعاية طفلة بصحبة أسرتها.

اِلتقيا الرجل الذي لا يبدو أبدًا على ما يرام، وجهه شاحب كالزومبي، وجسده هزيل على نحو واضح وحركته هادئة أكثر من اللازم، كلامه قليل للغاية ولكنه حازم، اِتفقا على كل الأمور المادية وطرح شروطه، لا إجازات في الشهر الأول، ثمَّ أسبوع إجازة بالتناوب مع الممرضة، لا اِستئذان في الرحيل، الإقامة بنفس سكن

الأسرة، مع وجود غرفة خاصة لكل منه هو ونور، ثمَّ باقتضاب سألهما عن موعد اِستعدادهما للبدء فأجابا دون اِتفاق مسبق بعد يومين، وسألهما عن مكان التجمع بحيث يتم نقلهما إلى فيلته التي أخبرهم عنها أنها في مكان هادئ للغاية، فاختارا أحد المولات الشهيرة بمدينة نصر، وما إن أتموا الاتفاق حتَّى غادر الرجل وأنصرف في هدوء. عقب اِنصرافه سألته نور "أين يقع مسكنهم؟" بالفعل لم نسأل عن هذه النقطة وحين هم للحاق به كان الرجل قد تبخر بشكل لا يتناسب مع حركته ولكنه غاب عن أعينهما تمامًا، بعد قليل جاء النادل فطلب قدحًا من القهوة ثمَّ سأل نور التي أجابت باستحياء:

- عصير ليمون.

قنوعة نور وبسيطة وقبل ذلك لافتة، لولا آية التي خطفت قلبه في سنوات الدراسة لامتلكته نور بالكامل. آية قتلته هذا ما يحدث مع أي رجل، اِمرأة تلده وامرأة تقتله لكنه أكثر من يعلم إلَّا بكاء على اللبن المسكوب أكثر من اللازم، الأعوام الماضية تكفي، كسرة القلب تكفي، والأسى لن يعيدها والرهبنة ليست في مخططاته للقادم من حياته.

أكملت جلستهما ساعتين ثمَّ تناولا غداءً خفيفًا، حقيقة الوقت معها لا يريده أن يمضي، يبدو أن مأساة جديدة على وشك البدء، هذا هو ما تعلمه، قصص الحب يندر أن تنتهي نهاية سعيدة، لا بُد من خيبة ما، وهنا لم تكن خيبة بل كارثة.

”ما أصعب أن تحاول تأجيل ما هو محتوم!“.

(7)

أحمد رأفت

توقفت كتابة الرجل عند هذا الحد ولا يمكن الجزم بما أصابه بعدها، كنتُ قد اِنتهيت من قراءة هذه الأوراق مع منتصف الليل ولا يمكنني وصف كمية الأدرينالين التي أفرزها جسدي، ينبغي الذكر أني حين قرأتها أول مرة كنت أتلفت يمينًا ويسارًا، كنت أرتعد مع أقل صوت يصدر من الخارج، لا يمكنني حصر عدد المرات التي نظرت فيها لأسفل السرير خوفًا من أن يخرج من أو ما ينهي عُمري، برغم مروري بالعديد من الخبرات الغريبة والتي لم أجد تفسير لبعضها أو وجدت تفسيراً ميتافيزيقيًا للبعض الآخر قد ينافي أي منطق ولكني أعترف بأن ما قرأته كان جديدًا فريدًا تمامًا بالنسبة إليّ، لم أَمُر بأمرٍ مشابه قط، صحيح أني أهوى قراءة الرعب وكذلك كتابته لكني لم أمر أبدًا بما يشبه ما دار في هذه الأوراق، لو صح ما فيها فهناك فيلم يعرض أشياء عجيبة كل من يشاهدها تجذبه هذه الأحداث أو تستدعي فضوله أو تصيبه بالهلع لإتمام ما بدأه، ثمَّ يتبع هذا اِختفاءه، لذا فمن البديهي الربط بين مشاهدة الأسطوانة والاختفاء، صاحب الأوراق التي معي هو المختفي الأخير من عامة الشعب كما فهمت، ثمَّ تولى التحقيق بعد ذلك الرائد عصمت، لا شك أنه عثر على هذه الرسالة التي لا تحتمل أي تأويل وبالطبع وجد معها هذه الأسطوانة، حتمًا دفعته الرسالة لمشاهدة الفيلم وهو ما أدى إلى اِختفاءه، المنطق يرفض هذا التفسير رفضًا تامًا ولكن قل ما هو تفسير المنطق

لحوادث الاختفاء المتتالية، بالتأكيد لن نعثر على إجابة، أمَّا مراد المسكين فتولى هذه القضية بعد زميله، هو يعلم ما حدث ولديه التفسير ولكن هل لديه الجرأة لمشاهدة هذا الفيلم؟ إنه خائف وأخبرني بذلك، من الصعب أن تقبل على خطر كهذا بدافع الفضول ولكن بدافع الواجب ماذا ستكون إجابتك؟ القرار صعب ولا أدري ما توصل إليه مراد، وإن كنت أتلهف لمعرفة قراره، وأيًّا كان سأعرض عليه مشاركته مشاهدة هذا الفيلم، بالتأكيد لن يكون الخوف بنفس الحجم حين يشاهده منفردًا، نظرت إلى الساعة فوجدتها تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل، ليس الوقت المناسب لإجراء مكالمة، غدًا سأهاتفه وأتناقش معه، جمعت الأوراق ووضعتها على سطح المكتب، لن أصف حجم الخيالات التي دارت بعقلي، لن أصف حجم المصائر التي تخيلتها لنفسي، لن أصف فظاعة الهواجس التي راودتني قبل النوم، لن أصف بشاعة الكوابيس التي زارتني في نوم لم يأتِ إلَّا مع حلول الفجر، لن أفعل أي من هذا لأن ما كان ينتظرني في الأيام التالية كان أقسى مِمَّا ظننت.

أتى الصباح ونور الشمس ملأ غرفتي، لم أفرح يومًا بقدوم النهار كفرحتي هذا اليوم، لقد أمضيت ليلة لن تغيب عن ذاكرتي أبدًا، تناولت فطوري على عجل واتجهت إلى مقر عمل مراد، لم يصل بعد كالعادة، لم أعرف أن رجال الشرطة يحق لهم الوصول متأخرًا إلى أعمالهم لهذه الدرجة، حاولت إجراء مكالمة أعرف مسبقًا أنه لن يرد عليها ولكني حاولت دون فائدة، اِنتظرته قليلًا ثمَّ اِنصرفت إلى الجريدة لمراجعة بعض الأمور.

أنهيت كل ما لدي لهذا اليوم، ثمَّ أعدت الاتصال بمراد لعله يخيب ظني ويرد على هاتفه لكنه لم يفعل، ظننت منحه لي هذا الورق كفيل بجعله يغير معي هذه العادة، ذهبت إلى مكتبه ليخبرني الجندى بأنه لم يحضر اليوم إلى العمل وليس لديه علم عن سر عدم حضوره، بدأ القلق يساورني عليه، ما قرأته بالأمس حضر في رأسى دفعة واحدة، ماذا لو قرر مراد مشاهدة الفيلم؟ إنه ليس مخيرًا مثلي، سيراه

بدافع الفضول إن أراد، يمكن القول إنه مجبر على مشاهدته، لعبت الظنون برأسي، هل أقم بزيارة مفاجئة لمنزله، لقد قابلت زوجته وابنتيه بإحدى المناسبات، ولكن زيارة بدون موعد مسبق فعلة أكرهها بشدة وتثير غضبي، فهل أفعلها بغرض الاطمئنان عليه؟ هل سيغفر لي هذا القلق؟ أظنه سيتفهم.

وصلت إلى منزله مستخدمًا المصعد، ضربت الجرس ففتحت زوجته الباب بسرعة، ذكرتها بنفسي فرحبت بي، فسألتها عن مراد، فأجابت بأنه ذهب للعمل مبكرًا ولم يعُد إلى الآن، فألقيت هذا السؤال دون تفكير:

- هل رأيتيه وهو يخرج صباحًا؟

- لا، يبدو أنه خرج مبكرًا قبل اِستيقاظي.

- هل هاتفتيه للاطمئنان عليه؟

- لقد نسى هاتفه ولم يتصل بي منذ خروجه.

بدأت تشعر بالقلق من أسئلتي بينما أنا أنكوي به ولكني جاهدت كي لا يبدو على ردود أفعالي وحاولت التظاهر بأنها مجرد أسئلة لا أكثر ولا أقل.

ودعتها على أن تبلغه ضرورة الاتصال بي حين عودته، قد تكون كل مخاوفي مجرد أوهام في رأسي وقد يعود لبيته بين لحظة وأخرى، حقيقة تمنيت ذلك، مراد صديق أعتز به فعلًا، وأعده بمثابة أخ لي، لم يتأخر عني يومًا، أي مكروه له سيمزقني من الألم، دعوت بداخلي أن يعود في أقرب وقت.

وصلت منزلي والقلق يعتريني، شعور بالعجز يتنامى بداخلي، قرأت الأوراق مرات أخرى وبعد كل مرة تقف شكوكي أمامي معلنة التحدي، حاولت الخلود للراحة لعل الغد يحمل لي أنباء أفضل ولكن للأسف لم يحدث، تغيب عن العمل أيضًا ولم يتصل بالمنزل، غير أنهم أخبروا زوجته بأنه في مهمة عاجلة لن تحتمل التأخير ولم يجد معها الوقت الكافي للاتصال بها، لقد تصرفوا على هذا النحو حرصًا على عدم إصابة أهله بالذعر جراء الغياب وكذلك كي لا تشتم الصحافة خبرًا بما يحدث.

مراد في خطر ويواجه كارثة ككل هؤلاء الذين غابوا بسبب هذه الأسطوانة، ما العمل؟

في اليوم التالي توجهت إلى رئيس مراد في العمل مباشرَة، إنه العميد رشدي، رجل قوي البنية عالي الصوت قوي الشكيمة له هيبة تصاحبه من تلقاء ذاتها، قدمت له نفسي، فرحب بي بقليل من الكلمات وتفحصني متسائلًا عن سر طلبي لقاءه، فأخبرته:

- مراد صديق عزيز وأظن أن اِختفاءه ليس وراءه مهمة كما أخبرتم زوجته.

- أجئت لمكتبي لتكذبني؟ مراد في مهمة حين ينتهي سيعود لبيته وأسرته.

- والرائد عصمت أيضًا كذلك؟

"لقد تحدثت مع مراد قبل اِختفاءه، أعلم سرية ما أنتم بصدده، لم أتِ لهنا لأجل سبق صحفي أو نشر خبر، أنا فقط أريد الاطمئنان على صديقي، ولا أطلب منك حتَّى تفاصيل سيادة العميد، فقط أريد منك خدمة بسيطة".

نظر لوجهي محتارًا عن ماهية طلبي فأجبت سؤاله الذي طرحه بنظرات عينيه فقط.

- أعتقد أن بإمكاني مساعدة مراد ولكني أحتاج دعمكم، ما أريده باختصار اصطحاب أحد رجالكم معي لمنزله بحجة أننا نريد إحضار بعض الأوراق لمراد من مكتبه، هناك شيئًا بمكتبه أظن أنه سيساعدنا.

- وما الذى تود البحث عنه في مكتبه؟

- هناك أسطوانة...

وقبل أن أنهي جملتي قاطعني بتحفزٍ....

- أنت أيضًا ستقول لي أسطوانة وفيلم وما إلى هذا التخريف.

- لو كان تخريفًا ما كان اِختفى الرائد عصمت وبعده مراد، هل تظن سيادتك أنهم متهربون من العمل؟

- بالطبع لا.

- من فضلك سيادة العميد أنا لستُ قادمًا لإقناعك، أنت حر في قناعاتك بالطبع، ولكن دعني أتمكن من دخول مكتبه تحت حراستكم وأعينكم، لن أعبث بأوراق فقط سأخذ نسخة من الفيلم قد تساعدني في العثور عليه وكشف غموض ما يحدث.

فكر مليًّا قبل أن يجيب في هدوء:

- بالطبع ستخبرني بما ستتوصل إليه وإن كنت لا أظن بأن ذلك سيجدي نفعًا.

- إنها مجرد محاولة قد تفلح وقد تفشل لكني بالتأكيد سأطلع سيادتك على أي جديد.

بعد ساعتين بالضبط كنت في منزله وبصحبة أحد رجال الشرطة حديثي التخرج، كان من العسير توضيح الأمر لزوجته لكن الضابط تكفل بشرحه لها، بكلمات بسيطة وعبارات قصيرة:

- نحن بحاجة لبعض الأوراق من مكتبه، هو بخير لكن المأمورية قد تطول بضع أيام، لا داعي للقلق.

اِصطحبتنا لغرفة مكتبه، حاسوبه كان هدفنا الأول والأوحد، لم يستمر الأمر إلَّا دقائق معدودة، غادرت بعدها حاملًا معي أسطوانة شيطانية تصيب مشاهدها بعادة غريبة نوعًا، الاختفاء دون سبب واضح.

صار الفيلم بحوذتي، سيتضح لي كل شيء، وإن كان بعض من الخوف قد اِنتابني وقشعريرة سرت في جسدي في كل مرة أتخيل أني أشاهد هذا الفيلم ويحدث لي ما حدث لمشاهديه السابقين، هل كان من حقي طلب توفير حراسة من الشرطة بينما أشاهد الفيلم؟ تبًا للسخف، مراد تحرج من أن يفعلها وهو على علم بخطورة هذا الفيلم وله كل الحق في توفير الحماية لنفسه، بالتأكيد لن أتراجع الآن.

يبدو أنَّه حان الوقت كي أخوض التجربة بنفسي، لن تكون أولى حماقاتي ولا

آخرها، ولن أكون الأحمق الأول أو الأخير، أعلم أن القبور زاخرة بجثث الفضوليين والحمقى، ولكنها طبيعتي التواقة لكل ما هو غريب، سأشاهد الفيلم وأنا أدعو من صميم قلبي ألَّا أندم، كان لدي يقين أن مشاهدتي للفيلم ستحسم كثيرًا من الأمور لكني كالعادة لم أكن أظن بأني بهذا القدر من السذاجة مهما اِتخذت من حذر وحيطة، ليتني تعلمت أنه لا داعي لشرب البحر للتأكد من ملوحة مياهه.

على سبيل الحذر اِتصلت بسالي وهي صديقة صحفية تعمل بجريدة أخرى وترأس قسم المرأة والموضة، أرملة وتصغرني بسبعة أعوام تقريبًا وتكن لي مشاعر خاصة لم تحتج لكثير من تلميح لإبرازها، ولكن أدركت من الوهلة الأولى طبيعة ما ترمى إليه، لست الزوج المناسب لأي اِمراة، حياتي سلسلة من المغامرات يشوبها متاعب يصعب تحملها في وجود أسرة، كما أني لم أحقق كثيرًا من أحلامى بعد، صحيح أن العديد من الجرائد والمواقع تنشر لي بانتظام، وأن روايتي الأولى (حان وقت الأشباح) حققت نجاحًا باهرًا مقارنة بأنها أول أعمالي، ولكني لا أريد أن أثقل كاهلي بزوجة وأبناء، وعلى الرغم من وضوح موقفي تحمل لي كثيرًا من ود وإعجاب، لا أجرؤ على قول حب، يسمح لي ببعض العشم مِمَّا يجعلها تتحمل كثير من متاعبي دون أسئلة لا تُطرح في الوقت المناسب.

- ألو سالي, أريد منك خدمة، هل يمكننى أن ...؟

- بالطبع وهل لديك شك بأني سأرفض؟

- ربما تكونين مشغولة، فلا أريد ان أسبب لكِ أي إزعاج.

- تفضل، ليس هناك إزعاج.

- أريدك أن تتصلي بي كل نصف ساعة، في حالة عدم ردي في أي مرة أرجو إبلاغ الشرطة وبالأخص العميد رشدي، رقم مكتبه هو.....

- أهي إحدى مغامراتك؟

- أنتِ تعلمين لا داعي للشرح.

- ومدى الخطورة إلى أي درجة؟

- قد اِختفي.

- هل عثرت على طاقية الإخفاء؟

- لا يمكن العثور على ما ليس له وجود، تعرفين؟

- أين ستذهب؟

- أنا في المنزل ولن أبرحه، فقط اتصلي بي!

- سأفعل ولكنك مدين لي بالتوضيح في الوقت المناسب.

- بالتأكيد إذا بقيت حيًّا.

- ستبقى.

- لست واثقًا مثلك للأسف.

اِنهيت المكالمة ثمَّ أعددت الفيلم للتشغيل، هنا تذكرت أمر الخزانة، صاحب الأوراق ذكر سماعه لأصوات قادمة من الخزانة، لسوء حظي لدى فى كل حجرة خزانة مع اِختلاف أحجامها .

اخترت أصغر الحجرات الثلاثة, خزانتها أصغر ولدي مفتاح لها، أحكمت غلقها حتَّى صارت ثابتة يستحيل فتحها ما لم تُكسر من الداخل أو الخارج، أنرت المصباح فسطع الضوء لضيق المساحة وعلى أريكة قديمة لديّ جلست ومعي الحاسوب. كيف هبط الليل بهذه السرعة؟ هل حقًّا مرت هذه الساعات؟

ظهرت العبارة التحذيرية (ينصح بعدم المشاهدة لمن هم أقل من 16 عامًا) فقدمت الأسطوانة بضع دقائق بضغطة على فأرة الحاسوب ثمَّ ظهرت العبارة الأخرى

(الكبار فقط هم من يحملون هذا القدر من الغباء لمتابعة اللاشيء كل هذا الوقت، لذا فهم يستحقون ما هم مقبلون عليه).

للحق جعلت هذه العبارة قشعريرة طويلة تسري في جسدي، إذا كان هناك لحظة أخيرة للعودة.

فهى الآن، ولكني أصررت على حمقي.

لا جديد سوى تسارع دقات قلبي الذي يغلي في صدري الآن من فرط الترقب والحذر وبينما أشاهد الفيلم كما قرأت وصفه، إذا بصوت اِهتزاز جعلني أنتفض من مكاني وكان الحاسوب على وشك السقوط لينهي هذه المغامرة ولكني أمسكته في اللحظة الأخيرة بعدما تنبهت بأن هذه الهزة ليست سوى اِتصال من هاتف سالي جعل هاتفي يرتج محدثًا هذه الجلبة، رددت عليها وطمأنتها مع التأكيد عليها بإجراء مكالمة جيدة بعد نصف ساعة، الرجل الجالس يشاهد التلفاز يترقب بحذر هو الآخر، الكاميرا تقترب من الشاشة لتكشف عن مكونات الغرفة تُثبت الكاميرا لثوان على صوان في ظهر الرجل، هنا سمعت ضوضاء قادمة من المطبخ، قلبي يرتجف ويكيل الاتهامات لعقلي الذي سمح بالإقدام على مشاهدة هذا الفيلم اللعين، اِتجهت إلى المطبخ بخطى حذرة، هناك ضوضاء غير معلومة المصدر، أصغتُ السمع، إنها قادمة من شباك المطبخ أحدهم يحاول التسلل هكذا لمحت، أضأت مصباح المطبخ فاختفى هذا الشخص، فأغلقت المصباح ثانية فبدا هيئة جسده جلية خارج الشباك وقدمي تحملني بالكاد فصرخت بغرض إخافته فخرج صوتي مخنوقًا باديًا عليه الذعر!

من أنت؟

فاجأني الرد الفوري

- أنا مصطفى يا أستاذ أحمد لقد نسيت المفتاح بالداخل فحاولت الدخول للمنزل عبر شباك مطبخنا.

إنه بالفعل يحاول التسلل ولكن لمنزله وليس منزلي كما حسبت، أطلقت زفرة طويلة عقب اِستيعابي للأمر، عرضت عليه المساعدة ولكنه أخبرني بعدم حاجته

وشكرني فقد فعلها مرارًا من قبل في حالات مشابهة وقد اِعتادوا الأمر بشكلٍ عجيب فعلًا، تركته يكمل مهمته وعدت للغرفة لأجدها متخفية في الظلام عدا من ضوء الشاشة، من أغلق المصباح؟ أنا لم أفعلها، ضغطت على الزر فلم يتغير الوضع، قرر المصباح ألَّا يعمل لسبب غير معلوم رغم حاجتي الماسة له،

بسرعة حملت الحاسوب واتجهت إلى غرفة أخرى وقبل أن أضيء مصباح الغرفة، علا صوت فرقعة اِكتشفت بعدها اِنفجار مصباح الغرفة، لا أدري طبيعة الاتفاق المبرم بين مصابيح الغرف لكنهم اِتفقوا على التوقف عن العمل نهائيًّا في هذا اليوم عدا مصباح ضوءه أصفر قادم من الحمام في جانب منفصل من المنزل.

من جديد أجلس ململمًا شتات نفسي، لقد اِنطلقت الرصاصة ولا سبيل لوقفها ولن يعود الزمن للوراء ولو قليلًا، لا بد أن أفهم أيًّا كانت العواقب، مع إصراري العنيد بدأت رسالة جديدة تتجمع على الشاشة أمامي:

(لست وحدك، لقد حضروا إليك، فلا تتلفت وراءك الآن)

هنا قلبي أعلن العصيان وتضاعفت دقاته بشكل جعل نقاط العرق تتجمع فوق جبيني، بينما أناملي توقفت مؤقتًا عن الحركة ورقبتي وددت لو ثبتها للأبد بحيث لا تخطئ ولا تتمكن من الاستدارة وترى ما لا يجب أن يُرى، أنا خائف، أنا أرتعد، أنا مرعوب، تلاشت الرسالة الأخيرة وظهرت أخرى بلغة غريبة الحروف لم أصادف مثلها يومًا ولكن لشدة العجب أفهمها بوضوح:

(هل أنت جاهز للانضمام لنا؟ اِقترب أنت بدلًا من أن نفعل نحن!)

بدأت الخزانة المنزوية في ركن الغرفة تهتز رويدًا رويدًا، إنهم بداخلها! من هم؟ تمنيت لو أعرف وقتها كنه من حضر وسكن خزانتي ويدعوني للانضمام لهم؟ لماذا لا أفقد الوعي وينتهي كل هذا كما يحدث في الأفلام؟ لماذا نسيت أمر الهاتف تمامًا؟ لماذا لم أغادر المنزل ببساطة كأي إنسان من العصور الحجرية وجد ثعبانًا ضخمًا ولا يملك أدوات قتله ففر هاربًا بشكل مؤقت لحين العثور على الحل الآمن؟

الظلام يزداد من حولي، الضوء القادم من مصباح دورة مياه المنزل اِهتز مئات المرات جاعلًا المشهد كابوسيًّا قبل أن يخفت تمامًا، الشاشة تزداد سوادًا.

نهضت متجهًا إلى الخزانة، اِقتربت وأصوات ملعونة منبعثة تكاد تزغرد فرحًا بقدومي أو لعلها تعوي، نظرت إلى الخزانة التي تهتز بلا هوادة مددت يدي لأفتحها وقلبي يشعر بأنها لحظاته الأخيرة، بكلتا يديّ فتحت الضلفتين العريضتين قبل أن تمتد لجسدي عدة أيادي تجذبنى بعنف للداخل، هناك طرقات سريعة قوية على باب المنزل، من الذي جاء في هذا الوقت؟ ولأي سبب؟ لم أتبين لم أفهم، لم أملك الوقت الكافي ثمَّ صرخة مدوية اِنطلقت من حلقي وأنا أشاهد ما كان تحويه الخزانة قبل أن تمتد أيادٍ أو مخالب لا أدري لتخرس فمي للأبد، أو هكذا ظننت وقتها.

الطرقات تزاد بعنف على الباب:

- اِفتح يا أحمد... اِفتح يا أحمد!

ثمَّ اِقتحمت الشقة قوة من الشرطة مؤلفة من عدة عساكر وبعض أمناء الشرطة يقودهم ضابط لم نتبين وجهه بعد بسبب غرق المنزل في الظلام، يتجهون جميعًا إلى الغرفة التي كان يجلس فيها أحمد منذ قليل حاملين معهم كشافات قوية أزالت الظلام المحدق في الشقة بأكملها بينما هناك فتى يحاول إصلاح ما أصاب الكهرباء من عطل.

أعطى ذو الرتبة أوامره بالبحث عن أحمد ثمَّ اِتجه إلى الخزانة التي كانت بالغرفة وهم بفتحها فلا يجد سوى بعض المفروشات القديمة وقطع الملابس، أين ذهب أحمد أو أين اِختفى؟ وكيف؟ لقد كان بالمنزل منذ لحظات، الكاميرات التي وزعت باحترافية والمايكروفونات التي زرعت بأماكن متفرقة منتقاة تؤكد ذلك ولا تفسح للشك مسلكًا.

يخرج قائدهم الهاتف من جيبه ويجري اتصالًا:

- رأفت باشا؟ لم نجد لأحمد أثرًا!

- كيف ذلك؟ هل تبخر؟ اِبحث جيدًا!

- للأسف لا وجود له يا سيادة العميد هنا.

- لا ينقصنا اِختفاء جديد، وألغاز جديدة، نحن في موقف حرج يا مراد، ألم يكن ذلك اِقتراحك وأنت من خططت لذلك؟

- نعم يا سيادة العميد، فأنا أعلم مدى تعلق أحمد بكل ما هو غريب، ولم يكن لديّ شك بأنه سيفعل تمامًا ما توقعته، اِختفائي سيحفزه لحثه على مشاهدة الفيلم بينما نحن نراقبه، لنحظى باليقين من مدى الدور الذي يلعبه هذا الفيلم في حوادث الاختفاء، إن كان له دور، ولكن لم يعد هناك شك في الآثار المفزعة لمشاهدة الفيلم، الأمر يفوق قدرات البشر، لا أدري كيف عرضت أحمد لهذا الخطر؟ لو حدث له مكروه ولا أدري ما هو أفظع من اِختفاءه فلن أسامح نفسي أبدًا، لولا تعليمات سيادتك بعدم مشاهدة أي من رجال الإدارة لهذا الفيلم، لما وقعت في هذا الأمر.

- لا تلم نفسك أكثر من اللازم وحتمًا سنصل إلى نتيجة، ثمَّ إنه لم يكن بوسعي السماح لأحدكم بمشاهدة الفيلم خاصة بعد اِختفاء الرائد عصمت واختفاء الخبير المبعوث للتحقق من الفيلم، أريدك منك الآن الهدوء وحصار منزل أحمد والبحث جيدًا في إطار دائرة قطرها كيلو متر ومعك كل الصلاحيات يا مراد حتَّى العثور عليه وباقي الأفراد.

((هناك قانون ثابت في هذا العالم، ما هو بالغ النقاء يجب أن يُدنس)).

إيميلي نوثومب

(8)

ميلنر – ناتالي
إسكتلندا

اِنفتح الباب بهدوء ودلفت ناتالي كما عهدتها أنيقة جميلة شعرها الذهبي ينساب على رأسها الصغير بينما عيناها تتلألأ من القلق وهي تدور في الحجرة الواسعة، اِقتربت من السرير وهي تطيل النظر إليّ، كنتُ أظنها ستجري إلى وتأخذني في حضنها، ربما تبكي من فرط التأثر، لكني لمحت في عينيها نظرات ساخرة مستهزأة، ثمَّ خرجت مسرعة دون أن تنطق بحرف:

- ناتالي ، نااات.

قطع ندائي صوت طرق الباب ورائها بعنف، لم أفهم، لماذا فعلت ذلك؟

لماذا اِنصرفت دون كلمة؟ تبًا لهم جميعًا، اللعنة عليهم لماذا يعاملونني بهذا الشكل، أنا لا أستحق منهم ذلك، يجب عليّ مغادرة هذا الفراش واللحاق بها، لقد مر ثلاثة أيام منذ قدومي هنا وما زلت أسير الفراش أواجه وحوشًا على هيئة تساؤلات، نزعت كل ما يصل إلى ذراعي ووجهي من معدات ومحاليل، قدمي تؤلمني لكني ضغطت عليها فأنزلتها من الفراش وهي تئن، ولكن تغلبت إرادتي على ألمي، وبكلتا يديّ اِستندت على الفراش قبل النهوض على قدمي، جسدي في حالة وهن تام ولكني مُصر على المتابعة، يبتعد الباب عن الفراش بما يعادل أربعة أمتار، حسنًا سأجتازها بنجاح ولكن عليّ الإسراع قليلًا، وبينما أنا في منتصف

المسافة لمحت بطرف عيني من يراقبني في ثبات، أفزعتني المفاجأة، هل هناك أحد معي بالغرفة؟ متى وصل ولماذا لم أره؟ قلبي ينبض بعنف، عاودت البصر لمكانه، أنه مريض مثلي، يرتدي ...، كلا لقد جننت، أعاود البصر من جديد، أنا وحدي في الغرفة، ولكنه يراقبني من خلال المرآة، هذه المرآة التي تقع على ضلفة الصوان الخاص بالمرضى، إنها مسكونة، إنه يقف بثبات ويرمقني، اِقتربت منه، ولدهشتي رأيته يفعل مثلي يقترب هو الآخر، الحاجز الزجاجي يقع في منتصف المسافة الفاصلة بيننا تمامًا، يتفحصني باستغراب، وجهه بدأ مألوفًا، يعلوه الذعر أيضًا، إنه خائف مني كما أخشاه وأكثر، أنا أعرف هذا الوجه، إنه آندى، اِقتربت أكثر وفوضى الجنون تجتاحني، تنزعني من روحي، صرت أمام المرآة لا يفصلني عنها سوى نصف متر، وضعت يدي على وجهي وساكن المرآة يقلدني في كل حركة، يقلدني حد التطابق، يقلدني حتَّى أدركت بشاعة ما أنا فيه، كان الساكن بالمرآة هو آندي، والذي ينظر للمرآة هو آندى؟

لقد تحول الجميع لآندى، ولكنه نسخة خائفة ترتعد أمامي وتبكي، بالضبط كما أفعل، ما قام به آندى لا يمكن لبشر تصوره، إنه لم يطعنني غدرًا فقط، ولكنه منحني وجهه مدى الحياة لأتعذب به، هل أنا جننت؟ هل ما أراه هو حقًا آندى؟ أم أنه يخيل إليّ؟ أنا ميلنر ماجوير، أين وجهي؟ حتَّى هذا الجسد لا يخصني، ما الذي فعله بي هذا الحقير؟ سأحطم رأسه وأهشم عظامه اللعين، الدموع تتساقط مدرارًا حارة على وجه أتمنى لكمه حتَّى الموت، كيف سرق مني جسدى؟ كيف نقلني لجسده؟ هل جننت؟ أين هؤلاء الأطباء ليخبروني حقيقة ما حدث؟

على مدار يومين، ظننت أن هناك خطأ ما لم أدركه في وقته وحتمًا ستعود الأمر لسيرها الطبيعي، إما أني آندى بالفعل وسأنتبه لذلك في الوقت المناسب بعد أن أعود لرشدي بمساعدة الأطباء، وإما أني ميلنر وما أراه مجرد هلوسة من أثر الجريمة التي مررت بها بينما وجهي وجسدي كما هما، للأسف لم تعد الأمور لنصابها أنا ميلنر محبوس في جسد آندى، والأطباء يعاملونني كآندى، ورجال

الشرطة ليس لديهم علم عن من هو ميلنر الذي أدعيه، إنها أغرب حالة سرقة تعرضت لها أو سمعت عنها، أنا في جسد آخر بمثابة عدو لي بعد أن كان صديق، سأظل أسير سكناته وحركاته وملامحه، النظر إلى المرآة بات عذابًا لا يُحتمل، حتَّى الآن لا أدرِ كيف قام بفعلته؟ لماذا أنا؟ هذه المرة كان هناك إجابة، عثرت عليها لتطل عليّ الحقيقة بوجهها المخيف.

كان الطاقم الطبي يظن أن الحادث أثر بشكلٍ ما على الذاكرة أو سبب صدمة نفسية جعلتني أظن أني آخر، وكان عليهم الانتظار للتأكد قبل إبلاغي، ولكن بعد إدراكي للأمور، لم أرد أن أزد الأمور سوءً فتعاملت وكأني آندى كما توحى كل المعطيات، ورغم قيامي بذلك لتخفيف العبء عليهم كافئوني بصدمة جديدة.

هذا الجسد الذي صار يحتويني ليس سليمًا تمامًا، إنه مصاب بمرض نادر وغريب بعض الشيء لم أسمع عنه من قبل يسمى التصلب المتعدد (التصلب اللويحي) وهو مرض مناعى يؤدى إلى الشعور بالإنهاك حيث يقوم الجهاز المناعي بمهاجمة نفسه، مرض يضرب الأعصاب ويؤثر على الاتصال بين المخ وباقي الأعضاء بشكل يجعلك غير قادر على السيطرة في كثير من الأحوال على حركات جسدك، أعراضه متعددة وسخيفة وقد تسبب لك مشكلات صحية أكبر لو لم تجد العناية الكافية ومن أهم هذه الأعراض الشعور بالخدر في الأطراف والتنميل قد يصل إلى حد الشلل المؤقت، التهاب في العصب البصري قد يؤدي إلى فقدان كلي أو جزئي للبصر بجانب ضبابية الرؤية أحيانًا وعمى الألوان، تعرض الجسد لرعشات أشبه بضربات كهربية تؤدي إلى فقدان التوازن والغياب عن الوعي، تظهر هذه الأعراض بشكل مفاجئ وقد تختفي لبعض الوقت حتَّى لتظن أنك شفيت ولكنها قد تعود مع أقل مجهود أو ضغط عصبي، لتجد نفسك غير قادر على السيطرة على جسدك ويصبح مجرد الذهاب إلى المرحاض عمل شاق، التفكير بعملية حسابية قد يحتاج لطاقة ذهنية وعصبية تستنزف قواك، داء غير معروف الأسباب وليس له علاج جذري، فقط أقصى ما يمكنك إنجازه خفض حدة المضاعفات والأضرار التي تصيبك

من وقت لآخر ولكنها سترافقك مدى الحياة، جسد منهك معلول يبدو صالح للاستخدام ظاهريًّا ولكنه بحالة مزرية من الداخل، ربما هذا هو السبب وراء ما فعله آندى، الحصول على بدن معافي والتخلي عن هذا الجسد العليل.

قبل أن يسمح لي الأطباء بخروجي من المشفى على مسئوليتي الخاصة، هناك مهمة شاقة بانتظاري وهي إقناع ناتالي بأني أخوها، كان أمرًا شاقًّا أن تثبت أنك نفسك، حياتك وأفعالك وسلوكك حتَّى مشاعرك من الصعب التوثق منها لو اِختلفت هيئتك، لو اِستبدلت جسدك.

بعد إلحاح وافقت على طلبي بلقائها عقب سيل من الاتهامات بأني مجنون عاطل ليس لديه ما يشغله وتهديدات بأنها ستوافق ولمرة واحدة فقط وإذا تكرر الأمر فهي قادرة على إخفائي للأبد. ناتالي من النوع الذي لا يقدر على إيذاء ذبابة لا تكف عن ملاحقتها ولكنها في الوقت ذاته قد تفقد أعصابها للحظة لتفاجأ بأنها اِرتكبت جريمة لتوها.

إلى المطعم الذي تحب ما يقدمه دعوتها، جاءت وعلامات الضيق تحتل كل ذرة في وجهها، جلست صامتة وأنا لا أعرف من أين أبدأ، جاء النادل فطلبت لها قطع البرجر مع سلاطة الزبادي وكوب المياه الغازية، وجبتها السريعة المفضلة، لاحظت ذلك فابتسمت ابتسامة صفراء قائلة:

- نصف عدد الزبائن وكل العاملين هنا يعرفون طبقي المفضل.

هل يعرفون أن جيم كاري فنانك المفضل، هل يعرفون أن Eternal Sun-shine of the Spotless Mind هو فيلمك المفضل، هل يعرفون أنك لا تطيقين أفلام الرعب هل يعرفون أنك تقيأتي ونحن نشاهد فيلم Saw سويًّا.

نظرت لعيني مباشرة في تحدٍ:

- ما تقوله ليس دليل على أي شيء، قد يكون ميلنر حكاه لك بشكلٍ أو بآخر.

- هل سيحكي لي أيضًا عن مغامرتك العاطفية الأولى مع ويلباك؟ هل سيحكي لي

عن خيانته لكِ؟ هل سيروي لي كل قصص العاطفية مع باتريك وهادسون وديف؟ هل سيروي لي الجملة التي ذكرتها لنا والدتنا والتي تجعل جسدينا يقشعر فضلًا عن الدمعة التي تتلألأ في أعيننا حين نتذكرها وهي تقول لنا قبل الوداع "سأظل أحرسكما، سأبقى دومًا معكما حتَّى وإن لم تروني".

- حسنًا أيها السيد، لقد أثبت أنك تعرف الكثير عني وعن ميلنر، أيًّا كانت وسيلتك لذلك لكن كل ذلك لا يثبت أنك أخي وأنه يتوجب عليّ تصديقك، بل على العكس هذا يخيفني منك أكثر، ميلنر تليفونه غير متاح ولم يتصل بي منذ فترة، لو أن مكروهًا أصابه فإنك المتهم الأول، وجلوسي معك ليس سوى لمعرفة المزيد من التفاصيل عنك.

- أنا أعيش بجسد آخر، هو الذي فعل بي ذلك؟ لا أملك تفسيرًا كيف فعلها، قولي لي ما الذي يعرفه أنا وأنت فقط ولا أحد سوانا؟

- قد تكون أجبرته ليخبرك بكل شيء.

- لو كان كذلك فلابد أن أمرًا ما سيفوتني، يصعب حمل شخص على الإخبار بكل تفاصيل 30 عامًا من عمره، أليس كذلك؟

بعد تفكير طويل رأيت في عينيها نظرة رضوخ للأمر وهي تبحث في أركان ذاكرتها عن حادثة تصلح للاختبار.

- قبل 15 عاما كسر أحدهم سِن ميلنر ونزف الدماء من فمه، هل تعرف السبب؟

- مايكل زميلي في الدراسة، أخبرني بأن علاقة كانت تربط بين والده وأمنا، فكسرت أنفه وهو كسر لي سني.

- ما الذى حدث له بعد ذلك؟

- والده قُتل في الليلة التالية وأمه اِنتقلت به للعيش في مدينة أخرى.

- من قتله؟

أمسكت بيديها وأنا أرتجف بالفعل بينما هي تحاول التغلب على دموع تسعى للفرار من عينان محمرتان:

- أنتِ قمت بذلك، واتصلت بوالدي بعدها وهو تولى الأمر.

ثمَّ بعد دقيقة صمت تذكرت "ولكنك لم تقُلي لي أبدًا عن سبب قيامِك بهذا".

دارت وجهها براحتها اليمنى وسمعت نحيبًا قصيرًا:

- ميلنر لم يسألني أبدًا عن السبب من قبل؟

- وآن الأوان أن أسأل.

- كلا لم يئن الأوان لئن أجيب.

لم تستطِعْ إنهاء الجملة وأخذ صدرها يعلو ويهبط بينما دمعة فرت من عيني أعقبها دقيقة صمت.

نهضت وهي تقول:

- لا شك كان هذا اللقاء لصالحك، سيجعلني أعيد التفكير في الأمر.

وانصرفت مسرعة.

”السفن تنعم بالأمان على الموانئ، لكنها لم تُصنع لأجل ذلك“.

جريس هوبر.

(9)

صلاح - نور - عصام شاهين

في الموعد المتفق عليه في الرابعة عصرًا اِلتقطتهما سيارة مرسيدس سوداء يقودها سائق حسن المظهر، قدم لهما نفسه بإيجاز، سأله عن الوجهة فتعجب لعدم علمهما ثمَّ أخبرهما بشيء من المرح بأنهما سيعرفان من الطريق، بعد تحرك المرسيدس قدم لهما قطعة من الشوكولاتة المستوردة، بعدها بدقائق بدأت نور تميل إلى كتفه ثمَّ لاحظ أن رأسها يترنح تدريجيًّا حتَّى راحت في النوم، لم يشأ إزعاجها، تبدو مرهقة، ولكن هل الملائكة يُرهقون؟ لا أصدق أنها بهذا القرب مني و أن... لولا هذا السائق لمنح وجهها قبلة طويلة لا تنتهي، الطريق طويل ومقصدهم يبدو بعيد.

وصلوا إلى الفيلا، كان في اِستقبالهم خادم صاحب وجه أسمر يعلوه شعر أكرت يرتكز على جسد ضخم يرتدي حلة سوداء وقميصًا أبيضًا، دلهما على حجرتيهما لتغيير ملابسهما.

بعد أن أخذ صلاح حمامًا دافئًا، ألقى بجسده على الفراش، وجال ببصره في أنحاء الغرفة التي سيطر على جدرانها اللون البرتقالي الخفيف، الفراش وثير عرضه متر ونصف، لغرفة لها رائحة زكية برغم البرودة وإضاءتها معتدلة ليست ساطعة أو خافتة ولكنها مريحة بشكل كبير، اِتجه إلى باب الغرفة المغلق، فأدار المقبض

بحذر وغادر الغرفة ليجد نفسي على بعد مترين من سور خشبي مطلي باللون الأبيض طوله لا يتجاوز المتر يمثل درابزينًا لدرج درجاته عن اليمين واليسار، عن يمينها ويسارها عدد من أبواب غرف مغلقة سرعان ما سمع أحد مزاليج الباب يتحرك، كانت نور تقف على عتبة باب إحدى الحجرات على يمينه، قابلهما الخادم من جديد بلهجة تخلو من الود:

- أهلًا بكما، أستاذ عصام في اِنتظاركما.

تبادلت ونور نظرات الدهشة، وفي غرفة مكتب واسعة جلس الرجل بانتظارنا حيانا في هدوء، ثمَّ أوضح بطريقة بسيطة:

- أعتذر عن طول الطريق، يبدو أنه أصابكم بالإرهاق، لا أريد التعجل ولكني أود أن تتعرفوا على اِبنتي جوليا.

ثمَّ طلب من علوان أن يصطحبهما إلى غرفة اِبنته المستطيلة الفسيحة، الفراش يتوسط أحد أضلاع الغرفة، يعلوه مكتبة تحوي قصص أطفال ورسوم عجيبة، ثمَّ يقع صوان صغير في ركن الغرفة المملؤة بألعاب الأطفال، هناك قابلًا الزوجة والتي تبدو أصغر كثيرًا من زوجها، ترتدي كنزة صوفية فضفاضة، في بداية الثلاثينات حسبما خمن، لها وجه أسمر مريح وشعر أسود ناعم ولكنه غير مصفف بعناية، قوام رشيق ولكن نظرتها قلقة تصيبك بالارتباك وكأن مصيبة على وشك أن تقع، اِلتمس لها العذر، اِبنتها في حالة حرجة تستلزم متابعة دقيقة ليل نهار، كانت الطفلة رقيقة للغاية، نظراتها ثابتة كأن هناك ما يستحوذ على بصرها للأبد في اِتجاه واحد فقط، ولكنها لا تشبه والدتها يبدو من لون بشرتها وملامح وجهها أنها ورثت أكثر من الأب الذي يبدو كان وسيمًا حتَّى وقت قريب، من الوهلة الأولى خطفت قلب نور التي تعاطفت معها ومع والدتها أيما تعاطف، على الفور ساعدتها نور في الجلوس على الفراش بشكل أكثر راحة، شكرتها بلطف، أمَّا الأم فلدهشته لم تنطق

بكلمة، كل ما منحتهما إيَّاه ابتسامة سريعة غير مطمئنة وكأنهما وغدان لا يجيدا عملهما الذي لم يبدأ بعد.

كان تعارفًا باردًا على أي حال، بالطبع لم يتوقع صلاح استقبالًا حارًا كأن تستقبلهما الزوجة بالزهور، أو تمهد لهما الأرض بالرمال ولكن يمكن وصفه دون غضاضة بأنه اِستقبالًا مخيبًا للآمال له ولنور.

بعد قليل حضر إلى الغرفة فتى صغير عرفا أنَّه هادي، الأخ الأصغر لجوليا، يشبه والدته في الملامح أكثر، عيون ذكية، شعر طويل يتلائم مع وجهه الملائكي، في الدقائق الأولى التي جمعتهما به علما أنَّه سيكون المرافق الأول والألطف والأهم، طفل جميل لا يمل صحبته، خاصة وأنه ليس شقيًا أو ثرثارًا أو يتصنع الظُرف أكثر من اللازم.

بعد هذا اللقاء الفاتر، طلبت منهما الزوجة الذهاب لغرفتهما طلبًا للراحة حتَّى يحين موعد الغداء في الرابعة عصرًا.

عاد إلى غرفته وهو يفكر كيف ستمر الأيام القادمة وهو حبيس هذا المنزل، لقد ضمن مميزات هذا العمل براتبه وخصوصيته واعتادها أسرع من اللازم، وحان الوقت للتفكير بشان سلبيات التواجد في مكان واحد لفترة طويلة، لاحظ وجود عديد من الصور والتابلوهات متفرقة هنا وهناك، ألوان وأحجام متباينة، لا بد أن هذا الرجل وزوجته يكنان تقديرًا خاصًا للفن والرسم تحديدًا؛ لأن حتَّى غرفة الطفلة لم تخلو من تلك الأعمال الفنية، ذهب لأخذ حمام دافئ يخفف من برودة الجو لديه قليلًا، واستبدل ثيابه بملابس أقل رسمية لكن تحفظ وقاره بين أفراد الأسرة، ومع قرب موعد الغداء فتح الغرفة للذهاب لغرفة الطعام التي تجمع شمل العائلة، ما إن فتح الباب حتَّى خرجت نور من غرفتها، حسبها صدفة هي التي جمعت وقت خروجهما، ولكنها همست له وهي تقف أمامه مباشرة

وقد بدت أكثر جمالًا وشعرها المبتل قليلًا يغطي جانبي رأسها وأسنانها البيضاء تتلألأ داخل ثغر ضفتيه مزروعة فراولة طازجة:

- لا يوجد هنا أي تغطية للهاتف، أحاول الاتصال بك منذ نصف ساعة دون جدوى.

- لا بُد أن شبكتك هنا ضعيفة.

ثمَّ أخرج هاتفه ليبرهن صحة كلامه فوجد أنَّه لا تغطية هنا أيضًا لهاتفه فقال مستدركًا:

- كان ينبغي عليهم إخبارنا بأي الشبكات هنا ذات التغطية القوية، لنضع ذلك في حساباتنا.

امتعضت نور قليلًا وتنهدت قبل أن تسأل:

- كيف سأطمأن وأطمئن والدتي؟

- لا تقلقي سنجد طريقة لذلك، ربما تعود التغطية أو نستعين بهاتف آخر ثمَّ اِقتربت منه أكثر حتَّى ملأت أنفه مجموعة روائح أنثوية محببة ما بين كريمات وشامبوهات وهي تقول:

- تصور كل هذه الأناقة والفخامة والتجهيز، ولكنهم نسوا أن يضعوا ولو مرآة واحدة في الغرفة.

- غرفتي مجهزة بكل ما يلزم حقيقة الأمر، فراش واسع وصوان مقبول الحجم ومكتب صغير وقطعتي من الكومود، وشاشة تلفاز كبيرة، لو أني نزلت بفندق خمسة نجوم فلن أجد ما هو أكثر، يمكننك اِستخدام مرآة الحمام.

- حتَّى تلك غير موجودة، سأطلب منهم توفير واحدة، لن يكون بالأمر المعجز لهم، لا بُد وأنهم نسوها سهوًا.

أمَّا هو فأخذ يفكر بأنَّه حتَّى لم يلحظ ما إذا كان هناك مرآة في غرفته أو

الحمام الملحق بها أم لا، لقد مشط شعره سريعًا دون الحاجة لمرآة، بالطبع هذا عسير على فتاة تحافظ دومًا على مظهرها وطلتها. سيتدبر هذا الأمر.

على المائدة لم يكنْ هناك سواهما وهادي وقد أخبرهم الخادم أن الزوجين يعتذران عن تناول الطعام معهم، لم تطل دهشتهما واعتبرا وجود الطفل يخفف قليلًا من الأمر، خاصة وأنهما لن يكونا على راحتهما في تناول الطعام بشكلٍ كامل في وجودهما.

في الحقيقة كانا يأكلان وحدهما بينما الطفل يراقبهما مع اِبتسامة بريئة.

- لماذا لا تأكل يا هادي؟

- لست جائعًا ولكن والدتي طلبت مني تناول الغداء.

- أنت تنفذ نصف طلبها فقط.

فابتسم الطفل ثمَّ تناول قطعة من المكرونة في تردد وشعر بأنَّه يخشى أن يخبر والدته، فصحح:

- لا تخف، لست واشيًا، اِفعل ما تريد.

فترك الشوكة على الفور وابتسامة عريضة تعلو وجهه ووجه نور، يشعر أنه محظوظ بوجودها جواره الآن، يثق أن إعجابه بها في طريقه إلى اِفتنان وإن طالت الأمور أكثر سيصير إدمانًا يصعب علاجه.

عقب الغداء ذهبت نور للأم الغير ودودة، تبادلا حديثًا قصيرًا، يبدو أنها تطلعها على كافة الأدوية التي تتناولها الصغيرة ومواعيدها وجرعاتها، قليل من الأعباء التي تثقل عاتقها تلقيه على عاتق نور، بعدها يأتي دوره في تحسين قدراتها ورفع اِستجابتها للمؤثرات الخارجية كخطوة أولى قبل مشاركتها المرحلة التالية في القيام ببعض الأنشطة البسيطة إذا ما تجاوزت المرحلة الأولى بنجاح، كما علم من الأم بأن جولي تنطق ببعض كلمات أو جمل قصيرة بشكل مفاجئ ودون أن تعي معناها.

قرأ التقرير الطبي الذي يصف حالتها، معدل الذكاء أقل من خمسين، الاستجابة للآخرين ضعيفة للغاية، تبدي اِهتمام ضئيل للغاية بالصور والألوان.

التقرير بدا غير مشجع، في مثل هذه الحالات لا يمتلك وسيلة إلَّا الصبر، وقد لا تأتي مجهوداته بالنجاح المتوقع، كل شيء يتوقف على مدى اِستجابة الحالة لك وللأنشطة التي تمارسها معها.

في تمام التاسعة ذهب الطفلان للنوم، كل منهما له غرفة خاصة، نور ستعتني بها ليلًا، ستبيت معها في حجرتها، هناك فراش معد لها هناك، مع بواكير الصباح يمكنها الذهاب لغرفتها وأخذ قسط أوفر من الراحة حيث تكون الأم قد نهضت، ويمكنها العناية بجوليًا ذات الشعر الأصفر والنظرة الشاردة التي تقطعها اِبتسامات عشوائية موجهة لزوايا متناثرة وكيانات تستقر في رأسها فقط ولا يراها سواها.

أمَّا صلاح فاتجه إلى غرفته الواسعة، أضاء الأباجورة المستقرة على الكومود بجوار الفراش وجلس على حافته، لم يكنْ من هواة النوم المبكر، يتعذر عليه تفويت الليل في النوم وحده، كان من أولئك الذين يتخذون من الليل بداية حقيقية لليوم، ولكن ليله قبل العمل هنا كان عامرًا بالأحداث، لقاء أصدقاء، التنزه معهم، مشاهدة الأفلام في دور العرض، متابعة المباريات، زيارة أختيه المتزوجتين واللعب مع أبنائهما، أمَّا هنا فلا وجود لذلك كله، حتَّى الهاتف اللعين لا يلقي تغطية، هكذا اِنقطع تمامًا عن العالم الخارجي، وبقى أسير هذه الغرفة من جديد يستدعي وجه نور في خياله، نظرتها له، شغفها به، و.....

وقع بصره على اللوحة التي تشغل مساحة كبيرة من الجدار أمامه، كانت تمثل صورة لرجل يصرخ رافعًا يديه بمُحاذاة رأسه وعيناه متسعة ذعرًا وفمه مفتوح ووجهه قد اِستطال من شدة الخوف، يعطي ظهره لجسر فوق مسطح مائي بينما خلف هذا الرجل من أعلى سماء حمراء دامية، وفي الخلفية يبدو شخصان يعتمران قبعتين، وخلفهما منظر طبيعي من التلال، مزيج من الارتباك والقلق لف

به وهو يحدج هذه الصورة، هل الرجل ينظر له؟ أمعن البصر قليلًا، لا إنه ينظر وراء صلاح، ماذا لو كان هذا الرجل يصرخ نتيجة ما يراه وراء صلاح؟ اِلتفاتة واحدة تجيب على السؤال الذي أطل من نافذة عقله، ولكن لسبب لا يعلمه اِستثقل هذه الالتفاتة، ثمَّ أعاد البصر من جديد لهذا الصارخ، فأكد له صدق شعوره، ما يقع وراءه مخيف لا يستوجب الالتفات بل الهروب، توتر صلاح أيما توتر، وشعر بارتفاح درجة حرارة الغرفة فجأة، هناك نقطة من العرق تتشكل على جبينه، يستشعر حرارتها، ويديه لا تطاوعه حتَّى ليزيله بأصبعه أو يستخرج منديلًا من جيبه، كان كمن لديه مهمة عاجلة يتوجب عليه القيام بها ولكنه يخشى نتائجها، ودون أن يعطيه رأسه الإجابة المقنعة، اِلتفت رغمًا عنه وكأنه مدفوع للالتفات بشكل لا إرداي للتخلص من عبء ثقيل، وليته ما فعل، هناك شيء تحرك من وراءه بسرعة البرق، وما إن أكمل اِستدارته حتَّى تلاشى تمامًا، اللعنة على لعبة الظلال هذه ربما يكون ذلك بفعل الضوء الخافت والظلال، اِنتصب واقفًا ولمس وهنًا يصيب أعصابه، وارتعاشة تسري في أوصاله، داهمه شعور بأن هناك من يحدق به من الخلف ثانية، فالتفت من جديد بسرعة لتخرج شهقة قويَّة من صدره المنتفض وهو يرى هذا المذعور داخل اللوحة، عليه ألَّا يطيل النظر لهذه الوحة المخيفة، بالطبع لا يعرف إنها واحدة من أشهر الأعمال للفنان النرويجى أدفارت مونك والتي رسمها في نهايات القرن التاسع عشر ويقدر ثمنها بملايين الدولارات ويعاد طبعها ورسمها وبيعها في شتى بقاع الأرض كواحدة من أكثر الصور التي تجسد العصاب والخوف الإنساني.

((إلى أن يتعلم الأسد الكتابة، ستظل كل القصص تمجد الصياد)).

مثل أفريقي.

(10)

مراد – عصمت

بعد يومين:

يستيقظ مراد وزوجته في غرفة نومهما على صوت الهاتف الذي يرن بإلحاح، أضاء الأباجورة فسطع ضوء بسيط قربه، الساعة تشير للثانية بعد منتصف الليل، لم يكنْ التليفون قريبًا من الفراش فنهض مزيحًا بطانيته شاعرًا ببرودة الجو خارجها وهو يلعن الهاتف ومخترع الهاتف والمتصل، دون أن يتعرف على المتصل رد بغيظ:

- ألو!

- .....

- حقًا، متى حدث ذلك؟ منذ ساعة وكيف حاله؟ بخير ... الحمد لله، أين هو الآن؟ في منزله

حسنًا سأهاتفه، لا داعي للاعتذار أشكرك على الاتصال.

أغلق الخط فاستفسرت زوجته بصوت هامس تحاول أن تغالب نومها:

- لقد عاد عصمت؟

- عصمت من؟

- أكملي نومك يا هيام، سنتحدث في الصباح.

أبدل ملابسه بسرعة واصطحب مفاتيحه قبل أن يغادر المنزل، خلال الطريق

حاول الاتصال بعصمت مرات ومرات بعد أن عاد هاتفه للعمل حتَّى قام بالرد عليه وأبلغه بحضوره، وصل إلى منزل عصمت في تمام الثالثة قبل الفجر، اِستقبله عصمت الذي بدا في حال جيدة رغم اِختفائه الأيام السابقة، لا داعي لشرح أن أطفاله كانوا متيقظين اِحتفاء بعودة أبيهم.

اِصطحبه عصمت إلى صالونه الفاخر ودعاه للجلوس على أحد مقاعده المطعمة قوائمه بالذهب، بدا أن عصمت يتحاشى تلاقي النظرات مع مراد، أغلق عصمت باب الحجرة ورائهما فهم مراد بإلقاء السؤال الذي لا مفر منه:

- ما الذي حدث؟ أين كنت يا عصمت؟ تكلم لم أستطعْ الانتظار لملاقاتك في الصباح.

- أظن أنه لن يكون ممكنًا الحديث هنا، هل ذهبنا إلى أحد الكافيهات لنتحدث بأريحية؟

نظر مراد لساعته وسأله: وهل سنجد أحدهم متاحًا الآن؟.

- لا تقلق أنا أعرف واحدًا في الزمالك لا يغلق أبوابه إلَّا مع شروق الشمس!

وتحت أشعة أضواء هادئة تنبثق من سقف المكان بألوان الأبيض والأصفر والأخضر ليصنع خليطًا عجيبًا جعل الرؤية مشوشة قليلًا وكأنك تشاهد حلمًا أثناء نومك لايسعك أن تستوعب كل التفاصيل وتحتاج لمزيد من التركيز للإلمام بصورة واضحة عن أرجاء المكان الذي كان برغم تأخر الوقت مزدحمًا إلى حدٍ ما ولكن يبدو أن عصمت زبون معروف للعاملين بالمحل الذي هو خليط من كافيتيريا ومطعم وملهى لطبقة معينة قادرة على اِرتياده وتجمع أفرادها ثقافة متحررة تبدو جلية في أزياء الحاضرين وأغلبهم من الشباب في العقد الثالث من العمر.

بمجرد دخول عصمت حياه أحد النادلين:

- عصمت باشا... أهلًا بك، سأعثر لك على مكان حالًا.

لم يطل اِنتظارهما أشار لهم النادل بأدب فانطلقا إليه ليجدا مقعدين على واحدة من الطاولات بركن ما، وبمجرد أن اِستقرا ارتفع صوت مراد قليلًا:

- ما هذا المكان يا عصمت؟ لم نأت لقضاء سهرة هنا، أريد أن أعرف ما الذي حدث في الأيام الماضية ولا أظن أنه المكان المناسب للحديث.

- كل شيء بدأ هنا، فى هذا المكان رأيتها؟

- من هي؟

- اِسمعني ولا تقاطعني أرجوك، بداية هل تثق في بشكل كامل؟

- هل هذا سؤال؟ بالطبع يا عصمت.

- إذن إليك ما حدث.

بعد أن تسلمت ملف القضية بشأن هؤلاء المختفين، كانت كل الأدلة تسير باتجاه واحد هو هذا الفيلم، الكلام يبدو غير منطقيًّا بالمرة، إنها نكتة أو طرفة أكثر منها حقيقة، لذا لم يساورني خوف أو قلق لمشاهدة هذا الفيلم بل على العكس الفضول دفعني أكثر للمشاهدة، وكما توقعت كان المحتوى فارغ، هراء في هراء، مشاهد سخيفة كُتبت عليها تعليقات قد يراها البعض مُرعبة وأراها صبيانية لجذب الانتباه لما يحمله من مشاهد متكررة، أصابني الملل والإحباط، لم تقُدني مشاهدة الفيلم لأي خيط يساعد في حل القضية، أخذت نفسي إلى هذا المكان رغبة مني في إلقاء متاعب العمل وراء ظهري لقليل من الوقت، زوجتي لم تلحظ نزولي كانت قد راحت في النوم وآخر مشاهدتها لي وأنا جالس أمام الحاسوب أتابع الفيلم، وصلت إلى المكان هنا، لم يختلف الوضع كثيرًا ليلتها عن الوضع اليوم، لديّ معارف هنا، وأصدقاء يجمعنا فقط المكان ليس أكثر، ولكن في هذه الليلة اِختفوا تمامًا، جلت ببصري في المكان، لم ألحظ وجود أحدهم أبدًا، حينها وقعت عيني عليها على تلك الطاولة التي هي أمامي ووراء ظهرك، أتراها؟ كانت تجلس وحدها، اِمرأة شابة بادى عليها الإرهاق والقلق، ولكنهما لم ينجحا في إخفاء هذا

الحسن الذى ينضح من جنبات وجهها، ممسكة بسيجارة كانت تقضمها لا تدخنها، رن هاتفها فأخرجته من حقيبتها البيضاء الصغيرة، كانت تجيب بكلمات قصيرة مقتضبة، علقت بأذني بعض الكلمات مثل (طبعًا، لن يُجدي صدقيني، إن لم يفعل سأقتله) هنا بدأت أنتبه أكثر، على الرغم من أن تهديد كهذا غالبًا ما نسمعه ولا يعقبه شيء، مجرد كلام أجوف نعبر به عن سخطنا تجاه شخص ما في وقت الغضب، أنهت المكالمة والإصرار والحنق يسكنان كل تقسيمة من تقاسيم وجهها، حاولت قدر الإمكان عدم لفت نظرها بمتابعتي لها، فجأة نادت النادل وطلبت الحساب، فجاءها به ثمَّ اِنصرف كي تتركه على الطاولة كما هو متبع، فتحت حقيبتها وبحثت عن النقود وفي أثناء بحثها وقعت عيني على فوهة مسدس داخل حقيبتها، حدقت ببصري حتَّى تأكدت، لا مجال للشك، لو منحتني بعض الوقت لعرفت طرازه أيضًا، ولكنها لم تترك لي الفرصة وضعت بعض النقود ثمَّ اِنصرفت مسرعة بملابسها الكاجوال المكونة من سروال جينز وتيشيرت أحمر اللون ضيق يبرز صدرها بشكل واضح، ثمَّ خرجت مسرعة وهما يترجرجان يمينًا ويسارًا، كان على اِتخاذ قرار سريع، إما تجاهل كل ما رأيت وسمعت، أو متابعتها لأرى ما سنصل إليه:

- بالطبع تابعتها.

- بالتأكيد ولا يمكن لومي على ذلك، نحن نعرف ما يمكن فعله بمسدس بحوزة شخص غاضب، المرأة التي تحتفظ بمسدس في حقيبتها فهي تنوي اِستعماله في وقت ما، كان الأمر أصعب من تجاهله، شعرت بأن جريمة على وشك الحدوث ولأول مرة تتاح لي فرصة السيطرة عليها قبل تنفيذها بدلًا من التحقيق فيها عقب وقوعها.

- حسنًا أكمل، أتفهم موقفك وربما فعلت مثلك لو كنت مكانك.

- في الخارج اِستقلت سيارة فيرنا فضية اللون وانطلقت مسرعة على الطريق الخالي، لاحظ أن الوقت كان متأخرًا، فلم أجد بُدًا من ملاحقتها مع ترك مسافة

آمنة لا تسمح بالاعتقاد بأنها مراقبة، سارت حتَّى مدينة السادس من أكتوبر، صرت ورائها لمدة تجاوزت النصف ساعة ولم أتبين مقصدها بعد، بدأت تتجاوز الشوارع التي أعرفها هناك إلى أماكن أبعد وأكثر إظلامًا، أغلقت كشافات سيارتي حفاظًا على التخفي المنشود، بعد دقائق من القيادة السريعة المتواصلة في شوارع أكتوبر التي غابت عنها أعمدة الإنارة، ركنت سيارتها أمام فيلا تقف وحيدة في الشارع الخالي من المباني عداها. ثمَّ دلفت إلى الداخل مندفعة، مِمَّا زاد من حركتي لأنطلق وراءها مهرولًا على قدمي، الظلام يلف المكان، سمعت صرير باب يُفتح وشعاع من الداخل يبحث عن مفر للخارج، تبينتها تدخل، لدهشتي لم تغلق الباب خلفها، وصلت إليه مددت رأسي للداخل، إضاءة خفيفة تنير المكان، سمعت جلبة بالطابق الأعلى في نفس اللحظة التي وقعت فيها عيني على درج جانبي يقود للأعلى وقبل أن اتخذ قراري جاء صوت طلقة رصاص ليخترق الصمت المطبق منذ خرجنا من المطعم، كان الصوت قادمًا من أعلى فصعدت مسرعًا قدر المستطاع لأجد عديد من الغرف على الجانبين جميعها مغلقة عدا واحدة يخرج منها ضوء، يبدو أنها كانت مسرح الأحداث للثواني المنقضية، تحسست مسدسي واتجهت إليها، أخرجته لأتمم عملية القبض على مطلق الرصاص سواء هي أو غيرها؟ أشهرت المسدس ووقفت على عتبة الباب الذي كان مواربًا، عبر الباب لم أشاهد أحدًا فدفعته على آخره، هناك من يختبئ وراء الباب، لم أشك في ذلك، تقدمت خطوة للأمام في محاولة للنظر خلف الباب محتميًا بسلاحي قبل أن تباغتني ضربة قويَّة على رأسي من الخلف لم أتمالك معها الحفاظ على وضعية الوقوف، لأسقط أرضًا فاقدًا الوعي وآخر ما أذكره حذاء حريمي بنى اللون يظهر أمام عينى.

- إلى هذا الحد أثرت على رأسك تلك الضربة؟

ولكن أكمل ماذا بعد؟ ما الذي حدث بعد ذلك؟ هل أذتك؟

- لا أعرف، كنت أود لو بوسعي الإجابة على أسئلتك، ولكني سقطت في غيبوبة

لم أفق منها إلَّا وأنا في سيارتي في طريق مصر الإسماعيلية على أحد جانبي الطريق، ما الذي حدث؟ كيف وصلت إلى هناك؟ ليس لديّ إجابة، وصلت إلى مقر العمل، قبلها اِتصلت بالعميد رشدي، رويت له باختصار ما دار، لا أعرف مدى تصديقه لي ولكنه طلب مني اللقاء غدًا في مكتبه، علمت ببعض التطورات في هذه القضية ولكن لا أخفيك سرًا، ما زلت منشغلًا أكثر بما دار في الأيام الماضية، هناك صور مشوشة تداعب خيالي وأنا راقد في سرير وهناك من يسقيني ويطعمني، لكني لا أذكر أية تفاصيل وكأنها ذكرى دفنها أحدهم وأحسن مواراتها، بينما ليس لديّ الأدوات اللازمة لنبش هذا القبر.

أخذ مراد يفكر وهو يستمع إلى صاحبه، هل هناك رابط بين ما وقع له وبين القضية التي كان يعكف على التحقيق فيها؟ إنه ينفي بشكل قاطع أي تأثير للفيلم في الوقت الذي كان هو شاهدًا فيه على ما وقع لأحمد من اِختفاء عجيب غير قابل للتفسير أثناء مشاهدته للفيلم تحت سمع وبصر الشرطة ولكنه اِختفى كما هو الحال بالنسبة لمن سبقوه باستثناء عصمت.

أحمد في خطر، يواجه ما لا يدري ومراد هو السبب، هناك لغز خطير عليهم حله وبسرعة هو المسؤول عن كل ما يدور، وعصمت يتوهم أمورًا غير قابلة للتصديق، حتَّى وإن كان اِختفاءه ما زال يمثل لغزًا غير مفهوم هكذا فكر مراد ولكن ما كان في اِنتظاره في صباح اليوم التالي زاد الأمور تعقيدًا. وأضاف مزيدًا من الألغاز.

”لا بُد من نسيان الوجه الذي لا تراه، مهما كان حبك، الشقاء
ألَّا تنسى“.

(11)

ميلنر – ناتالي

اسكتلندا:

بعد بضعة أيام، فوجئت بأن هناك بلاغ مقدم من قبل ناتالي باختفائي (كميلنر) واشتباه في أني لديّ (كآندي) معلومات بشأنه، لا ألومها بل على العكس معها كل الحق، بالطبع كانت تقارير المستشفى كلها في صالحي وسير التحقيقات جميعها تثبت بأني مجني عليه ولست الجاني، آندي من عثر عليه بين الحياة والموت في بقعة تكاد تكون خاوية والصدفة وحدها هي التي كتبت له النجاة، يحسب هذا لآندي سأذكر له هذا وأنا أقتله، لم تفض التحقيقات كما هو متوقع إلى شيء، ميلنر اِختفى، والشرطة نفسها فشلت في الوصول له، أصابني ذلك باليأس، كم تمنيت لو عثروا عليه، لا أعرف كيف سأشعر وقتها وأنا أرى جسدي يتحكم به آخر، لو أن ثمة أمل لأعود إلى هيئتي فلن يمكنني ذلك بدون آندي، كما نزعني من جسدي فحتمًا يمكنه إرجاعي له.

عقب عديد من اللقاءات مع ناتالي بدأت تلين، بدأت اِحتمال بسيط يتسلل إليها خاصة وأني أجيب على كل أسئلتها، أتذكر جميع المواقف في مختلف المناسبات وأضيف عليها تعليقاتي وقتها وردود أفعالها عليها، كانت لدينا ذكريات حية يمكن لمسها بأناملنا. قامت الذكريات بأفضل معروف يمكن تقديمه لإنسان، وأعادت لي أختي، ولكنها دومًا كانت تردد على مسامعي :"هناك احتمال واحد بالمائة أن أكون

مخدوعة، بطريقة ما غير مفهومة قد تكون أوقعتني فى شِرك محكم، لو تأكدت من كذبك عليّ سأقتلك" فأجيب:

- وأنا أصدقك تمامًا، لقد فعلتيها من قبل.

- هل تعرف لماذا غيرت موقفي تجاهك؟

أومأت بالنفي.

- لأنك بالفعل لديك ما تستغله ضدي وتبتزني به إذا أردت ولكنك لم تفعل.

- أي ما يحدث لي يمكنني تحمله، ولكني لن أطيق رؤية أي مكروه يقع لكِ.

كان لآندي حساب في البنك يوفر لي حياة بسيطة آمنة، هناك إيراد شهري من مشروع صغير يمتلكه، ولكني لم أستطعْ البقاء في محل سكنه، فاضطررت لتغييره، لقد اِستبدل حياته بحياتي رغمًا عني، في المقابل، حصل هو على أموالي التي كنت أدخرها مِمَّا يرسله لي والدي.

عقب وقوع تلك المأساة بشهرين أَلَمَ بأبي وعكة صحية، دخل في سراديب المرض الضيقة التي قد لا تعطيك فرصة للخروج حيًّا، والدي رجل بنى نفسه بنفسه، بعد رحيل والدتي اِنشغل بأعماله وعلاقات عابرة مع سيدات تخطين الثلاثين من العمر، لم يكنْ بالأب المزعج وفي الوقت ذاته ليس بالأب المثالي، ولكن حين سقط في بئر المرض، لم يكن له مطلبًا سوى وجودي أنا وأختي معه، بالطبع علم باختفائي، وحاول العثور على بالطرق المشروعة وغير المشروعة، حث رجال الشرطة على الجدية في عملية البحث مع وعود بمكافآت ضخمة، اِستعان بشركة أمنية خاصة لم تفلح محاولاتها، كنا نراه ينعذب ولكنا واثقين أن عقله لن يقبل بحكايتي، ساءت حالته كثيراً وصار غيابه عن الوعي عادة، لكنه حين يفيق يسعد بوجود ناتالي معه التي عرفته عليّ كصديق جديد. بين الحين والآخر وقبل السقوط في دوامات الغيبوبة المتتالية يسألها في أملٍ عني، فتنظر إليّ مجيبة بالنفي، عشنا

لحظات قاسية في الأسبوع الأخير قبل أن يفارقنا للأبد. ترك لنا ثروة لا بأس بها ستبقينا أغنياء حتَّى الممات لو تصرفنا برشد ولم نرتكب حماقة خطيرة.

أكثر من عقد كامل من العمر قضيته حبيس داخل جسد ضعيف مريض لعدو خسيس، حتَّى وأتتني فكرة قد تحول المستحيل لممكن، ولكنها فكرة خطيرة تستلزم حذر حتَّى لا تقع مزيد من الخسائر.

آندي غادر سويسرا، هذا واضح وبديهي ولكن إلى أين؟ هذا هو السؤال، ليس السؤال الوحيد، يلازمه سؤال آخر كيف فعلها؟ إجابة هذين السؤالين هي كل ما يشغل رأسي وسط محاولاتي في البحث عن نفسي.

مع التوسع في اِستخدام التقنيات الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعي قررت اِستخدام هذه الوسيلة، البحث عبر الإنترنت مع رصد مكافأة كبرى في حالة وجود معلومات كافية عن صورة ميلنر، لم أكتف بذلك، من الوارد جدًا أن يسعى آندي لتغيير شكل وهيئة ميلنر الذي سرقه مني، قد يغير الخلقة بأي طريقة ممكنة بغرض التخفي، قد يزيل شعر الرأس تمامًا، أو قد يغير لونه، قد يطلق لحيته أو شاربه أو كلاهما، قد يرتدي عوينات لا تبرز وجهه، أو عدسات تغير لون العينين مِمَّا يعطي أثره كلى كافة ملامح الوجه، قد يتبع إحدى الوسائل التي ذكرتها أو يجمع بين أكثر من واحدة، فلجأت إلى متخصص في برامج الفوتوشوب وطلبت منه أن يمدني بكافة الاحتمالات والتغيرات التي قد تطرأ على صوري القديمة كميلنر.

ففاجئني بعدد لا يمكن تصوره من الاحتمالات، اِخترت أبرزها ووضعتها بداخل إعلانات لأهم المواقع التي يرتادها الشباب الأوروبي، ولكن النتائج كانت محاولات سخيفة صبيانية من بعض المراهقين للحصول على المكافأة، هل غادر إلى خارج أوروبا؟ ليس مستبعدًا، نشرت الإعلان على مواقع أمريكية وآسيوية وأفريقية، ولكن دون جدوى، محاولات للتلاعب من هنا وهناك حتَّى االكتشف زيف المدعين مع تحملي لنفقات عدة، ولكني برغم ذلك قررت المضيّ قدمًا، كانت ناتالي تتابع

ذلك وصار هذا الأمر وقتًا ثابتًا في أي نقاش أو لقاء، بدأت توقن بداخلها بأنَّه ما من سبب يحملني على الكذب، وصارت قضيتي قضيتها حتَّى شجعني ذلك على السؤال ذات يوم:

- ألن تخبريني لماذا فعلتيها؟

- ماذا؟ فعلت ماذا؟

- والد مايكل لماذا دهستيه بسيارتك؟

أشاحت بوجهها بعيدًا عني وتنهدت تنهيدة من أعماقها ثمَّ عادت لتنظر إليّ من جديد:

- لأنه صادق يا ميلنر، لأنه صادق فيما قال، ولكنه لم يحفظ سر اِمرأة ميتة، لقد رأيتهما ذات مرة وأنا صغيرة.

مشاعر مختلطة خالجتني، هل أفرح لثقتها أم أحزن لكون أمي اِمرأة خائنة، لا وقت لديّ للبكاء على ماضٍ بعيد كهذا خاصة وأن كل أطرافه (أمي ووالد مايكل وأبي) ذهبوا للعالم الآخر ولديهم كل الوقت لتصفية أمورهم كيفما يشاءون، المرض الذي مرره لي آندي لا يسمح لي بأي اِنفعالات زائدة لا لزوم لها قد ينتج عنها عواقب صحية وخيمة، لقد قضيت عامين تحت رعاية طبية فائقة في محاولة لتفادي الشلل النصفي والعمي بعدما اِقتربت منهما كثيرًا، يؤسفني أن أعترف بأن حياتي مع هذا الجسد على المحك، أي تهاون أو تقصير قد أجد نفسي معه مغادرًا هذا العالم وأنا مصابًا بداءٍ عضال.

”الساعة دائرة ضيقة وهارب مُدان.
أمامه وخلفه يركض مخبران.
هذا هو الزمان“.

أحمد مطر.

(12)

صلاح – نور

لا بد من حل فوري يهون عليه ليلته الأولى، فكر بمتابعة التلفاز، فكان الأمر أشبه بتقديم وجبة من المِش لجائع، فقرر أن يقاوم جوعه لأنَّه ليس من محبي المِش أو متابعي التلفاز، جال بتفكيره ما الذي يدور خارج الغرفة، ليس الوقت المناسب للتجول بالفيلا، ولكن الشعور بالوحدة يقتله، وثمة إحساس تمكن منه بأن هناك بالفعل من يراقبه من الخلف أيًّا كانت الناحية المتجه إليها جسده، اِقترب من باب الغرفة، وفتح الباب، الإضاءة خافتة خارج الغرفة، أغلق الباب وراءه، وهبط درجات الدرج، البهو بالأسفل خاوي تمامًا من البشر وكأن كل من التقاهم منذ ساعات حفنة من الأشباح لا وجود لها الآن، جلس على أحد المقاعد وهو يدور ببصره في الموجودات حوله، هناك موسيقى خفية تصدر من مكان مجهول اِلتقطتها أذنه، حاول التركيز أكثر، إنَّها قادمة من إحدى الغرف التي تصطف على شكل قوس يمينًا، اِقترب أكثر والصوت يعلو أكثر، الموسيقى الصادرة لم تكنْ مألوفة له، كانت لها إيقاعات عجيبة تعتمد على الطبول والدفوف، خمن أنَّها موسيقى أفريقية لها طابع ملحمي مع صرخات هادئة في الخلفية نابعة من أكثر من حنجرة تشكل صراخ متواصل ولكنه منغم نغمة مميزة تعتادها الأذن، طرق على الباب طرقة خفيفة ثمَّ جعلها أقوى قليلًا بعد ثوانٍ، لاحظ اِنخفاض الموسيقى الصادرة من الداخل قبل أن ينفتح الباب كاشفًا عن الأب مرتديًّا روبًا من اللون البني

تتخلله خيوط ذهبية حفيفة تتراص بالطول بالتوازي، أبدى الرجل اِندهاشه ولكنه دعاه للدخول بحركة من يده، فدلف صلاح شاعرًا بالإحراج قليلًا إلى حجرة المكتب الواسعة، على يمين الحجرة يقع المكتب الأنيق أمامه على الجانبين كرسيين من الجلد على الأرض تستقر سجادة إيرانية يمتزج فيها مجموعة من الألوان ما بين البني الغامق والرمادي الفاتح والأصفر الذهبي، هناك مكتبة خشبية تتكون من قطعتين تقفان على جانبي الغرفة تتراص فوق رفوفهما عشرات الكتب مختلفة الأحجام والموضوعات، الغرفة كلها تسبح في إضاءة صفراء هادئة بالكاد تساعدك على القراءة أو الكتابة، وفي مواجهة المكتب على الجدار الآخر للغرفة وجد مرآة كبيرة ضخمة معلقة، مرآة تنقص قليلًا عن عرض الجدار، مرآة أكبر من اللازم في حقيقة الأمر وكأن الرجل اِستأثر لنفسه بجميع مرايا المنزل مجمعة في مرآة واحدة:

- لم أعتد النوم مبكرًا بهذا الشكل، وترامى إلى أذني صوت الموسيقى فتيقنت أن هناك من يسهر مثلي.

- بالفعل أنتظر حتَّى ينام الجميع ثمَّ أبدأ في الكتابة وهذه الموسيقى تثير خيالي أكثر.

- هواية جيدة تساعد على تمضية الوقت هنا.

اِستنتج عصام من كلام ضيفه أنَّه ليس من هواة القراءة ولديه نقص واضح في المعلومات العامة لدرجة لا تجعله لا يعرف أنَّه في ضيافة أحد أشهر الكتاب في مصر ، بدا له ذلك أفضل، لا يريد كلمات إطراء لا داعي لها وفي غير وقتها ثمَّ اِستدرك صلاح:

- التغطية هنا تكاد تكون معدومة، هل هناك شبكة تغطيتها أفضل.

- حقيقة لا أعرف أي الشبكات أكثر قوة، ولكن لدينا هاتف أرضي إذا أردت إجراء مكالمة.

- أرضي؟ من يستخدمه الآن؟

- أجد في هذا الاختراع المسمى بالهاتف المحمول، تعدى سافر على خصوصياتنا المهدرة، كيف يتيح لكل من هب ودب الوصول إليك في أي وقت ومكان.

- بإمكانك الرد وعدم الرد، لن تجيب مجبراً.

- وإذا لم ترد اِتهمت بالتعالي وقلة الذوق.

لاحظ صلاح أن عصام يسترق النظر بين لحظة وأخرى ليتجاوزه بصره لما هو وراءه، هل ينظر للمرآة؟ ربما ولكنه في كل مرة يحدق فيما وراءه يشعر وكان هناك من يراقبه من الخلف، لا بد وأن اِنعكاسه في المرآة هو السبب في ذلك، ثمَّ بادر عصام بسؤاله:

- هل قابلت حالات مثل جوليا من قبل؟

- بالطبع وهناك من هم متأخرين عنها أيضًا.

- وهل حدث تحسن ملموس مع الوقت؟

- بالتأكيد هناك تحسن لكن لن يلحظه إلَّا كل من هو قريب منها ويعر.....

من جديد يتجاوزه عصام بنظره فما كان من صلاح إلَّا أن اِلتفت للخلف ولكنه شعر برجفة مفاجأة وهو يشعر بأن هناك من كان وراءه على مسافة قريبة للغاية منه ثمَّ اِختفى في كسر من الثانية، فأجفل وهو يبتلع ريقه بصعوبة ليصرح في تلقائية:

- هل نحن وحدنا بالغرفة؟

تظاهر عصام بالاندهاش من كلامه.

- بالطبع، الكل نائم الآن ولا أحد سوانا هنا.

مع خروج الحرف الأخير من فمه ترامى إلى مسامعهم صراخ طويل من حنجرة تملكها الخوف، فأسرع كلاهما للخروج من الغرفة، الصراخ يزداد حدته، كان الصوت قادمًا من غرفة جوليا، هرول الأب ناحية الباب، وظهرت الأم بملابس النوم

وقد بدا عليها الفزع إثر اِستيقاظها فور سماعها صرخة متواصلة تكاد تصم الآذان، فاقتحم عصام غرفتها ليجد نور تحاول اِحتضان جوليا وتهدئتها ولكنها دخلت في حالة من التشنج الغير مفهوم لنور أو صلاح، ولكن يبدو أن عصام فهم سريعًا، وبينما يتواصل صراخ اِبنته جال ببصره سريعًا في شتى أنحاء الغرفة، لتقع عينه على الفراش الخاص بنور والمجاور لفراش جوليا، لا يفصل بينهما سوى متر تقريبًا، أسرع باتجاهه ليمسك بمرآة مستطيلة وصغيرة مستقرة عليه ثمَّ وبكامل طاقته ألقاها بغلٍ على الأرض لتتفتت المرآة لشظايا صغيرة محدثة دويًّا يسيرًا تعاظم صوته فور توقف الطفلة عن الصراخ المجنون.

وقف الجميع يتبادلون النظرات، أغلبها نظرات اِتهام تحيط بنور المكلفة بعنايتها ولكن يبدو أنها تسببت دون قصد في إرعاب الطفلة، والتي أدرك الجميع وقتها أن ظهور المرآة هو السبب وراء هذه الصرخة التي تتناسب مع عمر وإدراك جوليا.

اِحتضنت الأم اِبنتها التي تبللت وجنتيها بالدموع، كان هذا عجيبًا بالنسبة لصلاح، لقد بكت الطفلة لا إراديًّا من فرط الخوف، ما الذي يفزعها بهذا الشكل؟ وما الخطر الذي تشكله المرآة لها؟

بنظرة دعاهما الأب في إصرار للخروج من الغرفة، فتبعاه إلى مكتبه ثمَّ أغلق وراءه الباب:

- أود أن أعتذر لكما عن تلك الليلة، كان هذا خطأي أنا لأني لم أوضح كل الأمور من البداية، برغم حالتها والتي ليس لها تفسير، فإنه على ما يبدو هناك وعي كامن في رأس اِبنتي يستجيب بشكل فوري لمؤثر خاص، لم أفهم سبب ذلك ولا الأطباء تمكنوا من تقديم تفسير معقول، ولكن رؤية جوليا لأي مرآة هو بمثابة هجوم عليها وتعريضها للخطر أو لنقل كأنك ألقيتها في بئر مظلم أو في بحيرة تملأها التماسيح، يشتد صراخها كما رأيتما وسمعتما، ما السبب وما الرابط؟ لا

أدري، كنت أظن أن حالتها هذه قد أنقذتها للأبد من ذلك الشعور بالخوف الذى يلاحق الجميع على الدوام ولكن يبدو أن مرضها لم يشفع لها، حتَّى الخوف لم يتركها وشأنها، لذا وأظنكما قد لاحظتما بأنَّه لا مرايا في كامل الغرف باستثناء غرفتي وغرفة أخرى لها حمام خاص نستخدمها جميعًا دون جوليا في الاغتسال وما شابه، أرجو منكما تفهم وقبول ذلك ولكن المرآة تُشكل خطرًا على اِبنتي، لذا من غير المسموح تواجدها بأي شكل وأي حجم.

كان يتحدث ومسحة من الحزن تخامر نبرته وتلقى بظلالها على قسمات وجهه الأشقر المنهك ونظرات عينيه التي تتحاشى الالتقاء بضيفيه.

غادرا نور وصلاح مكتبه متجهين إلى غرفهما، وقد أمست نور في غير حالتها الطبيعية، الحذر والقلق يتخذان موضعهما في بؤبؤ عينيها، الصدمة التي تلقتها لتوها كانت مباغتة، ربت صلاح على كتفها في محاولة لتهدئتها ولكنها كانت في تلك اللحظة منفصلة عنه شعوريًا، ما زالت أصداء الصرخة التي ترددت أمامها تدوي في أذنها، والهلع الصادر من عيون جوليا ما إن أمسكت نور بالمرآة لم يبارح مخيلتها فصارت كأنَّها لقطة تعاد أوتوماتيكيًّا دون توقف في مخيلتها، كأي أنثى طبيعية تتواجد دائمًا مرآة صغيرة بحجم كف اليد في حقيبة يدها، حين لاحظت عدم وجود مرآة في غرفتها، لجأت لاستخدامها لضبط هيئتها وإضافة لمسات بسيطة من وقت لآخر لوجهها المستدير، كانت الفتاة على سريرها بينما هي تراقبها من بعيد حتَّى ظنت أنها ذهبت في النوم، شعرت بثقل الوقت، فكرت قليلًا في أمها، ثمَّ سرعان ما عاودت التفكير في عملها وفي الطفلة وصلاح الذي لا يفصله عنها سوى جدار أو اِثنان، كانت بجانبها حقيبة جلديَّة سماويَّة اللون عليها قطع جلدية بيضاء مكونة أشكال مختلفة ومثبتة بدبابيس فضية اللون، اِستخرجت منها المرآة ومرطب الشفاه واندمجت في التحديق لوجهها وشفتيها بالمرآة حتَّى أطلقت

الطفلة صرختها دون اِنقطاع فنهضت مفزوعة في محاولة فاشلة لتهدئتها، لم تكنْ تتخيل أن طفلة بهذه الصفات يمكنها أن تطلق صوتًا كهذا وكأنَّه خرج من حنجرة أخرى تشاهد منظرًا آخر، لم تتمالك أعصابها بعد.

ودعت صلاح متجهم الوجه هو الآخر، وانفردت بنفسها في الغرفة، جلست على حافة الفراش وهي تفكر بأن المهمة ليست بالسهولة التي تصورتها، ليس هذا مجرد عمل، إنها ستمنحهم من عمرها أيامًا لن يكون لها السيطرة على سير أحداثها مقابل راتب كبير نسبيًّا، وحين قيمت الموقف من جديد وجدت أنها لم تكنْ صفقة رابحة جدًا كما تخيلت. باتت تأمل ألَّا تلقى مزيدًا من الصعوبات.

((الحياة دائرة تسبح حولها دوائر أخرى في اِنسجامٍ تام، وكل ما يتطلبه الأمر لتعكير صفو ذلك التناغم هي دائرةً منها تُصِر أن تكون خطًا مستقيمًا)).

أسامة المسلم.

(13)

عصمت – مراد

عقب عودته من العمل وبعد تناوله للغداء المتاخر في السابعة مساءً بصحبة أسرته.

أخذ سيارته وذهب إلى هذا الكافيه الذي شهد البداية، دار ببصره في المكان، ليس الأمر بهذه البساطة ليجد المرأة تجلس في نفس المكان، لم يكنْ ساذجًا ولكنها رغبته في اِستعادة كافة التفاصيل هيأت له إمكانية رؤية المرأة ثانيَّة في نفس المكان، جلس في مكانه المعتاد وحين جاء له النادل بمشروبه المكون من مجموعة عصائر مخلوطة لتنتج هذا الطعم المميز طلب منه الجلوس ليطرح عليه بعض الأسئلة.

في المرة قبل الأخيرة التي كنت بها هنا، كانت هناك اِمرأة تجلس على تلك الطاولة وأشار إليها بسبابته، كان يجلس عليها الآن فتاتان جذابتان وشاب وسيم، هل تذكر تلك المرة؟

- نعم بالطبع يا عصمت بيه؟ وأتذكر تلك المرة؛ لأنها كانت مرتها الأولى هنا، لم أرها هنا من قبل في هذا المكان.

- ألا تعرف من هي؟ ألم تتحدث معها؟

- كلا لقد كانت متوترة قليلًا وتنظر في ساعتها كل دقيقتين تقريبًا، أدركت أنها بانتظار شخص ما، ولكن يبدو أنه لم يأتِ، لأنها اِنصرفت وحيدة بعد ذلك.

فكر عصمت ماذا لو كانت تنتظره هو دون غيره؟ ماذا لو كان هو هدفها من البداية.

- ولم تظهر بعد ذلك؟ سؤال يعرف إجابته ولكن لا مفر من طرحه.

لم تختلف الإجابة عمَّا توقع، بعد ساعتين من جلسته بالكافيه، بدأ رحلته منطلقًا من نفس المكان، اِتخذ الطريق إلى وجهته بحي السادس من أكتوبر، سيعيش نفس المغامرة ولكن وحده، فهل سيصل؟

الطرق تتشابه والأبنية أيضًا، أخذ يتجول ويعاود ذات الشوارع متخذًا دروبًا أخرى، يبدو كمن يدور في دائرة حول نفسه، أين المخرج الذي نفدت منه إلى هذا المكان؟

بدأ من جديد ولكن الملل وجد طريقه إليه، وعقله يذكره بتلك الصورة التي تنبئك أنك في الوقت الذي تتوقف فيه عن العمل تكون قد اِقتربت من إنجاز المطلوب دون أن تدري، رفعت معنوياته من جديد، ليستعيد حماسه ويأخذ دورة أخرى مع تغيير تلك الشوارع التي مر بها من قبل أو التي يعرف إلى أين تقود، وحين بدأ الظلام يزداد حوله والسيارات تكاد تكون معدومة جواره، بدأ يشعر بقرب الوصول، نعم هذا هو الطريق، لقد مر من هنا من قبل، الأضواء بعيدة والرؤية محدودة والظلام حالك، ربع ساعة وهو يقود بالسيارة وسط مكان مجهول تمامًا بالنسبة له وفي ظلام صامت متربص جعل لأنفاسه ونس يأتنس به، كشافات السيارة تجاهد لتمحو أمتار من الظلام في ليلة توارى فيها القمر عن عمد للمرة الثانية في أقل من أسبوع، تيار الهواء البارد جعله يشعر وكأن أنفه قطعة من الثلج ولكنه لمْ يبالِ، الموقف فرض عليه سخونة من نوع آخر، رأسه يكتظ بالاحتمالات التي من الممكن أن تواجهه، هذا المبنى الشاهق رآه من قبل، إنَّه في نفس الشارع الذي يحتوي هذه البناية، مئات الأمتار تفصله عن مسرح الجريمة. أي جريمة؟ جريمة اِختطافه على الأقل.

بعد أقل من دقيقتين كان يقف أمام الفيلا ذاتها، يفصلها مائة متر عن أقرب مبنى، يحيط بها سور أسمنتي في منتصفه بوابة حديدية مغلقة كما سمح له الضوء المنبعث من سيارته ليرى. وجد بنفسه رهبة غير معتادة، إنَّه وحده ثانية والظلام دامس، والاحتمالات الممكنة أغلبها غير مطمئن، لن يرتكب نفس الحماقة ثانية، عليه أن يتماسك ويهنأ بهذا الظفر الثمين قليلًا قبل أن يندفع في أي خطوة غير محسوبة.

اِبتعد قليلًا بسيارته وعاد مع أقرب دوران وهو يراقب المكان من الجهة المقابلة. يبدو هذا الشارع قليل الحركة معدوم الإضاءة، جال بسيارته حول المكان ليتأكد من قدرته على العودة إليه ولكن في الصباح.

ومع الساعات الأولى في الصباح عاد للفيلا، بحث عن جرس جانبي لكنه لم يجد فطرق على البوابة قبل أن يسمع حركة من الداخل وخطوات ثقيلة تقترب من الباب، وارب أحدهم الباب محدثًا صريرًا خفيفًا ليطالع عصمت وجه أسمر ممتلئ لرجل أربعيني يرتدي جلبابًا رثًا وعمامة بيضاء، أدرك على الفور أنه بواب هذا المكان أو حارسه، فسأله عصمت:

- لمن هذه الفيلا؟

- ولماذا تسأل حضرتك؟

- أنا رائد عصمت وأجرى تحقيقًا يخص هذه الفيلا هل ستجيب عن أسئلتي هنا، أم تجيب عنها في القسم؟

- هذه الفيلا ملك السيدة نيكول رفعت.

لم يفهم كيف يجتمع نيكول ورفعت في اِسم واحد ولكن اِنزلق على لسانه السؤال الثاني.

- وأين هي؟

- ليست هنا سيادتك، إنها تعيش في تركيا، ترسل لي مبلغًا شهريًّا مقابل الاعتناء وحراسة المكان.

- ولا تأتي هنا للزيارة؟ لا بد أنها كانت هنا قريبًا.

- لا لم تأت منذ سنتين تقريبًا.

- لماذا لم أراك هنا ليلة الثلاثاء الماضي.

- كان لديّ حالة وفاة يا باشا في القرية.

- البقاء لله!

لو أن ما يقوله الحارس صحيح، فيبدو أن أحدهم اِستغل سفره في الدخول إلى المكان ولكن لأي غرض؟ لا يمكنه الجزم.

لا يهم الآن الوقوف على الحقيقة كاملة، الأهم أنَّه وجد طرف الخيط الذي سيبدأ منه.

تعرف على العنوان جيدًا وفي ظرف ساعات ستكون لديه كل المعلومات التي يريدها كاملة.

رجال التحريات سيأتوه بالخبر اليقين.

في اليوم التالي وبينما هو جلس برفقة مراد، وصل إليه التقرير، قرأه في نهم. وكان موجز ما جاء به:

(الفيلا تخص السيدة نيكول رفعت قاسم الوريثة الوحيدة لعائلتها ولم يتبق سواها على قيد الحياة، تقيم بتركيا بصحبة زوجها وولديها، والديها رحلا عن عالمنا منذ عشر سنوات في حادث سيارة عنيف، لها أخت صغرى تدعى ميرفت ماتت جراء حريق وقع في الفيلا منذ عدة سنوات، تشوهت جثتها تمامًا وتمَّ دفنها بجانب والديها في مقابر الأسرة، باءت كل محاولات بيع الفيلا بالفشل، أحدهم كان على وشك إتمام الشراء ولكن يُقال بأنه لم يحتمل هو وأسرته البقاء لثلاث ليالٍ

متصلة، فتراجع عن الفكرة بعد اِنهيار زوجته بسبب ما تدعى رؤيته من خيالات وسماع أصوات غريبة صادرة من الغرف ثمَّ جاءت سيدة أربعينية لتقيم فيها بصحبة والدتها على سبيل الإيجار، ولكن بعد ليلتين خرجت المرأتان لتسبان الفيلا وصاحبها ومن تسبب في تلف أعصابهما جراء ما وقع لهما، أقسما بأنها مسكونة ولكن بالطبع دون دليل: اِكتسبت الفيلا سمعة سيئة لم تسمح بعملية بيعها).

تمَّ تذييل التقرير بتوضيح مصادر المعلومات والذي أشار لأقرب البنايات حوله ومن يعمل أو يسكن بها.

لم ينتهِ الأمر عند هذا الحد بل جاء السطر الأخير من التقرير معنون بملحوظة وأسفله كتب:

(الفيلا بلا حارس أو بواب أو غفير بعد وفاة الحارس الأخير في ظروف غامضة منذ 3 سنوات والذي كانت تتم من خلاله محاولات البيع أو الإيجار، ومن بعدها فالفيلا مهجورة تمامًا، خاوية "ليس تمامًا" والجميع يبتعد عنها قدر المستطاع).

جاء السطر الأخير كلطمة على وجه عصمت الذي فغر فاه وجحظت عيناه بينما يتناول مراد منه الورقة ليتعرف على ما جاء به والذي سبب هذا القدر من الذهول لصديقه.

عقب قراءة مراد للتقرير صاح عصمت في حدة:

- أقسم لك بأني قابلت حارسًا بالأمس وحدثته كما أحدثك الآن.

ظهرت الشفقة على وجه مراد تجاه صديقه الذي اِنتفخت أوداجه واحمرت أذنه وكأن أحدهم سب أمه ثمَّ في هدوء قال له:

- عصمت أنت بحاجة للراحة، ما تعرضت له في الأسبوع الماضي ليس هينًا، فلتطلب إجازة من العميد رأفت ولا تقلق سأعمل على هذه القضية حتَّى نصل لكافة الإجابات.

- هل تظن أنني جننت يا مراد؟

- لم أقل ذلك ولكن الإرهاق بادٍ بما يكفي عليك، يومان وتعود لتعاونني في إنهاء هذه القضية، أشعر بالذنب تجاه أحمد الذي اِنقطع خبره منذ ثلاثة أيام، ولا أريد أن يصيبك مكروه أنت الآخر.

- صدقني يا مراد كل ما رويته لك شأهدته بأم عيني، المرآة وباب الفيلا وصوت الرصاصة، والحارس لم أختلق كل هذا.

- من جديد تتهمني بما لم ألمح به حتَّى، كما جاء بالتقرير هذه الفيلا مشهورة بخرافات لا نعلم مدى صحتها وأشم رائحة غريبة في كل ما يدور، نوع من الألغاز لم نعتد عليه كثيرًا في عملنا، حتمًا سنجد الإجابة ولكن نحن بحاجة لنكون في كامل تركيزنا وصفاء أذهاننا.

رضخ عصمت لطلب مراد على مضضٍ، العميد رشدي نفسه لم يحبذ الفكرة ولكن تحت ضغط من مراد أشر بالموافقة ليبقى مراد وحيدًا يتلقى القادم من مفاجآت.

رن هاتف مكتبه فرفع السماعة، ثوان معدودة مرت قبل أن ينتفض مراد من مكانه واقفًا.

- وأين هو الآن؟ في مقر عمله؟ حسنًا أنا ذاهب إليه حالًا.

أيمن المختفي الأول وجار ممدوح الذي تحدثت عنه الأوراق ظهر وقد عاد لمنزله بالأمس، مراد في طريقه إليه ويشعر بداخله بأن بعض الإجابات تسبح بالقرب من الشاطئ فذهب لاصطياد الكم الأكبر منها.

تعرف على أيمن وتبادلا الترحاب قبل أن يسأله وعيونه مثبتة عليه.

- أين كنت في الأيام السابقة؟ لقد اِختفيت بشكل مفاجئ، ما الذي جرى؟

شعر أيمن بجدية السائل فبادره قائلًا:

- وهل يمكن أن يبقى هذا سرًا بيني وبينك سيادتك؟

- هل هو خطير إلى هذه الدرجة؟

- بالنسبة لي فأفضل أن يبقى في طي الكتمان.

- حسب ما ستقوله.

لمح في عين الضابط إصرارًا لن يتزحزح ولم يبدِ مرونة في أي مساعدة فقرر الحديث بصراحة وليحدث ما يحدث وهو يعلم أن لكل شيء نهاية ولا يوجد أمر يمكن إخفاؤه للأبد.

- كنت عند زوجتي الثانية.

لم يتمالك مراد نفسه من الدهشة وهو يحدق بأيمن وعينه تخترق عيون أيمن وتكاد تفتش في رأسه وتوجه له السهام ليبين صدق كلامه تحت وطأة هذه النظرات التي تحمل رسالة واحدة: "لن أسمح بالكذب أو التلاعب مهما كان الثمن" ليؤكد أيمن على كلماته السابقة وهو يضع يده في أحد أدراج مكتبه ويخرج شيئًا ما بداخل مظروف ثمَّ يناوله لمراد الذي ما لبث أن اِكتشف أنها ليست إلَّا قسيمة زواج.

- يمكنك التأكد بنفسك لو أحببت.

لم يعرف مراد ماذا يقول، إنه سر قد يدمر حياته مع زوجته الأولى ولكنه لا يخدم القضية فطرح مراد سؤالًا جوهريًّا لعله يحظى بإجابة فاصلة:

- هل شاهدت فيلمًا غريبًا على أسطوانة مدمجة قبل اِختفاءك؟

- أنا أشاهد أفلام غريبة طيلة الوقت ولكن لا أفهم لماذا تطرح هذ السؤال؟

- أنا من يسأل هنا.

- لا أفهم ما الذي تقصده بأفلام غريبة، ثقافية تقصد؟

- بالطبع ليس قصدي ما ذهبت إليه رأسك.

- أقصد فيلم كاميرته مثبتة داخل إحدى الشقق وكأنَّها كاميرا مراقبة ثمَّ تظهر عبارات متتالية غامضة بعض الشيء.

- نعم، ولكن هذا ليس فيلمًا، إنها بعض المشاهد المتقطعة التي تدفعك للتثاؤب

- ألم يصيبك الخوف وأنت تشاهده؟

- أخاف من هذاء الهراء، بالطبع لا، ولكني اِتخذته حجة لأحادث زوجتي الثانية، بينما الأولى تظن أني أشاهد الفيلم وأنا أعلم علم اليقين أنها لن تقبل بمشاهدته معي.

كلماتة مترابطة ومنطقية، وأسئلته أجاب عنها بكل حزم رغم عدم منطقيتها، لم يتوقف الأمر عند ذلك، لقد عاد ممدوح أيضًا، ولديه سبب قوي للغياب، لقد سافر إلى القرية لأن والده تعرض لحادث خطير، فقد الهاتف أثناء السفر وضاعت كل أرقام زملاؤه في العمل بالإضافة لانشغاله بصحة والده الذي تعرض لكسور متفرقة، ممدوح ميسور الحال وعمله يضيف له كيان اِجتماعي، هو ليس بحاجة حقيقية للعمل، وانقطاعه عن العمل نتيجة هذا الظرف ليس سوى اِستخفافًا بالعمل الذي لا يعد معه فارقًا لمراعاة كافة متطلباته.

أمَّا كاتب الرسالة والذي يُدْعَى حاتم فكانت المفاجأة أنه ظهر هو الآخر، حاتم لديه عرض وظيفي لشركة خليجية كبرى، تقدم باستقالته ولم يتم البت فيها، فقرر الانقطاع وليفعلوا ما يريدون، طوال مدة اِختفائه كان يجري اِختبارات العمل بمدينة الإسكندرية، والتي قرر الانتقال لها فور صدور أمر اِستلامه العمل الجديد، ليست هذه المفاجأة الوحيدة، حاتم لم ميول أدبية كبيرة، ومحاولات كتابية متعددة، ويتمتع بخيال خصب، وكانت الأوراق التي عثر عليها مشروع فكرة جديدة يعمل عليها أوح له بها اِختفاء ممدوح وأيمن، أمَّا الشخصيات الموجودة في

الفيلم فليست تشبههما إلى هذا الحد، لقد أعمل خياله في فكرة جديدة وأخطر مراد بأنه على وشك اِستكمالها كنواة لرواية طويلة.

كان يومًا حاسمًا، عاد كل المختفين ولديهم حجج متباينة للغياب، صحيح أن نتائج اِختفائهم تشابهت وتجمعت مكونة لغزًا كبيرًا، ولكن كما تشكل اللغز بناءً على أسس عشوائية مجمعة، تفتت بناء على أسباب وجيهة من كل الأفراد، وحده أحمد الذي لم يعد، ولولا أنه كان واقع تحت مراقبته لآمن أن مسألة ظهوره هي مسالة وقت، لقد راقب كل ما حدث قبل اِختفائه، وعملية اِختفائه لغز كامل الدسم؛ لأنها وقعت تحت سمع رجال الشرطة، كان موجودًا وفجأة اِختفى، أي مبرر مقنع سيسوقه أحمد عقب ظهوره؟ لا يدري ولكنه ما زال قلقًا من هذا الغياب الإعجازي الغير مفهوم، يعد الدقائق ويُمَنِي مراد نفسه بأنه سيعود كما عاد الآخرون وسيكون لديه حيلة ومبرر هو الأخر ستقنعهم كما ظهر الآخرون مقنعين.

”اِنتظر الوصول إلى المحطة وابكِ وحدك ما استطعت!“.

محمود درويش.

(14)

ميلنر

أكثر من عشر سنوات مرت وأنا أبحث عن نفسي، اليأس يقف على مقربة مني يبحث عن فرصة للانقضاض، ومع كل ما أعانيه من وهن وقلة حيلة أظنه اِقترب أكثر من أي وقت مضى.

ذات مرة وجدت ناتالي دامعة أثناء حديثنا الذي كان عاديًّا ولا يقود أبدًا إلى هذا الطريق، سألتها "لماذا؟".

فأجابت بصوت مزق نياط قلبي:

"اِشتقت إلى وجهك الأول" اِشتقت إلى وجه أخي الذي شاركني كافة ذكرياتنا معًا، أخشى ألَّا أراه ثانيَّة".

توقعت أن أشاركها الدموع لكن خذلتني عيناي فقلت آسفًا:

"ما زلت أحاول البحث، ولكن حتَّى لو وجدته، لا أدري هل من طريقة لتعديل الأمر؟".

"أعثر عليه أولًا وأنا واثقة أننا سنجد الطريقة لإجباره على ذلك".

في هذا الوقت لوحت لي ناتالي بفكرة لم تخطر على ذهني من قبل، لماذا لا أمر إلى المكان الصحيح؟ حيث كل شيء ممكن، في المكان الذي لا يطاله القانون ولا وجود هناك للهواة، المكان الذي عليك أن تحذر فيه جيدًا لأن كل منهم

هناك قد يحققون لك ما تريد وقد يسببون لك خسائر لا أول لها ولا آخر، إنَّه الانترنت المظلم، تيقن مهما كانت رغباتك شاذة وممنوعة فستجد لها متنفسًا هناك، ستجاب رغباتك وتنفذ أوامرك ما دمت قادرًا على الدفع، والدفع هناك باهظ لأن السلع نادرة ومحتكرة أحيانًا، قتلة مأجورين، أعضاء بشرية، تجارة بشر، أطفال من مختلف الأعمار لكل الرغبات الدنيئة، فتيات وشباب للساديين من شتى البقاع، هناك الوجه الشيطاني للبشر موجود بشكل يدفعك للجنون وكأن هذا الجنس لم يسمع عن الرحمة يومًا.

لن أدخل في تفاصيل كثيرة مرهقة، ولكن الأمر اِستغرق مني عامين هناك قبل الوصول لمرادي، وكلفني الكثير من الأموال والتهديدات، صرت بارعًا في هذا المجال بعد 24 شهرًا قبل أن تصلني الرسالة المنتظرة:

- ما تبحث عنه موجود، ولكن لأي غرض تريده وكم ستدفع مقابل الحصول عليه؟

الكل هناك متوارى يصعب تتبعه فأنت لا تعرف من متحدثك الحقيقي ومدى مصداقيته ولا المكان الذي يتحدث منه، قد يكون في أقصى بقاع الأرض، وقد يكون في الشارع الذي يليك، لا بد أن تجرب بنفسك داعيًا ألَّا تعود بخسارة فادحة.

- لأي غرض أريده ليس من شأنك، أمَّا كم سأدفع فيمكننا التفاوض على ذلك.

- أريد مائة ألف دولار.

- أنت تمزح، أنا حتَّى لا أطلب منك قتله، أنا فقط أريد معلومات عن مكانه.

- هذا ثمن زهيد ولو تجادلت أكثر سأجعلهم مائتين.

- ما الذي يثبت لي أن لديك معلومات صحيحة.

- سأرسل لك صورة حديثة لهذا الرجل، شكله تغير قليلًا ولكنه في النهاية الشخص الذي تريده.

- حسنًا أين هي هذه الصورة؟

- لا شيء هنا مجاني، أريد عشرة آلاف دولار مقدمًا.

- أكثر من اللازم، خمسة آلاف فقط كافين لإثبات حسن النية، لا تنس للمحتالين هنا سوق واسع وقد تكون لعبة.

أبدى مرونة واضحة قبل الاتفاق على طريقة تحويل المال اللازم بعد أن أرسل لي الصورة غير واضحة تمامًا ولا يمكنك تمييز محتواها، وبعد تحويل المبلغ، أرسل لي الصورة واضحة جلية، أنا ميلنر أرتدي حلة سوداء وقميص أبيض، ولديّ لحية كثة وعوينات خفيفة، لا شك إنَّه أنا ولكن الصورة لا تعطيك تفاصيل أخرى عن المكان والزمان الذين اِلتقطت فيهما، اِستبعد هنا التلاعب، إنه أنا الذي سرقه آندي، لن أتوه عن نفسي:

- أين هو؟

- لا تتعجل، ثمَّ أرسل لي عددًا من الصور تؤكد صحة كلامه.

- نصف المبلغ قبل أن أدلك على أرضه.

- لك ما تريد.

كنت أتصرف باندفاع كبير وتهور قد يكلفني الكثير ولكن شعور من الداخل يصرخ.

- إنه حقيقي لقد قاربت على الوصول.

عقدنا الاتفاق قبل أن يبلغني برغبته في اللقاء على أرض محايدة لإتمام الصفقة.

حيث أسلمه المبلغ ويمنحني ما لديه من معلومات، وافقت على الفور مع إعلان واضح من جانبي بأن أي تلاعب يستحيل أن يبقى بعده على قيد الحياة.

كان اللقاء في دولة الإمارات، بالتحديد في دبي بناء على طلبه، المكان عظيم ويكاد يكون في منتصف الكرة الأرضية بالضبط، لا أدري هل هو مقصود أم أن الصدفة وحدها هي التي قادتنا إلى هنا، هل ميلنر يعيش هنا أم وجودنا هنا تمويه ليس أكثر؟ لا بأس بقليل من الحذر من جانب كلينا، ما سأدفعه ليس بالقليل، وما سيمنحني إيَّاه، لا يملكه سواه بحسب ما تخبرني به السنوات السابقة.

تيقنت عبر هذا المجهول أن الشيطان الذي أريده يحيا كأنما لم يفعل شيئًا، والجسد الذي أبحث عنه يعيش كأنه لم يغادر صاحبه.

تبادلنا أرقام الهواتف التي يمكن التواصل من خلالها، لقد نال نصف المبلغ في حين لم أنل شيء بعد سوى مجموعة من الصور، طالبته بمنحي المعلومات اللازمة، فدلني على إحدى المكتبات وطلب مني الذهاب إليها، وصلت هناك، مكتبة ضخمة مساحتها شاسعة، واجهاتها زجاجية تعرض عدد من الكتب الإنجليزية والعربية، الإضاءة بالداخل ساطعة وأغلفة الكتب جذابة إلى حد بعيد ولكني قادم لهدف محدد، فور وصولي عرفتهم بنفسي، كان موظف المكتبة ودودًا جدًا ولكن لهفتي نسفت كل محاولاتي المصطنعة لأبادله هذا الود، بعد أن بدا اِمتعاضي وضيقي واضحًا سلمني طردًا مغلقًا، قال أن صديقي تركه لي، أخذته وانصرفت وعدت إلى الفندق، في عجالة فتحته وأنا لا أدرِ كنه ما يحتويه، بدأت ما بداخله يعلن عن نفسه، مجموعة كتب يبدو أنها باللغة العربية أو الفارسية وأنا لا أفهم كلاهما، اِتصلت به، لا أريد ألغازًا بعد كل ما دفعته:

- أنت تتلاعب بي، صدقني الوصول لك لن يستغرق أكثر من ساعة بعدها لن تجد الوقت لتندم.

- اِهدأ، ولا تقل كلامًا قد يجعلني ألغى صفقتنا بالكامل، بين يديك الآن كل ما تحتاج معرفته عنه.

- أنت مخادع لعين، ليس معي سوى عدد من الكتب التي لا أفهمها، بالطبع من أبحث عنه ليس شهيرًا للدرجة التي تجعل الكتب تتحدث عنه، وإلَّا كنت وجدته منذ سنوات.

- أنت تبحث عنه منذ سنوات؟ لن أستغل هذه النقطة وأطلب منك ضعف ما اِتفقنا عليه، فقط أريد باقي المبلغ، متى تصل لحسابي، سأعطيك المفتاح الذي

يدلك على مبتغاك، كل ما تريده بحوزتك بالفعل، اِعتبرها شفرة، وأنا وحدي يمكنني حلها.

- دعني أفكر.

- أنت الآن من تضيع الوقت، لا أنا.

- سأبلغك بردي بعد نصف ساعة.

كان معي رجلان أشداء لمثل هذه المواقف، رافقاني طوال رحلة بحثي، أحيانًا يكونا لهما نفع كبير، وفي أوقات أخرى يبدوان بلا أي قيمة على الإطلاق، أرسلتهما إلى المكتبة في دقائق، حصلا على صورة الرجل الذي ترك الطرد للمكتبة عبر كاميرات المراقبة، أرسلا لي صورته، يبدو عربيًا عجوزًا، لا أظنه صاحب الصوت الذي يهاتفني، هنا رن الهاتف فأجبت على الفور لأنه لا أحد سواه يتصل:

- لا داعي للعبة القط والفأر هذه، الصورة التي معك لن تفيدك صاحبها غادر دبي منذ وقت طويل، ليس الوصول إلى بالسهولة التي تظنها، أرسل باقي المبلغ وستحصل على كافة الإجابات.

بدا واثقًا، غير ساذج، ولكن ما زال الوصول إليه غير عسير، حولت له باقي المبلغ، لأتلقى بعدها مكالمة منه:

- أشكرك لعدم التسبب في المزيد من المتاعب لكلينا، بين يديك عشرة كتب باللغة العربية، أحدهم يُدْعَى (الوجه الغامض) بالطبع يمكنك سؤال أي عامل بالفندق وسيترجم لك أيهم يحمل هذا الاسم، كاتب هذا العمل هو صاحب الصورة التي تبحث عنه. أظن بعد ذلك يمكنك الوصول إليه بسهولة وتسوية خلافاتكما بعيدًا عني.

ثمَّ أغلق الهاتف بغتة بينما قلبي يرتجف، في صدري ساحة قتال الخوف يصارع الحماس. أنا الذي أتلهف للقاء عدوي وأخشى أن أصيبه بخدش.

هل يمنحني القدر الورقة الرابحة أخيراً. وضربة حظ أقرب لمعجزة!

((للحصول على مبتغاك عليك أن تعرف متى ترتدي جلد الأسد
ومتى ترتدي جلد الثعلب)).

(15)

نور – صلاح – عصام شاهين

ومع نهار جديد لم يختلف الأمر عن سابقه، مر اليوم دون مفاجآت ولكن الملل يسود جنبات تلك الفيلا، فقط الدقائق التي تجالس فيها صلاح هي التي تهون الساعات الثقيلة ما بين العمل والفراغ، كانت تراقب سلوك جوليا وهادي طوال الوقت، طفلة متأخرة ذهنيًّا، وطفل ثرثار لا يجد من يستمع له أكثر الوقت فوجد فيها ضالته، ومع شروق يوم جديد ذهبت إلى غرفتها لتنال حصتها من الراحة قبل أن تتسلم العمل من جديد قرب الثانية ظهرًا، في مساء هذا اليوم وبينما تجلس مع صلاح يشكوان لبعضهما حالة الملل التي يعانيا كلاهما منها وصعوبة تواصلهما خارج إطار الفيلا، جاءها الوالد مسرعًا متلعثمًا على غير عادته في الحديث الرزين المتأنق.

- اسمحي لي آنسة نور، زوجتي مريضة، هلا رافقتيها لحين قدوم الطبيب.

- بالطبع ماذا بها؟

- أتمنى أن ترى بنفسك، زوجتي مصابة بارتفاع ضغط الدم.

دون كلمة ودون اِدعاء زائف بالقلق رافقته نور إلى غرفة زوجته، أمَّا صلاح فقد بقى وحيدًا واتجه إلى غرفة جوليا للبقاء معها هي وهادي، مرت الساعات ولم تعد نور ولكن يبدو أن الزوج قد ذهب إلى مكتبه، طرق صلاح باب مكتبه

من جديد بداعي الاطمئنان على الزوجة المريضة وإن كان في قرارة نفسه يريد مقابلة نور كي يفهم منها بشكل أوضح ولتهون عليه وحدته التي تتسع في هذا المكان دونها.

سمح له الزوج بالدخول ومن ثمَّ الجلوس وبعيون متسائلة طرح سؤاله فبادر عصام بالإجابة:

- للأسف لم يستطع الطبيب المعالج الحضور، إنه خارج مصر حاليًا، طلبت من الآنسة نور البقاء معها هذه الليلة حتَّى نطمئن عليها ولم تمانع نظرًا للحالة الحرجة لزوجتي.

بينما يتحدث الزوج وقعت عينا صلاح على كتاب موضوع على المكتب يحمل عنوان (الشبح المخدوع).

فسأله:

- هل قرأت هذا الكتاب؟

- بالطبع عشرات المرات.

بعد أن لاحظ دهشة صلاح أضاف:

- أنا مؤلفه ولذلك قرأته عشرات المرات أثناء الكتابة وبعد صدوره أيضًا.

- أنت كاتب؟

فأومأ برأسه موافقًا.

- معذرة لأني لم أسمع بالاسم من قبل، ولكني كنت قارئًا نهمًا قبل التخرج وبعد التحاقي بسوق العمل أخذني ذلك كثيرًا من هذه الهواية.

ثمَّ توقف صلاح عن الكلام فجأة، لماذا في كل مرة يجلس في هذه الغرفة لا يشعر أنهما وحدهما؟ هناك ثالث وربما رابع لا يعرف، قشعريرة سرت في جسده مع هذه الملاحظة بينما عينا الزوج تدور في أنحاء الغرفة وكأنها اِستنتجت شعور

صلاح الذي لاحظ ذلك هو الآخر، هناك شيئًا غير عاديًّا في هذه الغرفة، الصمت الذي حل لثوان قطعه طرق خفيف على الباب ثمَّ دلف الخادم حاملًا صينية وقدح من الشاي فطلب منه عصام إعداد أخر لصلاح الذي ما زال مشغول بأمر هذه الحجرة، حاول السيطرة على شعوره وخاصة أنَّه لم يتجاوز أكثر من ذلك مجرد شعور لا دليل عليه، اِستوحش البقاء، طلب من الزوج اِستعارة الكتاب على أن يوافيه برأيه فور الانتهاء منه.

اِتجه لغرفته بصحبة الكتاب، تمنى لو كان بإمكانه لقاء نور، ليشركها معه في ما يحسه من قلق، يعلم أنَّها تشاركه نفس الشعور، حاول طرد الأفكار البائسة من رأسه وشرع في قراءة (الشبح المخدوع) بدأ بالصفحات الأولى فاستحوذت على اهتمامه بالكامل، يبدو أنه في ضيافة كاتب موهوب بالفعل، كيف لم يسمع به من قبل؟ أو كيف تراجعت هذه الهواية إلى هذا الحد؟ غاص في أحداثها وغموضها، حتَّى لمْ تستطعْ عيناه أن تجاهد أكثر، فسرقه النوم من الشبح المخدوع.

في اليوم التالي حين اِستيقظ، كان مبتهجًا لأنَّه سيجلس قليلًا مع نور ولكن لدهشته لم تكنْ متواجدة على مائدة الفطار، تناوله في صمت وعاد لغرفتها وطرق مرة واثنتان دون جدوى، هل هل هي نائمة؟ غالبًا هي كذلك بعد أن أمضت ليلتها بصحبة الزوجة المريضة، بعد قليل قابل الزوج الذي كان يبدو عائدًا من الخارج، زوجتي ساءت حالتها وهي في المستشفى الآن ونور معها، لم أستطعْ البقاء أكثر، والأطباء طلبوا مني المغادرة، قلبها المسكين ضعيف هش، حاول صلاح مواساته دون جدوى، الرجل محطم كما يبدو، جلس سويًّا بعض الوقت وجلب لهما الخادم فنجانين من القهوة.

- لا تقلق، ستعود بخير وتصبح أفضل.

- أتمنى.

- هل أصابتها مثل هذه الحالة من قبل؟

- نعم قبل عدة شهور ونصحونا الأطباء بإجراء عملية جراحية، ولكن زوجتي تخاف ذلك ولا تطيق غرف العمليات ورائحة المستشفيات، الآن هي مضطرة.

تفحص صلاح وجهه، كان الرجل هو الآخر يبدو عليه الوهن والمرض هذه الأسرة لديها أمراض شتى، دوار رهيب يغزو رأس صلاح دون سبب، ولكنه يقاوم، ليس لهذا الحد يتوحد شعوريًّا مع الظروف الصعبة لهذه الأسرة، عليه أن يتماسك ولكنه عيناه تبذل جهدًا مضاعفًا كي تبقى مفتوحة، يسأله الزوج بصوت قلق:

- ماذا بك؟ هل أنت مرهق؟

كان بوده لو أجاب، لم تطل مقاومته فسقطت رأسه بجوار فنجان القهوة.

من أين بدأ هذا الخوف؟ من أين بدأ هذا الجنون؟ و كيف دخلت ضبابك الكثيف وغموضك المذهل؟

واسيني الأعرج.

(16)

أحمد رأفت

لم أصدق نفسي حين عاد إليّ وعيي من جديد، أنا حيّ لم أمت، كان هذا هو الخبر السار، أمَّا الخبر السيئ أو الأخبار السيئة فكانت كفيلة بإفساد بهجة الخبر الأول، صحيح أني على قيد الحياة ، لكني لا أدري هل أنا في غرفة أم في قبو أم في سجن؟ هل أنا فوق الأرض أم تحتها؟ كنتُ مكبل اليدين على مسند الكرسي الذي أجلس عليه مجبرًا، غارقًا في ظلام لا أول له ولا آخر حتَّى قدماي مقيدتان أيضًا إلى رجلي الكرسي الأماميتين، ليس ذلك فحسب بل أن هناك عُصابة من قماش خشن الملمس مربوطة بإحكام حول عيني وتلتف خلف رأسي، لا أدري إن كانت هذه العصابة هي سر الظلام حولي لمنعها وصول الضوء لعيني أم أن الغرفة مظلمة بالفعل، كان هناك أيضًا شريط لاصق سميك يسد فمي ويمنع صوتي فبتُّ غير قادر على الحركة أو الرؤية أو الصراخ، فقط تركوا لي أذناي تصيغ السمع لصمت مجهول يطبق على الوجود من حولي، فلا أسمع سوى صوت أفكاري المشوشة ومخاوفي اللامتناهية، بجانب أذني كانت أنفي تعمل بشكل جيد ولكنها لم تلتقط شيئًا غريبًا، لا رائحة مميزة في هذا المكان الذي أنا محبوس داخله، من الذي فعل بي ذلك ولأي غرض، وما الحيلة التي استخدمها لجلبي إلى هنا؟ فلا علم لديّ، اللعنة على هذا الفيلم وعلى مراد وعلى كاتب الأوراق وعلى فضولي، ذاكرتي لا تملك أي تفسير لوصولي هنا سوى الصوان بالغرفة واهتزازه بشدة وجريمتي التي لا تغتفر

بالاقتراب منه وفتحه على مصراعيه ثمَّ أيادي شاحبة عروقها بارزة وأصابع طويلة الأظافر تجتذبني وأنا مدفوع بخوف غريزي مِمَّا يحيط بي ولا سيطرة لي على جسدي كي يتراجع ولو قليلًا، رعب اِستشري في مسكني وسيطر على كافة حواسي وعطل عقلي عن العمل والتصرف بهدوء أو حكمة أكثر، أي شيطان أغضبته أنا والآخرين إلى هذا الحد لنعيش في هذا الذعر جاهلين ما ينتظرنا من مصير غامض غير مبشر، عقلي يئن من تدافع أفكار مجنونة ونهايات مخيفة واحتمالات مرعبة، جسدي منهك ثقيل، أهلكه هذا التكبيل وأعصابي تحترق على نار جحيمية، تحولت لسمكة واقعة في شبكة صياد ماهر تحاول التملص دون جدوى، كل خياراتها المطروحة تصب في نهاية حتمية واحدة ، فلتحدث الآن دون ألم دون معاناة، لا أريد حتَّى أن أفهم، ما أو من هو قادر على فعل ما سبق لا بد أن لديه ما هو أقسى، أخشى أن أواجه ما هو أكثر إرعابًا، ليتني تعلمت الدرس أبكر من ذلك، أشعر بحرارة دموع تزحف على وجنتي ثمَّ تتحطم على حافة شريط ملصق حول فمي، دموع خوف وندم طفل أغضب أمه ولا يدري السبب، ولكني المدان الأول فيما أوقعت نفسي فيه، أنا الذي.... ، وبينما أعاتب نفسي على حمقي، سمعت مزلاج يعالج وباب ليس بعيد يُفتح وقليل من هواء تسرب إلى أنفي، هناك من يقترب وقلبي يرتجف كطفل يحاول السباحة في درجة 4 مئوية، هل هذا بشري؟ من فعل بي ذلك ونصب لي هذا الشرك هل ينتمي لبني الإنسان، أم أنَّه شيطان غاضب؟ ولكنس لا أسمع حتَّى وقع خطواته وكم هذا مخيف، أتوقع بين لحظة وأخرى أن أتلقى ضربة سيف فتقطع رقبتي أو أتلقى طعنة فألقى مزيد من الألم قبل موتي أو يتوقف قلبي من فرط الهلع وقد تضاعفت دقاته وكأنه يعيش لحظاته الأخيرة.

أتلهف أن يقدم لي هذا الزائر نفسه، وضعت أسوأ السيناريوهات وأشنع الاحتمالات، فلنتكلم، فلأفهم، زحام الأفكار يكاد يشق رأسي باحثًا عن مخرج.

- كيف حالك يا رجل؟

نطق أخيرًا هذا المجهول، إنه إنسان، رجل بشكل أدق، وددت لو بإمكاني الرد ولكن عقلي يحلل بسرعة، يحاول الاستنتاج، يستبق الأحداث، ولكنه ما زال عاجزًا عن الفهم.

طرح السؤال ولم يعقب وكأنه ينتظر إجابة من فمي المغلق، مرت ثواني من الصمت نجح خلالها في تعذيبي تحت وطأة مخاوف لا حصر لها ولكنه واصل:

- لقد انتظرت كثيرًا هذه اللحظة، التي نلتقى فيها سويًّا، تمنيت لو كانت في ظروف أفضل، ولكن أنت من فرضت على ذلك واخترت اللعب معي وأنا لي طرقي الخاصة في اللهو واللعب، لا أقول ذلك زهوًا ولكن كل من اندفع للعب معي لم ينلْ غير الخسارة، لن تدرك ذلك الآن وستدركه في حينه، إذًا القاعدة الأولى (لا تلعب معي) لأنك إذا حاولت فستلعب على أرضي وبقواعدي والنتيجة محسومة، ورغم ذلك ما زلت محتارًا أي عقاب يليق بك أكثر؟ هل اِنتهي منك وادعك ترتاح للأبد أم أعطيك فرصة للنجاة ولكنها فرصة مشروطة لا تحتمل أي خطأ، ثمَّ بشكل مفاجئ نزع اللاصق من على فمي فخرجت منه صرخة قصيرة وشعرت بأصابعه الدافئة على وجهي:

- لو كنت مكاني أيهما تختار؟

كان يتحدث بصوت هادئ واثق رصين، بينما أنا أغلي من الداخل، يتكلم كما لو كنت أعرفه بل وكأني من اخترت اللعب معه أو أستفزيته بشكل ما.

- أنت مخطئ لو ظننت أني سأرتجف من الخوف وأتذلل باكيًا لك بينما أنا لا أعرف حتَّى ما هي جريمتي، إن كان لديك شيئًا لتفعله تفضل بدلًا من تضييع وقتك.

خرجت كلماتي بصعوبة ولكني ضغطت على كل حرف كي يخرج كما أريد، استجمعت شجاعتي وأنا أتذكر تلك الأبيات في رأسي:

عِش حياتك بما فيهـــــــا ولاتـخف من ساكنيهـــــا.

ولا تستسلم وتيأس وتنهزم وكـن أنـت البـطل فيهـــــا.

إن كان الناس ذئبـــــًـــــا فـكـن أنـت الأسـد فيهـــــا.

ما إن أنهيت كلماتي حتَّى أطلق ضحكة طويلة مجلجلة، وهو يردد وسط قهقهاته (فكن أنت الأسد فيها).

- لديك حس أدبي عالي، حتَّى في أحلك المواقف يسيطر على رأسك تلك الكلمات فلتتذكرها جيدًا ربما تجدي نفعًا في رواية قادمة.

ثمَّ واصل الضحك وأنا يبتلعني الجنون، اللعنة! إنَّه لا يعرفني فقط بل يقرأ أفكاري كذلك، أنا لم أنطق هذه الأبيات بل جالت في رأسي فقط، فقط تذكرتها وقد شعرت أن الموقف يستدعي الموت بشجاعة، لن أتوسل أو أتذلل كما ينتظر، ولكنه فاجئني بأنه على دراية بما يدور في نفسي، أي شيطان أنت؟ من أنت أيها الوغد؟

- لا تشغل بالك بهذه الأسئلة الآن، ولا تخف لا أهوى القتل كثيراً.

من جديد يجيب على ما يدور في رأسي ويخيفني أكثر وأكثر حتَّى وهو يطمئني بعدم ميله لقتلي، من العسير التعامل مع عدو يقرأ أفكارك ويعرف ما يدور بخلدك، ويُجلسك أمامه مقيدًا دون أن تراه.

- هل ستخبرني بجريمتي أم ستتلذذ فقط بتعذيبي؟

- أنا لم أبدأ تعذيبك بعد، ولو أردت لفعلت، كونك مقيدًا لا يعد تعذيبًا ولكنها ضرورة ملازمة لوجودك هنا في حوزتي، وطاعتك لما سأطلبه منك سيترتب عليها كثير من الأمور، حياتك أولها.

- كنا نستطيع تسوية الأمر بطريقة أفضل من ذلك.

- كان لا بد أن تعيش التجربة حتَّى تكتب عنها بصدق.

- أكتب؟

- نعم ستكتب رواية لأجلي، لقد قرأت روايتك (حان وقت الأشباح) ولا أخفيك سرًا أنها نالت إعجابي، قليلون جدًا بل نادرون من يمكنهم حبس الأنفاس كما فعلت في روايتك.

لقد نجحت ونالت إعجاب العديد من القراء ولكني أظنها تستحق ما هو أفضل وأكبر مِمَّا تحقق، لذا منحتك فكرة جديدة لم تخطر لأحد من قبل، وزودتك بتجربة مخيفة مررت وحدك بها.

- وحدي؟

- هناك غيري مر بهذه التجربة واختفى أيضًا، هل هم أيضًا مكبلون في غرف أخرى وتُملى عليهم طلباتك؟

- هذه خدعة أخرى اِنطلت عليك، لم يختفِ بسبب الفيلم سواك، أنت الوحيد الذي مر بالتجربة التي قرأ عنها، وكل من سبقوك يجلسون الآن مع صديقك مراد، يروون له الأسباب الحقيقية لاختفائهم المزعوم، الأوراق التي قرأتها هي فكرة أوحيت بها لشاب يهوى الكتابة، آسف لقولي ذلك ولكني حركتكم جميعًا بأصابعي كما تتحرك عرائس الماريونيت على المسرح، يظهر من أشاء ويختفي من أشاء، تعتقدون ما أريد وتتصرفون على أساسه، خدعتك وخدعت رجال الشرطة، وجعلتكم تدورون في دائرة مفرغة أنا من رسمتها لكم، صدقني هذا أفضل لروايتنا، ليس هناك ما هو أفضل من قصة أحد شخوصها رجل شرطة مخدوع، أرجو ألا تنسى هذه التفاصيل لتوردها في روايتك القادمة، لقد منحتك كل التفاصيل ولا زلت سأمنحك المزيد، ستكون روايتك الأشهر والأنجح، ستنقلك لمستوى آخر لا تحلم به.

- وما دمت تثق بنجاحها إلى هذا الحد لماذا لا تكتبها أنت؟

- للأسف ليس لديّ الوقت، أعظم الأعمال هي التي تُكتب على نار هادئة وتأخذ حقها في الكتابة والمراجعة، التسرع كفيل بتحويل فكرة رائعة لمسخ أدبي،

ولا أرغب لتحفتي الجديدة إلَّا بأن تظهر في أفضل صورة وأثق أنك قادر على ذلك، (حان وقت الأشباح) روايتك الأولى تدفعني لحسن الظن بك، كما أنك أنت الذي أوقع نفسه في طريقي ولست أنا من سعى إليك.

- لا أفهم، أنا لا أعرفك، ولم أسع إليك كما تظن.

- بل تعرفني، ودسست أنفك البغيض هذا في شئوني، ولكنك أحقر من أن أقتلك، ولكني لن أتوانى لو اِضطررت لذلك.

قالها وهو يضغط بسبابته على أرنبة أنفي وقد اِقتربت أنفاسه من وجهي ولا أخفى أنَّه زاد من خوفي وأنا أحاول ان أبدو متماسكًا حتَّى النهاية.

- وإن رفضت طلبك؟ وامتنعت عن كتابة هذه الرواية؟

- ستفتح على نفسك أبواب من الجحيم لا طائل لك بها، ستشتهي الموت ولن تجده

- أنت مجنون، حتَّى لو وافقت على كتابة الرواية التي ترجوها هل تظن أني قادر على كتابتها هنا تحت ضغط وأنا مقيد بهذا الشكل، أم أنك تتخيل أني سأنهيها في يومين.

- أنت لست هنا للكتابة الآن، أنت هنا لمتابعة النهاية وهي تدور، جلبك لهنا حدث عظيم في الرواية.

- وما قبل النهاية؟ لا بد من حبكة وصراع، تشويق وإثارة، ليس مجرد تجميع لأحداث غامضة وينتهي الأمر عند هذا الحد، يبدو أنك لم تقرأ رواية واحدة مقنعة, فضلًا عن كتابة أي عمل، أي حدث لا بد أن يكون مُبرر، مثلًا لماذا أنا تحديدًا دون غيري، هناك عشرت من كتاب الرعب، لماذا أنا؟ وكيف أحضرتني إلى هنا؟ ما هي التعويذة التي تفعل ذلك؟

صمت هنيهة بعد أن وجهت له سهام نقد منطقية لفكرته البديعة التي يظنها كذلك ويريد مني تحويلها لعمل روائي، ثمَّ سمعت حركة خفيفة أمامي تدور

حتَّى صارت خلفي، لا بد أنه هو لأنه أعقب ذلك بوضع أصابعه على منبت رأسي من الخلف ثمَّ عالج العصابة الملفوفة حول عيني لينتزعها ببطء وهدوء، لتنطلق عيني لمعاودة نشاطها بعد فترة من التوقف،غيمة تنقشع رويدًا رويدًا، أُنظر أمامي فأجد عديد من شاشات صغيرة تصطف طولًا وعرضًا وكلها مسلطة على غرف متباينة، مررت بعيني سريعًا عليها دون التركيز في تفاصيل كل شاشة ومحتواها؛ لأن القابع خلفي تحرك للأمام فوجدته يرتدي قميصًا أبيضًا وبنطلون باللون الأسود، ثمَّ رفعت رأسي لتلتقي عيني للمرة الأولى بالشيطان الذي تلاعب بي وبرجال الشرطة طوال الفترة الماضية، بصرته وابتسامة مخيفة تعلو وجهه ولمعة تبرق في عينين لم تكن المرة الأولى التي اِلتقى بهما ولكنهما لم تكونا مخيفتان من قبل إلى هذا الحد.

((أنت لا تعرف كم هي مأساة أن تنظر للمرآة ولا ترى وجهك)).

محمد المنسي قنديل.

(17)

ميلنر

قبل بضع سنوات كان الجنون، يفترسني، يتغذى على عقلي، ما تعرضت له أمر يفوق الخيال، كيف يُسلب منك جسدك، من اللعين القادر على ذلك؟ أسئلة تحاصرني من كل اتجاه، تزاحمني في مكاني، تلتق حول رأسي وأحيانًا حول عنقي، تكاد تخنقني، فأنجو بمعجزة من الموت أو الجنون.

بينما أتصفح الجريدة ذات يوم، قرأت خبرًا عن وصول البروفيسور آدم بروين إلى المدينة في جولة تستغرق أسبوعين بأرضنا، إنه خبير بعالم الماورائيات، ولديه رسالة دكتوراة حول الخرافة والأسطورة في خمس قارات بين الحقيقة والخيال، سيقيم أكثر من ندوة في لقاءات عدة لمناقشة أبرز الظواهر التي عكف عليها والإدلاء برأيه فيما يخص الحوادث الميتافيزيقية التي يؤمن البعض بوقوعها ومدى قابلية ذلك للحدوث وإلى أي مدى يمكن الإيمان بذلك.

قبل ما تعرضت له كدت سأجزم أنَّه أحد النصابين الذين يتلاعبون بعقول الآخرين لتثبيت الهراء في رؤوسهم ولكن الآن تدعوني خبرته (إن كانت حقيقية كما يدعى) أن أطرح عليه السؤال، لا أعد نفسي بإجابة وافية، ولكن لعله يمنحني إشارة تفتح الطريق.

على هامش إحدى الندوات طلبت لقاءه عقب المناقشة فقوبل طلبي بالرفض،

بعد إلحاح وضغط، تلقيت موافقة منه على لقائه بالفندق الذي يستضيفه مقابل بعض المال.

حسب الميعاد تواجدت في بهو الفندق، كنت بانتظاره، كان رجلًا تجاوز الستين من العمر، له لحية بيضاء بلون شعره تعطيه مزيد من وقار، وعيونه الزرقاء تتوارى خلف عوينات زجاجية تنم عن ضعف البصر، جبهته العريضة ووجهه الأحمر وصوته الهادئ يعطيان اِنطباع بأن الرجل يتكلم بمصداقية دون اِنفعال مصطنع، كما إنه مستمع جيد يجيد الإنصات، بعد المصافحة وتعريف نفسي، تلقى ذلك بابتسامة ثمَّ اصطحبني للحديث بأحد كافيتريات الفندق، في جو هادئ تمامًا يُغرى بالحديث بحرية ودون ضوضاء أو تواجد آذان بشرية قد تلتقط ما يقال جلسنا متقابلين وابتسامة ودودة تحثني على الكلام رسمهها على وجهه لم تتوارَ إلَّا مع الدخول في ثنايا قصتي لتحل محلها نظرات اِهتمام ورغبة في سماع المزيد.

اِنتهيت من كلماتي وانا أراقب تعابير وجهه، هذا الرجل يصغى بكافة حواسه، ويتفحصني بنظرات ثاقبة ليتبين مدى صدقي ثمَّ جاء دوره في التعقيب فبدأ كلماته بابتسامة بسيطة:

- حين يطلب مني أحدهم الاستشارة، يكون ردي مرهون بما سمعت، أفترض أن الوقائع جرت كما يرويها صاحبها، أي تعقيب مني هو نتيجة لما سمعته، هذه ليست المرة الأولى التي أسمع فيها قصة مشابهة، أنت الحالة السادسة، خمس مرات قبلك سمعت منهم نفس القصة، في البداية يكون لديّ شك ولكن خمس حالات من قبل ليس بينهما أي رابط ومن جنسيات مختلفة، إنها مأساة...أن تنظر في المرآة، فلا ترى وجهك، ولا تتعرف عليه، أو يصيبك الذعر لو كنت تعرف صاحب الهيئة التي صارت لك، بحثت عن سبب ذلك طويلًا، هل ترك التراث الإنساني شيئًا مماثلًا؟ التفسيرات محدودة ولا يمكن الجزم بمدى صحتها، ألم تأتِ هنا بحثًا عن ذلك؟

فأشرت بالإيجاب.

- هل ذهبت إلى ألمانيا من قبل أو فرنسا أو الجزائر؟

اِندهشت لسؤاله ولم أفهم الدافع له فأجبتُ.

- ألمانيا وفرنسا زرتهما عدة مرات، أمَّا الجزائر فلا.

- وهل سمعت عن جسور الشيطان من قبل؟

- جسور الشيطان؟ لا، أي جسور؟!

- هناك مجموعة من الجسور منتشرة في أوروبا معروفة باسم جسور الشيطان أغلبها تم بناؤه في العصور الوسطى، ولكن أشهرها يقع في ألمانيا وكثير منها يقع فرنسا وبعض منها ينتشر في مدن الجزائر، هذه الجسور من عجائب التصميمات البشرية، في ألمانيا مثلًا يُعرف محليًّا باسم **Rakotzbrücke**، ويعلو صفحة من المياه، حيث أنَّه يأخذ شكل دائرة مثالية تتكامل بانعكاس صورته في مياه النهر على مدار 24 ساعة. وهو من أماكن السياحة الرائجة هناك.

هذا الجسر تدور حوله كثير من الأساطير والقصص، قد تبدو غير قابلة للتصديق، أحد هذه القصص تقول أن الشيطان قد بناه بنفسه، وهو ما يؤكد التسمية بهذا الاسم.

- وما علاقة ذلك بقصتي؟

- يقال أن البشر حين فشلوا في بناء هذه الجسور لضعف الإمكانات وقتها طلبوا مساعدة الشيطان نفسه، فوافق بشرط أن يحصل على جسد أول قدم تمر عليه، في هذا التوقيت كان البشر يصحبون حيواناتهم معهم وقد تسبقهم أثناء السير، فتم خداع الشيطان؛ لأن أول قدم تمر عليه كانت لحيوان، ومن هذا اليوم قرر الشيطان الحصول على مبتغاه بطرق أخرى، خاصة وأن البشر لم يعودوا يطلبون منه المساعدة في بناء الجسور، هذا الكلام يجد قبولًا عند كثيرين ويجدون أن عظمة بنائها تفوق قدرات الإنسان.

- تمت سرقة جسدي من قبل أحد الشياطين، لماذا؟ أنا لم أسع لبناء جسر؟

- ولكنه ما زال بحاجة لجسد.

- تقول أن هناك آخرون واجهوا نفس المشكلة، ما مصيرهم، هل وجدوه؟ هل عثروا على أجسادهم؟

- تخيل أنك قمت بسرقة شيءٍ تحتاجه بشدة، هل ستبقى بجانب الضحية أم ستفر بغنيمتك بعيدًا عن الأعين؟

- بالطبع سأفر.

- هكذا سيفعل هو، لا بُد أنَّه في النصف الآخر من الكرة الأرضية، العثور عليه عسير جدًا، هناك إمكانية بأن يكون اِستبدل الجسد بجسد آخر لا تعرفه، لا تنس أنك لم تقابله إلَّا في صورة إنسان، كم مرة فعلها قبل أن يصل إليك، بالتأكيد فعلها مرات ومرات.

- أفهم من كلامك أن العثور عليه مستحيل؟

- عسير وليس مستحيل، الحالة الرابعة التي روت لي نفس ملابسات قصتك بقت على تواصل معي بشكل ودي، خطابات متبادلة بين الحين والآخر، كان ألمانيًا يعيش بنفس المدينة التي يوجد بها الجسر، كان بحاجة للحديث إلى شخص لن يتهمه بالجنون، ووجد عندي ذلك، تعلمت أنه مهما بدا الأمر عجيبًا لكنه يبقى قابل للحدوث، قد يكون مخبولًا متأثرًا بالأسطورة، لا أعلم، ولكن في ذات نهار تسلمت رسالة منه يخبرني بأنه عثر أخيراً على السارق، كدت أرى رقصاته فرحًا في الرسالة، كان يجهز نفسه للمواجهة ولاستعادة هيئته، منحته بعض النصائح بأن يكون أكثر حيطة ولكن .....

توقف عن الكلام بأسى وعينين زائغتين تحدقان في الفراغ حولنا

فقاطعت شروده:

- ولكن ماذا؟

- كانت هذه آخر رسالة منه، لم أتلق منه واحدًة أخرى، ما الذي حدث له؟ وكيف دارت المواجهة بينه وبين هذا الشيطان؟ نحن لا نعرف مدى القدرات التي يمتلكها، لم نُجر له اِختبار قدرات كما تلحظ، ولكن الكائن الذي بوسعه سرقة جسدك واستبداله بجسد آخر، ما هي حدود قدراته؟ لا علم عندي ولكن لا يمكن الاستهانة به.

- هل تظن بأنه قد لقى حتفه؟

- وارد، وربما يكون اِستعاد جسده ولم يعد بحاجة إليّ، ليس لدينا علم كيف يتم سرقة جسدك ولا حتَّى نعرف كيف يمكن اِستعادته، الأمر معقد، ولا يقوى عليه بني بشر.

- هل تنصحني بالكف عن البحث؟

- لا يمكنني قول ذلك ولكن عليك أن تأخذ حذرك وتنتبه بشكلٍ كامل.

- هل يمكن خداعه؟

- بالطبع لقد فعلها أجدادنا، ربما كانت المواجهة وجهًا لوجه ليست في صالحك، ولكن صدقني بحكم ما شاهدت وما عايشت فليس هناك من هو أوسع حيلة من الإنسان.

انتهى اللقاء وسؤال واحد يلقى بظلاله في أنحاء رأسي، هل لو وجدته، قادر أنا على مواجهته وحدي؟

"لا شيء يمكن تغييره في الماضي، لا شيء يمكن الجزم به في المستقبل
الوقت الوحيد المتاح لك هو وقتك الحاضر".

(18)

صلاح – عصام شاهين

عند اِستيقاظه كانت رأسه ثقيلة وقلبه منقبض، ألم يغزو عظامه من أخمص قدميه لأعلى رأسه، يشعر بغثيان كما لو أنَّه سيفرغ معدته ذاتها، إرهاق مصحوب بألم جعلاه مشتت الفكر فلم ينتبه في البداية إلى السؤال المُلِح بشدة، "كيف اِنتهت ليلة أمس؟ لقد كنت بصحبة هذا الرجل، ثمَّ أصابه دوار حاد، فكانت كل الأشياء حوله تتراقص وعيناه زائغتان، ما الذي دار بعد ذلك؟ كيف وصل إلى غرفته؟

ثمَّ تقع عينه من جديد على لوحة أدفارت مونك والرجل الذي يصرخ ليصدر له مزيدًا من القلق بالتزامن مع ألم جديد يرتفع تدريجيًّا من أسفل لأعلى فوقع بصره على نقطة دم متجلطة على ساقه اليسرى فوق ركبته، ما الذي حدث ليلة أمس؟ عليه أن يفهم، ولم تتمكن ذاكرته من التفسير، تغلب على كل وهنه ومخاوفه مغادرًا الغرفة ثمَّ غادر الغرفة ليلتقى بنور خارجة لتوها من الغرفة هي الأخرى فيقترب منها ويقول بصوت كالفحيح دون أن يرد على تحية الصباح التي ألقتها عليه:

- نور! أنا غير مطمئن لهذا المنزل، أعرف أنك نبهتني من قبل ولكني لست مرتاحًا للبقاء هنا ليلة واحدة أخرى.

أصابها الارتباك جراء حديثه فلم تدرِ ما تقول ولكنها حاولت التماسك:

- أخبرني فقط ما الذي حدث لتقول ذلك، لم يكن هذا رأيك؟

قص عليها ما دار في الليلة السابقة، حكى لها عن هواجسه وشكوكه ومخاوفه، شاركته الرأي في كثير من الكلام ولكن تعقيبها لم يكن متوقعًا.

- أظن أننا جئنا بكامل إرادتنا، ولو أرادوا قتلنا لأي سبب فما الذي يمنعهم حتَّى الآن، ثمَّ ما الذي لدينا ليمارسوا علينا تلك الألعاب والحيل لقد فكرت كثيرًا في الأمر ووجدت أنها أسرة ميسورة الحال سيئة الحظ يحاصرها المرض، وليس من اللائق أن نرحل ونتركهما في ظل هذه الظروف، على الأقل نطمئن حتَّى تعود زوجته.

شعر في كلامها بعقلانية أكثر بينما هو الرجل مصاب بهيستيريا لا تليق به، هدأ كلامها من روعه كثيرًا وكأنها صبت الماء على النار فخبت الجذوة تمامًا حتَّى اِنطفأت، وحين لاحظت هدوءه، مدت يدها على شعره المنكوش ومسحت على رأسه ببطء لتعيده إلى الوراء في جرأة غير معهودة بينهما ثمَّ ضمت شفتيها في دلال وهي تقترب منه.

- وسيم أيضًا وأنت منكوش.

كان تطور غير مسبوق في علاقتهما وهي تلامسه بهذا الشكل، اِنتشى بكلامها وشعر بإثارة مفاجأة، كاد أن يخطف قبلة على تلك الوجنتين الورديتين، لا يعرف ردة فعلها ولكنه حتما سيفعل، بددت كل مخاوفه في لحظة وأبدلت رغبته في الرحيل برغبة في البقاء لأطول وقت ممكن هنا بصحبتها.

بحذر سأل علوان الخادم عن الزوج فأجابه بأنَّه في زيارة للمستشفى للاطمئنان على زوجته، سأله في خبث:

- ألا تشعر بالملل من التواجد الدائم بهذا المكان؟ ألا تحصل على إجازة؟

- أنا معهم هنا منذ فترة طويلة وقد اِعتدت البقاء هنا وليس لي في الخارج أحد.

- ولكن المكوث هنا طويلًا حتمًا سيصيبك بالاكتئاب.

- لا أحب ضجيج المدينة، لا تشغل بالك، من العسير إقناع السمك بالخروج من

الماء، المهم كيف حالك الآن؟ لقد سقطت في غيبوبة مفاجئة أزعجتني أنا وأستاذ عصام واضطررنا لنقلك سويًّا إلى الغرفة، هل تشعر بتحسن الآن؟

- نعم ولكنها المرة الأولى التي يحدث لي فيها شيء كهذا.

في طريقه لغرفة جوليا قابل هادي فوجده واجمًا فسأله:

- لماذا هذه التكشيرة؟

لم يرد هادي فأمسكه صلاح من خدوده في محاولة للمزاح فقال له هادي:

- هل من الممكن أن تموت أمي وهي ليست عجوز؟

- لماذا تسأل هذا السؤال يا هادي؟

- كان لديّ قطة مريضة ألعب معها ثمَّ مرضت وذهب بها أبي إلى الطبيب ولم تعد بعدها وحين سألته أخبرني أنها ماتت ولن تراها ثانية فسألته لماذا تموت إنها لم تفعل شيئًا تستحق عليه الموت فأخبرني أنها كبرت في السن، وكل من يكبر ويمرض يومًا ما سيموت.

- والدتك ما زالت صغيرة يا هادي.

- لكنها مريضة لقد رأيتها وهي نائمة على السرير لا تتحرك ولا تتكلم.

شعر صلاح بالعطف ثانية على الطفل وعلى هذه الأسرة، من يظن أن السعادة بالمال عليه إلقاء نظرة على هذه الأسرة وسيعرف إلى أي حد كم هم تعساء مساكين حتَّى أصغرهم.

قضى باقي الوقت بصحبة جوليا الساكنة كحجر ونور التي يمني نفسه بالانفراد بها ثانية وهادي الذي لم يكف عن الكلام والتنقل من موضوع لآخر.

تناولوا جميعًا الشاي مع الكيك، ثمَّ صعد إلى غرفته ليحصل على قسط من الراحة، راح في نوم عميق حتَّى أنه لم يسمع الباب حين فتح ولم يشعر بأي شيء وهو ينتقل إلى غرفة المكتب من جديد.

– لا يمكنك أن تشك في وجود الجحيم.

– لماذا؟

– لأنك تعيش فيه.

من فيلم

“The American”

(19)

أحمد رأفت

فقط نظرة واحدة أجابت على أغلب التساؤلات وسدت معظم الثغرات وفهمت الآن لماذا أنا بالتحديد من وقع عليه اِختياره لأخوض هذه التجربة وأدفع ثمن خطأ كبير اِقترفته بحق عصام شاهين كاتب الرعب الأكبر والأشهر والأكثر نجاحًا في السنوات الماضية، خطأ لا يغتفر ربحت بسببه الكثير وسأدفع بسببه ما هو أغلى من المال، لكن يبقى سؤال آخر دون جواب واستنتاج لا يحتمل اللبس، أما الاستنتاج فهو أن عصام شاهين ليس مجرد كاتب رعب هو أكثر من هذا بكثير بما أثبته من قدرات، قل لي بحق الله من أنت يا رجل؟ من أنت أيُّها الشيطان اللعين؟ كل رواياتك التي تحبس الأنفاس وتحيل ساعات قراءتها إلى ساعات عصيبة هي أكبر من أن تكون نتاج خيال بشري، حكايات لا تخطر على بال بشر، لطالما تساءلت وأنا أقرأها كيف واتتك هذه الأفكار أي إلهام تمتلكه؟ وأي وحي سخرته لأجل كتابة هذه الأعمال؟ والآن تريد أن تتنحى جانبًا وتترك لي ورايتك الجديدة لاكتبها بدلًا منك، لماذا؟

كان الحديث بداخلي وكالعادة يرد عليه وكأنه يعلم ما يدور في رأسي.

- لأنها روايتي الأخيرة، وليس لديّ الوقت لكتابتها، أنت من سيفعل وستضع لها عنوان (النداء الخفي)، ستكون كما أردت وستتولى أنت مسئولية ذلك، هذا هو

شرطي لأغفر لك طمعك وغدرك الذي اِرتكبته بحقي، وأي إخلال ببنود هذا الاتفاق سيحيل حياتك إلى جحيم والقادم من عمرك سيصير كابوسًا يستحيل الخلاص منه.

قال كلماته بلهجة تهديدية واثقة.

- روايتك الأخيرة لماذا؟ إلى أين ستذهب؟

- سأرحل وأترك هذا الجسد كما غادرت غيره مرات ومرات من قبل، كما ترى لم يعد صالحًا للحياة أيامًا طويلة، الباقي له معدود، سأسكن في جسد آخر، وأبدأ من جديد في مكان بعيد لن يصل إليّ فيه أحد، يعز عليّ أن أترك هذه الحياة التي كونتها هنا، رواياتي التي أودعتها تجاربي وخبراتي التي لا يتوقعها بشر، كانت الكتابة فكرة ممتعة، ظننت أني سأكتب للأبد، هويت صيد الكلام، ونسيت أن أجسادكم بالية منهكة قصيرة العمر، لا تصمد طويلًا، قد تفتن بها وتغتر بنفسك لبعض الوقت ولكنها في النهاية إلى زوال، وها هو قد ظهرت عليه علامات الوهن بعد أن أكله المرض، ولكني مضطر سأنتقل إلى جسد آخر، لا أدري كم سيمكث معي قبل أن يتهالك ويعلن العصيان، فلتعلم رواياتي ستكون طريقتي في التواجد معكم بعد الرحيل، هكذا لن أموت ولن تموت أفكاري، مساكين هم البشر أمانيهم كبيرة وأعمارهم قصيرة، يشتهون ما لا ينالون، ويزهدون ما يملكون ويحلمون بما لن يكون، جئتم لغاية محددة لا تلتفتون إليها إلَّا قبل الرحيل حين يدب الخوف كناقوس خطر ومؤشر على أن الوقت المتبقي أوشك على النفاذ، وبرغم حنقي عليكم ولكن رغم ذلك أحمل لكم شفقة وتقدير لأني جربت حيواتكم، وخبرت رغباتكم ودوافعكم، أنتم سجناء أعماركم، أسري أجسادكم، تقتنصون السعادة فتفر كما يفر الماء من بين يديك، لا أفهم لما ارتيضتموها هذه الحياة، وأنتم تكادون ترون النهاية كل يوم، أي اِستخفاف بأنفسكم، وأي حفرة حفرتوها بأيديكم!

توقف عن خطبته فجأة التي يبدو أنها كانت تؤرقه وكان بحاجة لمستمعين فكنت أنا جمهوره الوحيد.

- لا أريد منك سوى المراقبة والمشاهدة وتخزين ما تراه هنا على هذه الشاشات في ذاكرتك ولا تسمح بأن تخونك يومًا، سأنتظر هذه الرواية بشغف، ستكون أفضل سيرة ذاتية لحياة عشتها طولًا وعرضًا، صحيح أنها ستختزل أكثر مما ستعرض، لكن كتاب واحد يعجز عن تلخيص مئات السنين، سأكتفي بروايتك، فأرجو ألا تخذلني.

كان يلقى أمامي بكلمات يصعب تصديقها، ولكن ما قام به يجعلني أنفي شبهة جنونه أو اِتهامه بالتخريف، أنا أمام شيطان لا يجد غضاضة في الإعلان عن نفسه، يبدو أنه هيأ كل الظروف للهروب ويتبقى فقط اللمسات الأخيرة التي تحتاج لدعم بسيط، إنه يلقى إلى بواحد من الأسرار التي لن أصدقها ما لم أعشها، ولكنه كيف علم أني أنا الشخص الذي أوشى به لهذا الرجل، منذ شهور قليلة أدمنت الدخول إلى الإنترنت المظلم تسلحت بكافة وسائل التخفي الممكنة، هذا المكان إن لم تكن فيه محترفًا فستؤكل كما تُنهش صغار الأسماك في الماء، هنا يوجد منظمات إجرامية، قتلة متسلسلين، تجار مخدرات، خاطفي أطفال، مخابرات من شتى البقاع، أنت هنا في المكان الذي فر منه إبليس لأن ما يدور بداخله أفظع من أن يوسوس به؛ لأنه لم يرد بباله، بقيت في الظل طويلًا حتَّى تكبر أجنحتي ويمكنني الطير فيه بأمان نسبيًّا، في هذا العالم يُطلب كل ما هو غريب وعجيب، ولكن سعره أعجب، اِندهشت حين وجدت صورة لعصام شاهين أكثر شبابًا مِمَّا عهدته بجوارها (wanted) ورقم خيالي هو المقابل، لم أفهم من صاحب الإعلان ولأي غرض يريده، الرقم أعماني وأخرس ضميري، معلومة بسيطة ثمنها كافي لتوديع الطبقة المتوسطة التي ورثتها أبًا عن جد ولا أمل في التحرر منها إلَّا بالهبوط لأسفل، فجاءت هذه الفرصة لتحقيق حلم ظننته مستحيلًا، الثراء بات وشيكًا، سافرت إلى الإمارات لمتابعة روايتي الجديدة بأحد المعارض، وأتممت الصفقة وحصلت على المبلغ، بابتسامة من القدر حصلت على ورقة اليانصيب في مسابقة لم يتقدم إليها سواي.

قررت أن ما تحصلت عليه يجب ألَّا يمنعني من مواصلي عملي وطموحي ككاتب، بت الآن أكتب لأجل النجاح والاستمتاع، لن أكترث بالجنيهات التي تأتيني والدولارات ترقد منتشية في حسابي مستعدة لتقديم العون وقت الحاجة.

ولكن إبليس هنا يخطط لاصطيادي ويصنع لي شركًا محكمًا مستخدمًا كافة حيله وألاعيبه، وأنا فريسة خائبة تنسج من حولي الشباك ولا أراها.

غادر من يحسبه الناس عصام شاهين الغرفة، وعاد بعد ساعتين ليشرح لي ما يدور في الشاشات، غرفتي اِبنه وابنته، غرفتين لممرضة وأخصائي لمتابعة ابنته، ولكنه أضاف مبتسمًا بخبث:

"هذا أنا الجديد" لم يتبق الكثير لقد أعددت كل شيء وسترى التجربة بنفسك، وبعدها سأرحل أنا وعائلتي، ولكنك لن تنتهي مني بهذه البساطة، بقى أن تفي بنصيبك من الاتفاق، أن تكتب الرواية، وتسميها (النداء الخفي) تأكد لا أحد يتلاعب بي أو يغفل عن أمر أصدره، سأراقبك عن كثب، تأكد أنت في أمان ما دمت تعمل عليها، ولكن لو تكاسلت أو لهوت عنها فلا تلومن إلَّا نفسك.

قلبي يدق طبول الحرب في صدري، هناك روح في طريقها للانتقال لجسد آخر، ما مصير الروح الثانية والجسد الآخر؟ كيف سيتم ذلك؟ أي جنون هذا الذي اِختارني لأجله؟ جسدي يرتعد وأطرافي مشلولة، العالم يبهرني دائمًا والأسوأ لم يأتي بعد.

ولتحقيق أهدافي بالكامل على نصف سكان الأرض أن يمنحوني
حظهم السعيد ويصلوا من أجلي أنا.

(20)

ميلنر

آندي الذي أعرفه يعيش بجسدي جسد ميلنر ماجوير ويدعى الآن عصام شاهين، يعيش في مصر، لذا من البديهي أن الذي دلني عليه هو مصري، بمزيد من التحريات علمت أنه يُدعى أحمد رأفت صحفي وكاتب هو الآخر ويتمتع بمهارة التواجد والتخفي في الدارك ويب، صحيح أنه دلني على آندي ولكنه حصل على ثروة لم يكن ليحلم بها، فكرت لماذا لا أستعين به ثانية، سأدفع له ما يريد ولن يتردد.

أرسلت مساعداي جون وسام إلى مصر لمزيد من التحريات وجمع المعلومات، بينما أنا أتنزه في شوارع دبي.

كانت لديهم مهمة واضحة التحري بشأن عصام شاهين وأحمد رأفت، لم أسافر لأني أريد مباغتتهما، قد يعرفان بوصولي بطريقة أو بأخرى فالثاني شيطان والأول صحفي.

كانت أول رسالة وصلتني منهما اِختفاء أحمد رأفت بشكل عجيب ومفاجئ وتغيبه عن منزله لعدة أيام والأجهزة الأمنية تتكتم حول تفاصيل اِختفاءه، في رأيي هناك اِحتمالان لا ثالث لهما إمَّا أنه تخفي بعد الحصول على أموالي للبدء من جديد وسيعود شخصًا آخر وفي هذه الحالة هو فقط من سيقرر متى يعود والاحتمال الثاني وصول آندي أو ميلنر أو عماد شاهين أو آيًّا كان اسمه له، وفي هذه الحالة الله وحده يعلم ما الذي سيفعله به.

ولكن بما أنه نال من أحمد رأفت فهو على علم ببحثي عنه واقترابي منه، سيكون أكثر حيطة وحذر وسيصعب المهمة، إذا كنت في مواجهة مع الشيطان عليك أن تكون أكثر منه شيطنة، مجنونًا بشكل كافي وغير متوقع، مرة أخرى أحتاج ريتشارد، ريتشارد صديق إنجليزي يخدمني أكثر مِمَّا يفعل خادم المصباح السحري، هاتفته:

- مرحبا ريتش.

- .....

- أنا في دبي.

- .....

- أريد منك خدمة.

- .....

- أريد دخول مصر بهوية غير هويتي.

- .....

- هويتي، ستبقى كما هي خارج مصر، ولكن سأقوم بحجز تذكرة إلى القاهرة تلي وصولي الفعلي بيومين.

- .....

- لا تشغل بالك بأسبابي، لديك صديق مجنون ويدفع جيدًا.

ثمَّ اِمتزجت ضحكاتنا عبر الهاتف وهو يعدني بالعمل على مطلبي وإبلاغي بالتفاصيل قريبًا.

ريتشارد واسع العلاقات ممتذ النفوذ له مصالح متبادلة في شتى أنحاء الأرض، لم أطلب منه مساعدة على سطح القمر ولو فعلت فلن يتأخر وسيجد وسيلة لذلك.

آسف يا آندي، يتوجب على اللعب قليلًا بهيئتك، وتغيير شكلي، والتخلي عن اِسمك قبل مواجهتك، لحية صفراء وشعر طويل كثيف ينسدل على الكتفين واسم جديد يحمله جواز السفر الذي جاءني عبر رسل ريتشارد، صرت الآن داستين مور عازف موسيقى يحمل جيتاره طوال الوقت، أمَّا ميلنر الذي سرقت جسده فقد حجز تذكرة على الخطوط المصرية بعد 3 أيام من وصول داستين إلى القاهرة.

كان هذا هو الجزء الأسهل من اللعبة، الباقي من الأحداث أتمنى أن أخرج منه بأقل الخسائر، لا أظن أن انتصارًا ساحقًا وارد في مثل هذه المواقف، الأهم أن تكون خسارتي أقل من خسائره، هذا هو ما أنشده، وحقيقة لا أنشد سواه.

عقب وصولي إلى القاهرة كان هناك مفاجأة سارة في اِنتظاري، عنوان عصام شاهين المتخفي فيه حاليًا، فيلا على أطراف العاصمة، تحيط بها الرمال من كل اِتجاه، ولا يمكن الوصول لها إلَّا بواسطة سيارة، كيف عثر على هذا الموقع الممتاز لأعماله القذرة؟ إنَّه يهوى تلك الأماكن التي يصعب الوصول لها كما فعل حين سلبي مني جسدي، الفرق هنا أن المكان مكشوف جدًا، لذا لا سبيل سوى اِقتحامه ليلًا، لا أريد ولا حتَّى لضوء القمر أن يفضحني، سنتخفي في الظلام وسأقتحم هذا الحصن ليلًا، كل ما أريده ألَّا تخرج روحه حية، آن لها أن تغادر عالمنا، ولتحقيق أهدافي بالكامل على نصف سكان الأرض أن يمنحوني حظهم السعيد ويصلوا من أجلي أنا، في كل الأحوال يتعين على القول أن النهاية تقترب، أراها كما ترى القمر بازغًا في السماء.

ولكن هل أنا خائف؟

ربما.

كل ما يستلزمه الأمر قليل من الفضول وزوج من العيون وكثير من الخوف.

(21)

مقيدًا أراقب الشاشات، الجميع يروح ويجيء دون أن يعلم أني أجلس هنا لمتابعته، ليس كل ما يدور في حقيقة الأمر ذو أهمية، ولكن ما إن يظهر عصام شاهين حتَّى يستحوذ على كل اِهتمامي، لم ينظر للكاميرا ولو مرة واحدة يتصرف بأريحية تامة كممثل يجيد إتقان دوره المرسوم له ولا يعير للكاميرا أي اهتمام، لا شيء عجيب سوى أني لاحظت اِختفاء زوجته من المشهد قليلًا، يبدو أنَّها لم تعد تبارح غرفتها، هل آذاها عصام؟ كما فهمت إنَّه محب لعائلته وسيرحل معهم، على أي حال لم أنشغل طويلًا بهذا الأمر، تمنيت لو أن هناك وسيلة للفرار، لو كان لديّ أمل في الخلاص، ولكن الوغد يبدو أن لديه خطة محكمة، لقد أخطأت وسأدفع ثمنًا أرجو ألَّا يكون باهظًا.

الغرفة التي أنا محبوس فيها تكاد تكون خاوية، ليس بها إلَّا الكرسي الذي أجلس عليه والشاشات الموضوعة على منضدة معدنية متهالكة، غرفة صغيرة بلا شبابيك أو نوافذ، مصباح في السقف يرسل حزمة بسيطة من الضوء، لا أعرف متى يحل الليل ومتى يجيء الصباح إلَّا حين يأوي الطفلان للنوم وتخف الحركة بالمنزل، ولكن هذا الشاب يسعى لهلاكه بحرص شديد، لا يكف عن زيارة عصام في مكتبه، لم أفهم ما يدور بينهما ولكن بمراقبة كل منهما أستشعر وجود خطر قادم في أي لحظة، عيناهما تدور في أماكن خاوية، الشاب يتلفت وراءه أكثر من مرة، هناك قط كبير داكن اللون يتحرك دائمًا خلفه بخفة وأريحية تامة ولكنه سريع مذهل، ما

إن يتلفت الشاب حتى يتوارى القط برشاقة لا تتناسب مع حجمه، يبدو أن هذا القط يتلذذ بإخافة هذا الشاب والتلاعب به.

في أحد الجلسات أخذا يتبادلان الحديث ثمَّ أتى خادم لهما بقدحين من الشاي، وبينما يتناول هذا الشاب كوبه إذا برأسه تثقل أكاد أرى محاولاته للإبقاء عليها مرفوعة دون جدوى حتَّى سقطت لا حول لها ولا قوة، لينهض بعدها عصام من وراء المكتب ويرفع هذا الجسد ويسحبه ببطء إلى باب يتخفى داخل غرفة المكتب كلوحة جدارية بطول الباب وعرضه، ما إن دفعها حتَّى توارب الباب، لتنتقل بعدها الرؤية إلى شاشة أخرى ظلت طوال الوقت خالية من أي شخصيات أو أحداث، الإضاءة خافتة للغاية ولكني ألحظ جسد الشاب المسجى على الأرض، عصام يتحرك حوله في هدوء ومن صوان صغير بارتفاع لا يتجاوز المتر والنصف يُخرج عشرات من الشموع، وباستخدام عود من الكبريت يشعل واحدة تلو الأخرى حتَّى بدت محتويات الغرفة تماما، وهنا ألحظ وجود مرآة عريضة، شفتي عصام تتحركان، هل يحادث نفسه؟ هل يغني أو يدندن، لا بد أنه رائق المزاج جدًا ليفعل ذلك، ثمَّ جلب بسرعة وعاء نحاسي اللون وصنع دائرة كبيرة من بودرة حمراء قام برشها على الأرض وعلى حواف الدائرة وضع الشموع ذات اللهب المتراقص، كان يعمل بأريحية وانسيابية وكأنه يقوم بطقس مارسه عشرات أو مئات المرات، ثمَّ سحب قلمًا أسودًا وقام بنقش بعض كلمات ورموز لم أتبين معناها أو أفهمها، ثمَّ رأيته يمسك آلة حادة أشبه بالمشرط ثمَّ يقوم بجرح ذراعه فوق مفصل الكوع لتنزف الدماء بغزارة منه فيسقطها حول جسد الشاب المفرود على الأرض، ثمَّ يغرس في ساق الشاب محقنًا وكأنه يسحب منه قليل من الدم ثمَّ أفرغ نقاط الدماء على شكل دائرة، ليصنع بذلك دائرتين من الدم، الدائرة الأولى تحيط بالجسد الغائب عن الوعي، والدائرة الثانية ألقى بنفسه داخلها على الأرض، لينام بشكل موازي للجسد الآخر.

باتت الصورة ثابتة الآن، هناك جسدان يرقدان أسفل ملاءة موضوعة على الأرض، كل منهما ينام داخل دائرة مصنوعة من دم الآخر، ثوان مرت دون جديد، حتَّى أتى من اللامكان ريح خفيفة لتبتعد الملاءة قليلًا وتكشف عن جسدين يرتجفان بشدة، يرتجفان بجنون وكأنهما مصابان بالصرع، الجسد بكامله وكأن صاعقة كهربية مسته بشكل كُلي.

الجسدان ينتفضان وقلبي يرتعد معهما، بعيون مذعورة وأعصاب محترقة أراقب، هربت الدماء من وجهي وهي تشاهد أرواح تغادر أجساد سكنتها طويلًا، ثمَّ فجأة سكن الجسدان تمامًا بعد دقيقة من الرعشات العنيفة، لم يبدو أن أيًّا منهما ما زال حيًّا بعد كل ما جرى، دقائق طويلة مرت عليّ أيامًا وشهورًا وكلاهما ثابت في مكانه جثة هامدة.

لا أدري كم من الزمن مر قبل أن ألحظ حركة خفيفة في ساق عصام شاهين هو من بدأ بالحركة، السؤال هنا هل ما زال هو عصام شاهين؟ إنه يرفع راحة يديه ويعتصر بها جبينه، هناك ألم أكاد أشعر به أنا الآخر جراء ما رأيت، إنه يغالب وهنه ويقاوم تعبه، جلس مقرفصًا على الأرض وهو ينظر للجسد الآخر الثابت كما هو، ثمَّ ببطء ينهض ويحاول اِستعادة بعض من وعيه وعافيته، وحين وقف على قدميه اِتجه للجسد الآخر وقام بسحبه إلى الغرفة الأولى، من الذي يفعل ذلك عصام أم الآخر، لم أفهم، جاء الخادم إلى غرفة المكتب وبمعاونة عصام قاما بنقل الجسد الشاب إلى غرفته، كانوا يتحركون جميعًا أمامي من شاشة لأخرى حتَّى عاد عصام إلى مكتبه وفجأة أغلقت الشاشات جميعًا في وجهي، دقائق مرت قبل أن يأتيني عصام من جيد والغضب يكسو وجهه.

- لقد فشلت العملية، هذه هي المرة الأولى التي يحدث لي فيها ذلك، كل عمليات انتقالي مرت من قبل بسهولة، لا أعرف أمر هذا الشاب المدعو صلاح، لماذا يرفض جسده روحي؟ لم أقابل شيئًا كهذا من قبل عبر القرون، سأجري محاولة

أخرى في الغد، إن لم تُجدِ نفعًا، فتهيأ جيدًا، يبدو أن لك دورًا أعظم مِمَّا خططت، ثمَّ تفحصني مليًا وهو ينظر إلى وجهي وكل ذرة في جسدي

- تُرى في صباح الغد سأكون بداخل أي جسد؟

والذهول والرهبة يغشياني من كل جانب قلت في محاولة يائسة:

- والرواية من سيكتبها؟

- أنا ولكن بهاتين اليدين.

ثمَّ أمسك بكفى يديّ ونظرة شاخصة مجنونة لم تبارح وجهه تؤكد بأنه لا يمزح على الإطلاق.

ماذا لو نفذ وعده؟ ما هو مصيري؟ لو ظللت حيًّا؟ هل سأرضخ وأرضي بالبقاء حيًّا حتَّى لو في جسد آخر، أم سأعيش بقية حياتي أبحث عنه في محاولة لاستعادته؟

توهجت في رأسي فكرة لم تمر ببالي قط، هل كان الرجل الذي يبحث عن عصام وأدليت له بمكانه ضحية سابقة لهذا الشيطان، لهذا دفع كل هذا المبلغ، لكنه كان بصحة جيدة ولديه كثير من المال، فما الدافع ليتبادل معه هذا الجسد؟

لا يجب الانشغال بماضي هذا الحقير، على التفكر فيما هو قادم من حياتي، هل من وسيلة للخلاص؟

الشاشات أمامي لا يدور بها شيء غريب، غير أن قصة حب تجمع بين الشاب والممرضة لا شك، لا يدريان ما ينتظرهما، أم ألعب أنا دور المضحي لتكتمل فرحتهما بالزواج عقب أن يفهما ما نجا كلاهما منه؟ لا زالت الزوجة لا وجود لها على الشاشات بينما الأطفال بائسين، يقضيان الأوقات في مللهم المعتاد، اِنقضت الساعات دون ظهور عصام ولكنه حين عاد، صعد رأسًا إلى غرفة الشاب الغارق في النوم، لا أعرف كيف أتى بهذه القوة ليقوم بحمله ونقله إلى مكتبه وسط غياب الجميع في غرفهم، يتنقل من شاشة لأخرى ويقوم بإعادة نفس الطقوس، الدوائر، الدماء، المحقن والقماش.

يرتجفان من جديد بقوة، لا أتمالك أعصابي وأنا أتخيلني في نفس الموقف، إنه الجنون بعينه، بت في ثانية أتمنى نجاح التجربة هربًا من الوقوع في هذه الكارثة، فلتسامحني أيُّها الشاب، لست بهذا السوء، ولكن نفسي نفسي، هذا هو الفيصل هنا، فلتنل ما تريد يا عصام، سأموت رعبًا قبل أن تظفر بجسدي أيُّها الوغد، لماذا أخبرتني؟

لا أصدق ما أرى وأنا أراه ينهض من جديد، صدمة أصابتني لم أستطعْ معها التركيز فيما يدور على الشاشات، واتجهت ببصري لا إراديًّا نحو الباب ورأيت عصام وهو يدخل الغرفة الخانقة في عجالة ليخبرني بأني البديل المناسب، لم تمر دقائق حتَّى وقع بالفعل كل ما جال بعقلي وعصام يقف أمامي يقول ما عليه قوله، لم يفاجئني كلامه فقد دار في رأسي قبل أن يتفوه به، كابوس لم ينتظر حتَّى الصباح ليتحقق وأضاف كلماته لتتجسد المعاناة:

- ميلنر الذي دفع لك المال سيصل القاهرة غدًا، وبحلول الغد سأكون غادرت هذا الجسد الذي يسعى للعودة إليه والانتقام مني، بعد ساعتين سنبدأ، فلتودع هذا الجسد قبل أن تغادره للأبد!

قلت باستسلام:

- لماذا ساعتين؟ لماذ ليس الآن؟

اِبتسم اِبتسامة خبيثة لم أفهم سببها.

- لأني بصدد تجربة سأجريها للمرة الأولى، وستكون أنت أول ضحاياها.

((حتَّى كلمة خوف
قد غيرت جلدها ولم تعد ترتعش)).

خوان مانويل روكا.

(22)

رسمنا خطة الاقتحام قبل وصولي القاهرة، جعلتهما قاما بدراسة الثغرات التي يمكن النفاذ منها، المباغتة سلاحنا ولا أريد كثير من الضحايا، فقط عصام أريده وحده، كانت تعليماتي لجون وسام تتلخص في الآتي:

- إخراج جميع الموجودين من رجال ونساء وأطفال بأي طريقة ممكنة ولكن بشكل هادئ حتَّى لا يلحظ عصام نفسه ذلك.

- الإبقاء عليه وحيدًا بالمنزل مع عدم اِقترابهم أو عدم السماح باقتراب أي فرد من الفيلا فور دخولي.

- في حالة خرجت وحدي أو خرج هو وحيدًا، هناك كلمة سر، النطق بها يعني نجاح المهمة، أيًّا كان الناطق بها أنا أو هو، عدم النطق بها أو محاولة التهرب من ذلك لا يعني إلَّا إطلاق النار عليّ أو عليه والفرار ثمَّ الفرار للجميع بعد أن تردوه أو تردوني قتيلًا قدر المستطاع وبلا رحمة.

- أتريد منا قتلك؟

- نعم لو لم أنطق كلمة السر.

عند هذه النقطة تبادلا جون وسام النظرات، ففهمت بأنهما يقدران بداخلهما بأني قد جننت، فأكدت عليهم ذلك، مع تلميح بسيط بأن عدم نطقي أو نطقه

لكلمة السر يعني أن عصام قد اِنتصر بطريقة يصعب شرحها.

- رسالة تصل للجهات الأمنية عقب دخولي للإبلاغ عن مكان اِختطاف الصحفي أحمد رأفت.

في تقديري لن تستطيع الشرطة الوصول إلى هذا المكان إلَّا بعد دخولي بخمس وأربعين دقيقة وهو زمن كافي جدًا لإتمام مهمتي أو فشلها.

- في حالة فشل المهمة يتم تسليم ظرف كبير لأحمد رأفت وفي حالة قتله أو عدم نجاته بأي شكل، يتم تسليم هذا الظرف للجهات الأمنية بمصر.

جون وسام يمكن الوثوق بهما، وبرهنا على كفاءتهما كثيراً من قبل، ريتشارد من رشحهما وحتَّى الآن لم يخذلانى، حين وصلت إلى القاهرة في هيئتي الجديدة هما نفسهما بذلا مجهودًا للتعرف عليّ، اِنتقلنا مباشرة في جنح الليل إلى هدفنا دون إبطاء.

عبر الباب الخلفي تسلل جون وسماعة لا تغادر أذنه ومايك مقترن بقميصه يخبرنا بتحركاته واختراقه بابًا وراء باب، في البداية وصل إلى غرفة الطفلة المسكينة، كانت بصحبتها فتاة تعتني بها، كادت أن تصرخ لولا تهديد صريح من جون بمسدس أسود تراه فقط مع رجال العصابات في الأفلام، حمل الطفلة المستسلمة وسلاحه في ظهر الفتاة التي تتحرك مذعورة ترتجف، تتوقف وتتابع السير بحسب تعليمات جون، عاد إلى سيارتنا القابعة في الظلام، بكت الفتاة وتوسلت بأن نرحمها، حاولت طمأنتها ولكنها لم تكنْ تسمع وربما لم تفهم إنجليزيتي، ثمَّ قام جون بدورة أخيرة ولكنه في هذه المرة، أُضطر لاستخدام العنف مع الخادم الذي أظهر مقاومة غير هينة، لحسن الحظ لم ينتبه عصام لتلك الضوضاء الخفيفة، بقى الطفل والزوجة وأحمد رأفت والشاب، في هذه المرة اِنطلق سام لإتمام ما سبق

أخبرني بأنه لا أثر للأربعة، طلبت منه البحث في هدوء مرة تلو الأخرى وفي كل مرة يخبرني بأنه ما من أحد سوى عصام بالفيلا، ربما يموتوا معه في نفس الغرفة وربما هم مختبئين، أين أخبأتهم أيُّها الشيطان؟

وجود أربعة بالداخل يقلل من أسهم نجاح العملية، هل ألغيها بعد كل ما فعلناه، أم أكمل أيًّا كانت النتائج؟

هنا سأجهز مرقدي الأبدي وسأحرر عبودية النجوم
من هذا الجسد المنهك من هذا العالم
ألقى آخر نظراتك أيتها العيون!
إليكِ العناق الأخير أيتها الأذرع!
الشفاه بوابة النفس
يجب أن تُغلق بقبلة وفية
صفقة غير مؤرخة للاستغراق في الموت
لدى حبيبي.

(23)

الجميع يؤمن بوجود فرصة ثانية، كثيرون يعيشون على اِنتظارها، تلاشي وجودها يعني موتًا إكلينيكيًّا محتومًا، لذا يتشبث الجميع ببصيص أمل يعينه على الحياة، قد يطول الانتظار وقد يقصر ولكنه يشحذ همتك على مواصلة العيش وعدم الاستسلام لمواصلة السير.

ميلنر عاش سنوات في اِنتظار أن يلتقى آندي من جديد، سواء عرف ما الذي يتوجب عليه فعله أم لا؟ هل هو مستعد لهذا اللقاء أم لا؟ ولكن الفرصة الثانية تقترب للغاية.

أحمد اِرتكب خطأً لم يعرف عواقبه ولم يدرِ حجمه إلَّا بعد حين، وبينما هو مقيد حبيس غرفة بحوزة كائن شرير لا ينوي به خيرًا، وبرغم تضاؤل الأمل رويدًا رويدًا، ما زال يؤمن بوجود فرصة ثانية، يجلس أمام الشاشات يراقب، يُمني نفسه بدخول مراد ورجال الشرطة في أي وقت كما يحدث في الأفلام، ولكن كيف لهم معرفتهم بمكان وجوده، إنَّه أكثر من يعرف كيف تلاعب عصام شاهين بالجميع، ولكن هناك أمرًا غريبًا يدور على الشاشات، هناك من يتجول بحذر في أرجاء الفيلا، يختبئ وراء الأبواب ويأخذ موضعه خلف الستائر تحسبًا لظهور أحد أفراد المنزل، رآه يحمل الطفلة ويقتاد الممرضة نحو الخارج، يصارع الخادم ولكن باحترافية ودون ضجيج، يعمل بسرعة وإتقان وكأنه مدرب على ذلك، هل هو أحد رجال الأمن؟ لماذا يعمل وحيدًا؟

إنه يغادر الفيلا بهدوء، اِصبر يا رجل! ما زال هناك آخرون! أنا بالداخل! لست وحدي كذلك!

يتمزق أحمد ولا يدري أيصرخ لعله يسمعه أم يكلفه ذلك ضياع كل أمل بعد أن يفضح هذا المنقذ االمجهول.

جلس يذرف الدموع وحيدًا وعينه معلقة بالشاشات، كاد قلبه يتوثب من الفرحة وهو يلمح شخصًا آخرًا يتسلل في الأنحاء، لم ينتبه في البداية أن لكلا الرجلين ملامح أجنبية، هل هم أوربيون أم .....؟

في ذروة اِنفعاله نسى ما قاله عصام بأن ميلنر الذي منحه معلومات عن عصام سيصل غدًا، لذا سيعجل عصام بإتمام الأمر، لقد وصلوا اليوم بل الآن، إنهم بالفيلا، هل أخطأ عصام، أم فاجآه ميلنر؟

إنَّه ليس من رجال الأمن، إنَّه ميلنر شاهرًا سلاحه، يتجول بهدوء، إنَّه يقف بقرب غرفة مكتب عصام، يتصنت على الباب قبل أن يفتحه فجأة بقوة ويغلقه وراءه.

نور تجلس منهارة في سيارة الدفع الرباعي بصحبة جون وسام اللذين يبدوان من رجال العصابات، الفتاة شاردة في عالمها، تمني نفسها بقدوم صلاح، والخادم يجلس مقيدًا وقطعة قماش ولاصق تغطي فمه فمنعت صوته حتَّى حين، مرت الدقائق ثقيلة، ثمَّ تذكرت هادي الطفل الجميل، كما فهمت بأن هناك كارثة تجري بالداخل، خاطفوها أنفسهم لا يعرفون ما ستؤول إليه الدقائق القادمة، ولكن كانت كلما تتخيل تعرض صلاح أو هادي لمكروه يصيبها الهلع، لن تتحمل أن تصيبه مصيبة، فليبادر أحد بإنقاذه، حاولت أن تتحدث معهما، بإنجليزية متواضعة تحاول تكوين جملة مفهومة:

Salah & Hady the Child, they will Die

كانت ترتجف حقيقة، بدأت تترجاهما أن ينقذاهما، إنَّه طفل ليس له ذنب فيما يدور، صحيح أنها لا تفهم، لكن كارثة على وشك الوقوع، الدموع تتساقط بغزارة، حين يئست من قيامهما بإنقاذهما، توسلت لهما أن يتركاها تعود للفيلا لتأتي بهما، أخبراها بأنهما غير موجودين بالداخل وهي تقسم على وجودهما، كانت تتوسل بحرقة، ثمَّ باندفاع غير محسوب حاولت مغادرة السيارة، هددها جون بالقتل دون جدوى، وصلت لمرحلة من الهيستيريا والذعر لم يُجد معها الكلام، صار أمام سام حل من اِثنين، إما أن يقتلها، وإمَّا أن يسمح لها بالعودة بالفيلا، بنظرة سريعة تشاور مع جون، كانت عينه تقول:

- Shoot her أطلق عليها النار!

رفع مسدسه بغرض التهديد، فلم يوقفها ذلك أبدًا بل كادت أن تلتحم معه وقد بلغ جنونها مداه، إنَّه على وشك أن يطلق الرصاصة ولكنه لم يجرب أن يقتل من قبل لأن أحدهم يطلب منه إنقاذ رجل وطفل ولديه تعليمات بغير ذلك، إصبعه على الزناد وهي تصرخ في وجهه، بطرف عينيه لمح جون يشهر سلاحه هو الآخر وقد جن جنونه جراء صراخها، رفع مسدسه قبل أن يقول بحماس:

- Shut up

- Ok, go go, run, try to come back quickly

وهو يفتح لها الباب.

جرت كالمجنونة وهي تتعثر كل عدة خطوات، لتسقط وتنهض من جديد، حتَّى غابت في الظلام الحالك، ونظرة لوم تغطي وجه جون، بينما سام يبرر:

- لا تنس ليس لدينا أوامر بقتلها.

- وليس لدينا أوامر بإطلاق سراحها وعودتها إلى الفيلا.

فبهت وجه سام حانقًا، صار يأمل أن يحالفها الحظ في العثور عليهما والعودة سالمين. ولكن أني لفتاة ضعيفة محدودة القدرات أن تنجح في مهمة فشل هو نفسه فيها.

***

ليس لديها الكثير من الوقت، هذا ما تعرفه نور، وجودها في الفيلا يعرض حياتها للخطر، لا تفهم من هؤلاء أو ماذا يريدون لكنهم مصرون وأكِفاء، سيكون هناك دم، سيكون هناك قتلى مهما حاولت التظاهر بالأمل في إنهاء هذا الكابوس الذي جثم على الجميع فجأة عليها أن تتحلى بالحذر ما دامت قررت العودة، ستفتش أرجاء المكان بحثًا عن صلاح وهادي، من الباب الخلفي للحديقة للمهملة دلفت، جرت عدة خطوات، إنها الآن في الطابق الأرضي، صعدت بسرعة البرق إلى الطابق الثاني حيث غرف النوم، مرت سريعًا على غرفتها وغرفة صلاح، بنظرة خاطفة أدركت أنَّه لا أحد هنا، إلى غرفة هادي، تبدو خاوية، بحثت أسفل الفراش وبداخل الصوان ربما يختبئ الطفل هنا أو هناك، ولكن غادرتها وهي موقنة بخلوها من هادي، غرفة أخته كما هي، لقد كانت بصحبة جوليا قبل وصول نواب عزرائيل، عيونها تجول في كل ركن، تتصرف بهيستيريا ولا تريد أن تُحدث صوتًا قد لا تجد الوقت لتندم عليه، ثمَّ دخلت إلى غرفة الزوجين، غرفة واسعة للغاية من داخل، لم ترها بالطبع من قبل، أباجورة موضوعة على الكومود بجوار الفراش ترسل ضوءً خفيفًا، خطت بعض خطوات لتقترب من الفراش قبل أن تشهق شهقة طويلة ناجمة عن هلع مفاجئ، كانت الأم ترقد على الفراش تنام بهدوء، كيف لم يلحظاها هذان الوغدان بالخارج، اِقتربت منها وهي تهمس في محاولة لإيقاظها، ولكن الزوجة في سباتها، تقترب أكثر وتمسك بيدها لتجدها باردة متصلبة وقشعريرة تسري في جسد نور قد يكون جسد الزوجة هو مصدرها، وضعت كفيها على وجهها، لقد ماتت، تقيس النبض لتتيقن فيؤكد ما لا يحتاج سوى الاستنتاج،

وقفت والدموع تجري على وجنتيها هربًا من هذا الموقف الحزين، سمعت جلبة فتتلفت يسارًا حيث مصدر الصوت، فوجدت هادي خارجًا من بابًا جانبيًا لم تلحظه عند دخوله، بخطوات ذاهلة وكأنه لم يراها تدثر بالغطاء بجوار الجسد المتصلب.

- هادي! ماذا تفعل؟

- .....

- هادي! قُم معي! لا يتوجب علينا البقاء هنا.

- علينا أن ننتظر صلاح!

قالها بصوت جامد غادرته البراءة.

- صلاح! أين هو؟

- والدي أخبرني بذلك.

- أين هو والدك؟

- في مكتبه، قال لي أنه سيرسل صلاح أو شخصًا آخر ليصحبنا معه.

- يصحبنا إلى أين؟

اِعتدل في جلسته.

- ألَّا تعرفين أننا سنغادر هذا المنزل وأنتِ معنا؟

تساءلت بداخلها هل كان يعلم بقدوم الآخرين؟

- أين كنت يا هادي؟ لقد بحثت عنك كثيراً.

- كنت في الغرفة التي كانت تنام فيها ماما؟

- كنت هنا؟

- أقصد الغرفة الأخرى حيث خبأها أبي، كان يأمل أن تعود، أن تنهض من جديد، لكنها ذهبت، وتركتني أنا وجوليا، أبي يقول أنكِ ستعتني بنا! أليس كذلك؟

- هيا يا هادي، حان الوقت لنغادر.

تشبث بأمه أكثر رافضًا الاستجابة لطلبها، عينه معلقة بها ويديه الصغيرتين تحتضنان ذراعها الأيسر، اِقتربت منه وبلطف جذبته من ذراعه.

- والدتك ستبقى هنا، لن تغادرك ولن تبارحها أبدًا (وأشارت بإصبعها إلى قلبه) لكن لا يمكننا البقاء أكثر وبقوة جذبته من ذراعه لينهض مترددًا وعينه تروح وتجيء بين أمه وبين نور، تحاول جذبه للخروج لكنه يقاوم في محاولة لعدم التحرك، لمحت نور في عينه دمعة، فانحنت لتحتضنه وتقبل رأسه.

- لن أراها ثانية؟

كانت تود طمأنته ولكن جال بخاطرها ما قد يقع لوالده، طفل في السادسة ينهار عالمه فجأة نتيجة لتكاتف القدر مع عصابة لا أحد يدري مقدار ما بهم من شر أو حجم الأذى الذي قرروا أن يلحقوه بالوالد.

- ستراها، الأحباء لا يغيبون، هيا جوليا في اِنتظارنا.

بدأ جسده يلين في يديها، فانطلقت مسرعة، لا وجود لصلاح، إنَّه يقع في دائرة الخطر، بالتحديد داخل غرفة مكتب الزوج، تود لو كان بإمكانها مساعدته ولكن دخولها الغرفة لن يعرض حياتها فقط للخطر بل حياتها وحياة هادي، نور تبكي من نياط قلبها، كيف تفر من إلقاء نظرة أخيرة على صلاح، كيف لا تمنحه ولو حضنًا واحدًا؟ كيف بخلت عليها الحياة بقبلة واحدة لشفاه من تحب، اِنطلقت بصحبة هادي تكاد تحمله في الهواء من فرط تعجلها. تُمني نفسها بعودة جديدة لإنقاذ صلاح إن أمكن.

***

أحمد يجلس أمام الشاشات، الأحداث تتصاعد، هناك حركة مختلفة ولقطات هامة متباينة تنقلها كل شاشة، رأى الفتاة تعود من جديد ورأى وجهًا غريبًا يتجول في الفيلا، لقد سقطت حصون قلعة الأسرار هذه، لكن الشاشة التي تبث ما يدور من غرفة عصام شاهين هي ما اِستحوذت على اِهتمامه الأكبر.

رفع وجهه نحو هذا المقتحم فوجد أمامه هيئة لا يألفها، جسد ممتلئ، تعلوه قبعة سوداء، لحية كثيفة وشعر طويل، بحث في ذاكرته القريبة والبعيدة فلم يجد ما يعينه على التذكر، بينما ميلنر يجول بطرف عينيه في أنحاء الغرفة بحثًا عن الآخرين، لا وجود لأحد، قام ميلنر بخلع القبعة وجذب شعره المستعار لتسقط معه اللحية الكاذبة، فأطلق عصام ضحكة مجلجلة وهو يشاهد ميلنر بجسد آندي، وابتسامة واثقة تعلو وجه ميلنر:

- أرى أنك حافظت جيدًا على هذا الجسد، لم أتوقع له أن يهنأ بهذا العمر.

- بينما جسدي أرى أنك قد أهلكته تمامًا.

- يبدو أني مستخدم سيئ.

- لماذا أنا يا آندي؟ لم أؤذك في شيء أبدًا، كان أمامك الملايين، لماذا أنا؟

- لأنك كنت متاح أكثر من اللازم وأسهل من اللازم، في وقت كنت فيه منهكًا للغاية، شاعرًا بالملل وبلا جدوي أي فعل يطيل البقاء.

- لم نكن بالقرب من أي جسر؟

- هذا قديم ومكشوف أكثر من اللازم، العالم يتسع لمدن وبلدان شتى بلا جسور.

- ولكنك دمرت حياتي.

- على العكس تمامًا، كان يمكنني إنهاؤها كما نزعت جسدك، ولكني منحت حياتك البائسة معنى، أعطيتك سرًا لا يعرفه سواك، جعلت لسنواتك في البحث

عني قيمة لم تكنْ لتحصل عليها أبدًا، حقيقة لم أتوقع نجاحك في العثور عليّ، لم يفعلها سواك، لولا هذا المعتوه الذي دلك عليّ.

- ولذا قررت خطفه؟ هل طمعت في جسده؟ أم ترغب بعقابه؟

- لا لم يكن هذا هدفي، إنه هنا لغاية أخرى تمامًا.

- حسنًا، أصدقك تمامًا، لست بحاجة للكذب، وليس لديّ الفضول لمعرفة ما تنويه به، جئت لسبب واحد.

- تريد الانتقام؟ هل تظن بأنك قادر على قتلي؟ هل تظن بأن رجالك بالخارج قادرين على منعي من الفتك بك؟ صحيح جسدي عليل، لكن جسدي الآخر أكثر علة في هذه المواقف، لماذا ترتعش يداك هكذا يا ميلنر؟ لماذ تضيق عيناك هكذا؟ هذا الجسد يحتاج معاملة خاصة، التوتر يهلكه، القلق يستنفذه، لقد جربته طويلًا قبل التخلي عنه، ومع ذلك ولأجل ما بيننا من سابق ود أقدم لك عرضي، سأعيد إليك جسدك وأسترجع جسدي، لا أظن أنك كنت تطمع في أكثر من هذا.

دوت ضحكة عالية من جوف هذا الرجل، ضحك حتَّى الثمالة، ضحك حتَّى كاد يسقط على قفاه، ضحك وضحكت معه كل ذرة في كيانه وحين رفع رأسه من جديد بعد هذه الوصلة من الضحك، كان الخوف باديًا للمرة الأولى على وجه عصام.

- ليتها تعود تلك الأيام حين لم يكن للألم وجود يا آندى، لقد بقى معي هذه الوجه أكثر من عقدين ونصف من الزمان ولم أره خائفًا هكذا من قبل.

- تعقل يا ميلنر، قتلي لن يفيد، ورجالك بالخارج لن ينفعوك.

فهم ميلنر بأنه يقرأ أفكاره.

- لسنا وحدنا وهناك آخرون.

لقد كشف عن ورقة مهمة كما لاحظ ميلنر وهي قراءته للأفكار، فأدرك ميلنر بأن أي خاطرة ستمر برأسه، سيعلمها عصام، ليطرد الآن كل خططه من رأسه.

- لو عرضت عليّ هذا العرض من يومين فقط، كنت سأطير فرحًا من السعادة، أمَّا الآن فلا أرى إلَّا جسدًا تنسحب منه الحياة ببطء، هذه صفقة خاسرة لا أقبل بها الآن.

ثمَّ أشهر ميلنر مسدسه، ووجهه نحو عصام، اِنطلقت الرصاصة مدوية لتستقر في صدر عصام المذهول، وقبل أن يستوعب، كانت أخرى تستقر بجوار أختها، ثمَّ ثالثة، قدمه لا يشعر بها، دماء تتفجر وتنزف بغزارة من أكثر من موضع، عيونه جاحظة، يراقب ميلنر، كم يتمنى أن يزهق روحًا طالما أتعسته، الآن يتذكر كلمات آدم بروين حين سأله:

- هل يمكن قتله؟

- نعم ولكن بشرط ألَّا يتواجد بشري في الجوار، نحن لا نعلم مقدار الوقت الكافي لينتقل من جسد لآخر ولا ماهية الطقوس التي تسبق هذا الانتقال.

سقط عصام أرضًا، هل يمكن أن ينتهي الكابوس بهذه البساطة؟ ليس لديه الوقت ليجيب، لا يرى أي من المختفين، عليه أن يفر، أخذ يجري ويعدو فوق طاقة جسده، ولكن مهمته على وشك الاكتمال.

كان أحمد يراقب هذا الحوار الصامت بكامل تركيزه عله يفهم ما يدور وما يقال، عليه أن يتكيف مع الصورة ويخمن الكلمات، لكنها مهمة شاقة للغاية، فجأة رأى مسدسًا بيد المقتحم، ثمَّ طلقات عدة في صدر عصام، سقط على الأرض بينما الزائر يهرع بعيدًا، يراه ينتقل من شاشة لأخرى لاهثًا، أمل جديد يلوح في الأفق وقبل أن يكتمل تكوينه، أسودت الشاشات فجأة، وتوقفت عن البث ودقات قلبه يتعالى صياحها خوفًا ورجاءً.

عاد ميلنر إلى السيارة وقلبه على وشك الانفجار بعدما تحمل هذا المجهود المفاجئ، لقد اِستعد ذهنيًّا لهذا اللقاء، لكن من الناحية البدنية اِعتمد على غريزته

في القدرة على البقاء حيًّا، ولن يبقيه حيًّا سوى العدو، هدأ من سرعته ليلتقط أنفاسه، حين اِقترب سألاه عن كلمة المرور فنطق بها على الفور، ولكن لدهشته لم تكن الفتاة موجودة، سأل جون وسام عنها، فتبادلا نظرات الخوف والعتاب، وقبل أن يهم أحدهم بالإجابة، جاءت من خلفه أصوات لاهثة، كانت نور والطفل بوجهين شاحبين وأنفاس مقطوعة.

مراد جالس في مكتبه قبل منتصف الليل، يكد البحث في قضايا أخرى تحاصره شعور بالذنب لا يفارقه وإحساس بالعجز ظل مصاحبًا له تأتيه رسالة عاجلة مجهولة المصدر.

(أحمد الصحفي محجوز في فيلا بطريق الإسكندرية، أسرعوا قد تجدوه حيًّا وقد تجدوه ميتًا، وقد تجدوه صار شخصًا آخرًا، وقد لا تجدوه) لا أعدكم بشيء؛ لأن ما يدور هناك رهيب، لكن أعدكم بأنكم ستجدون هناك جثة واحدة على الأقل، أرجو ألَّا تكون جثتي).

رسالة بثت فيه خوف ورجاء، أخيرًا سيحل اللغز، ولكن يرجو ألَّا يكون ثمن الحل حياة صديقه، على الفور اِصطحب القوات وتوجه بأقصى سرعة ممكنة نحو العنوان المذيل به الرسالة.

حين وصلوا إلى المكان في تلك الليلة الباردة لم يكنْ هناك صوتًا سوى طقطقة النار في المدفأة، فكر بأنه من الصعب التنبؤ بوجود أحمد هنا، الفيلا تتخفي عن الأنظار بعد عدة حقول مزروعة وسط الصحراء، صاحبها عصام شاهين كاتب مشهور لم يرتكب جنحة واحدة سابقة فكيف يمكن الشك في سلوكه وأفعاله.

لم يجدوا سوى جثة الكاتب غادرت الحياة نتيجة عدة طلقات في محيط القفص الصدري، وكذلك جثة زوجته ولكن يبدو أنها قد مر على وفاتها يومين على الأقل وتمَّ الاحتفاظ بها في ثلاجة كبيرة لذلك لم تكن رائحتها بالغة السوء كما هو متوقع.

لم يسفر بحث القوات سوى عن هاتين الجثتين أمَّا أحمد فقد وقف يشعل غليونه وهو يدور في المكان الذي يعج باللوحات والتماثيل، المكان مقبض وكأنك بداخل متحف يحيط بك صور موتى يتظاهرون بالوداعة من كل اِتجاه، ولكن مراد رآهم شهود يحاولون التستر على مجرم يدينون له بالولاء، عقب دقائق من الوصل جاء عصمت بسيارته الخاصة، سأل عن أحمد فأخبره مراد بعدم العثور عليه، تفحص عصمت الجثتين.

- إنَّها هي المرأة التي تتبعتها حتَّى الفيلا المهجورة الأخرى، كانت الأمور كلها مدبرة وكنا دمى في يد هذا اللعين.

- ولكن أين أحمد؟ ومن هو صاحب الرسالة؟ لا بد أن لديه معلومات مهمة ستكشف الكثير.

اِنفصلا للبحث في أرجاء المكان عن علامة أو دليل يشي عن الأسرار المتوارية هنا، وترك كل منهما قدمه تسوقه، في غرفة المكتب شرد مراد طويلًا في اللوحات المعلقة والتي تمتاز بطابع قوطي يصيبك بالتوتر، اِقترب من إحداها على الجدار، أطال النظر بها وهو يستحثها على الحديث والإفصاح دون جدوى، تلفت للوراء متفحصًا بنظره لوحة أخرى، أسند يديه على اللوحة الأولى ليفاجأ بها تعود للخلف كاشفة عن غرفة كامنة وراء الجدار الوهمي بابها المتخفي هو تلك اللوحة، كانت الغرفة التي يدور بها طقوس الانتقال لكنها كانت خاوية، دائرتان على الأرض وعدد من الشموع وكتب مهترئة وقماش ملطخ بدماء متجلط كذلك على الأرض.

أعطى أوامره بالبحث وراء كل اللوحات في كل الغرف، وكانت المفاجأة وجود غرفة واحدة على الأقل مختبئة داخل كل غرفة يعزلها باب تكسوه واحدة من اللوحات.

وجدوا صلاح في غيبوبة تامة في غرفة ملحقة بغرفة المكتب، يبدو أنها كانت

مسرحًا لأعمال عجيبة، وجدوا عديد من طلاسم وبقع دماء متناثرة هنا وهناك، لا يدروا على وجه الدقة أغراض هذه الغرفة المستترة، نقلوا صلاح بعربة الإسعاف لأقرب مستشفى.

وبينما مراد يتجول سمع عصمت ينادي عليه بلهفة، كان الصوت قادمًا من الأسفل، هبط حتَّى وصل إلى القبو، في منتصف القبو كان هناك فتحة مغطاة بقطعة متهالكة من السجاد، ودرج يقود لأسفل، كان هناك قبو أسفل القبو، القبو الأسفل كان أفضل حالًا من الأول من حيث النظافة والإضاءة، هناك غرفة جانبية مغلقة، اِقتحماها سويًا بعد أن حطما الباب، وجدوا أحمد في منتصف الغرفة مقيدًا ساقطًا على الأرض، لم يستطيعا تحديد ما إذا كان حيًا أو ميتًا، طلبوا رجال الإسعاف على الفور.

رحل الغرباء بعد أن تركوا السيارة في العراء بها نور والطفلين والخادم مقيد بإحكام، جاءتهم سيارة دورية من الشرطة، ألقت القبض على الجميع.

هرب ميلنر ورجاله في هذه الليلة، لكن تمَّ القبض عليهم لاحقًا قبل أن يتمكنوا من السفر، أدلى الجميع بما لديه من معلومات، صارت التحقيقات قيد سرية مفرطة.

كان لديّ كل منهم حكاية عجيبة عن عصام شاهين، لم تصدق الشرطة كل ما قيل ولم تكذبه، تدخلت سفارة ميلنر لحل أزمته، من الواضح أن عصام خطط لخطف أحمد وصلاح ونور، وفي نظر القانون كان يستحق ما نال، قبل الإقدام على جرائم أخرى.

اِستفاق أحمد من غيبوبته، أدلى بما لديه من معلومات، تؤكد ما قاله الآخرون، قبل سفر ميلنر للخارج اِلتقى بأحمد الذي أعاد له أمواله:

- لست بحاجة لهذا المال، لقد منحتني ما هو أغلى وكنتُ سببًا في إنقاذ حياة الجميع.

- حقيقة لم آت لذلك، فقد جئت للانتقام فقط.

- كان بوسعك أن تنتقم وتترك وراءك مزيدًا من الضحايا، لكنك آثرت إنقاذهم.

رحل ميلنر بعدما أكد على أحمد بضرورة التواصل فيما بعد للإبقاء على هذه الصداقة.

تقدم أحد المحاميين بأوراق تفيد بوصية من الأم في حالة حدوث أي مكروه لها فإنها توصي برعاية (نور كمال مرجان) للطفلين على أن يؤول لها مبلغ شهري ثابت من أرباح رصيد مالي متروك باسم جوليا وهادي.

كان الخبر مفاجئًا لنور وصلاح، منذ مغادرتهم الفيلا والطفلين بحوزتهما بالفعل وكلاهما يتجاهل السؤال الذي لا مفر منه (إلى متى؟).

عقب اِنتهاء التحقيقات نشأت صداقة بين أحمد وصلاح ونور، جمعتهم عدة جلسات، روى لهم ما كان ينويه عصام بجسد صلاح، الآن وعى صلاح لماذا كان ينام فجأة ولماذا لا يستيقظ في نفس المكان، فهم من أحمد أن عصام حاول اِحتلال جسده مرتين لكن كلاهما باءتا بالفشل، شكل هذا لغزًا للجميع حسب رواية أحمد ولكن صلاح كان لديه تفسير.

- ليس لديّ تفسير سوى أن العناية الإلهية هي التي تعهدت هذه المرة بإنقاذي، حدث بسيط مرت عليه سنوات، لم أعطِ له أهمية وقتها بل اِعتبرته محض هراء، كنت بصحبة مجموعة من أصدقاء الجامعة أثناء الدراسة بمدينة الإسكندرية، كانت رحلة تنظمها الكلية، ذات صباح وبينما نهم بالدخول لأحد الشواطئ قابلتنا اِمرأة عجوز ترتدي جلبابًا أسودًا ووشاح رمادي داكن، الهِرم لم يترك مساحة في وجهها ليعبر بها عن نفسه وخصلات شعرها الأبيض تتناثر فوق

رأسها الصغير وأسفل غطاء الرأس الخفيف ذو اللون الداكن، اِستوقفتنا جميعًا ونظراتها مثبتة علينا بعيون لا تطرف.

- يحميكم الله يا أولاد، ألَّا تساعدوا اِمرأة مسكينة؟

تبادلنا النظرات أنا وزملائي، لقد تعرضنا مرارًا لمحاولات التسول تلك وتباينت ردود أفعالنا بحسب الموقف والظروف، كنا ننوي تجاهلها والمُضيّ قدمًا قبل أن تستكمل.

- إن لم تساعدوني أنتم فسأساعدكم أنا، لو لم يكنْ الخير موجودًا علينا أن نوجده

أمسكت بيد زميل لي بسرعة، اِضطرب في البداية ولكنها رمقته في ثبات وهي تقول:

- ما تشاهده وحدك ليلًا يجمع الشياطين حولك ويصرف عنك الملائكة، لا تتجسس على جيرانك.

لم تضف أي كلمة ولكن زميلي سحب يده بسرعة وقد شعر بالخجل، ثم تجاوزته وأمسكت براحة يد زميل آخر وهي تقول:

- أنت تحبها وهي تحبك، لكنها ستتزوج غيرك وستتزوج غيرها، اِحفظ ملامحها بقلبك، لأن عينك قد تخدعك، ستراها بعد فراق طويل، أرجو أن يسرك هذا اللقاء.

ثمَّ وصلت إلى:

- سيطمع فيك شيطان، هل تريد أن تنجو؟

اِندهشت ولم أرد، كيف أفهم قصدها وقد بدا الكلام عجيبًا فكررت...

- هل تريد أن تنجو؟

أومأت في خوف أن نعم فطلبت مني غمض عيناي ثمَّ وضعت يدها نحيفة

الأصابع بارزة العروق فوق رأسي وتمتمت بكلمات غريبة وقد أغمضت عيناها وعلا شهيقها وزفيرها، ثمَّ شهقت شهقة غريق يحاول اِلتقاط أنفاس فلا يسحب غير الماء، شعرت بتوترٍ لا حدود له ثمَّ اتسعت عيناها بغتة، وذرفت دمعة سوداء من عيون باكية.

- ستنجو ولكني لن أعيش حتَّى هذه اللحظة، لن أعيش حتَّى هذه اللحظة، لن أعيش حتَّى هذه اللحظة.

وانطلقت مبتعدة وهي تردد هذه الجملة في أسى حتَّى اِختفت عن أنظارنا والحيرة تتملكنا.

لا أعرف ما الذي تمتمت به هل هي آيات أم تعاويذ أم طلاسم، كان ما تتفوه به في هذا الوقت هراء ليس إلَّا بالنسبة لي، كيف أعرف أن هذه نبوءة قد تصير ذات معنى ذات يوم، لكن يبدو أنها كانت محقة ولها رؤية، ولكن بحسب قولها فليس بوسعي حتَّى توجيه الشكر لها هذه التي لا أعرف حتَّى اسمها.

عرفا منه سبب خطفه له وجعله يراقب الشاشات، رأى أحمد تعلق هادي بنور وصلاح، لم يبق له سواهما، أمَّا جوليا فكانت في عالمها الذي لا يعرف أبعاده وسماته أحد.

”الشك ليس وضعًا مستساغًا، لكن اليقين حماقة“.

فولتير.

(24)

بعد مرور سبعة أشهر من مقتل عصام شاهين

من مكالمة هاتفية بين أحمد ومراد:

- أين أنت يا أحمد؟

- في إجازة استجمام.

- لك عندي قضية عجيبة، قلت لا أحد سواك سيتحدث عنها.

- أي قضية؟

- لغز من الألغاز التي تعشقها.

قال أحمد مازحًا:

- وتريد مني حله؟

- بالطبع ومن سواك؟

- أشعر كأنك تريد التخلص مني، ألا يكفي ما وقع لي بسببك؟

- بسببي أم بسبب فضولك؟

- أيًّا كان السبب ولكن لم أفق بعد من صدمة هذا اللغز.

- متى ستنتهي إجازتك؟

- حين أنتهي من كتابة الرواية التي أخبرتك عنها.

- حتَّى بعد موته تصر على الوفاء بوعدك له؟

- ليس ذلك فحسب القصة شيقة ومثيرة فعلًا، تحتاج لصياغة خاصة، تجربة عجيبة مررت بها، دقائق وكان شيطان سيحتل جسدي، أَلَا ترى بأن ذلك جدير بأن يُخلد في عمل؟

- جدير بالطبع، كم من الوقت أمامك؟

- أتمنى أن أنتهي منها خلال شهر.

- سأنتظرها وانتظر عودتك، لكن لا تبالغ في إظهارنا بُلهاء.

تبادلا الضحكات قبل اِنتهاء المكالمة.

حوار بين عصمت ومراد :

- كيف حالك يا مراد؟

- بخير يا عصمت، تبدو مبتهجًا، هل من أخبار سعيدة؟

- وأي أخبار يا مراد، لقد حللنا لغز مقتل رضوى عثمان.

- رائع، ولكن من هي رضوى عثمان؟

ينظر له عصمت باندهاش وعدم تصديق:

- وهل هذه قضية تُنسى؟ رضوى عثمان التى وُجدت جثتها فى جراج أتلفت فيه كاميرات المراقبة وتعرض الحارس للقتل.

- نعم نعم تذكرتها، زوجها كان يبكي بحرقة أثناء التحقيق.

- زوجها؟

- ما لك تنظر لي هكذا؟

- لأن رضوى كانت طالبة بكلية إعلام ولم يسبق لها الزواج.

يصمت مراد في خجل قبل أن يضيف عصمت.

- منذ عودتك من الإجازة وأنت فاقد للذاكرة بشكل عجيب يا مراد، أنت لا تذكر أي قضية قبل قضية اِختفاء أحمد، أعلم أنه صديقك والحمد لله عاد بالسلامة.

- سيادة العميد بدأ يلحظ ذلك بنفسه لدرجة أنه أخبرني وسألني هل مراد يعاني من مشكلة ما؟ لم أعرف بما أجيبه.

بدا على مراد الارتباك وربت على كتف صديقه برفق وهم بمغادرة الغرفة.

من رسالة من ميلنر إلى آدم بروين:

عزيزى السيد بروين:

خالص تحياتي لك، كنا قد تقابلنا من قبل بأحد فنادق أُسكتلندا وأخبرتك قصتي وفسرت لي الأمر بأني وقعت في شراك أحد الشياطين ورجحت اِنتمائه لشياطين الجسور، أرجو ألَّا تجد صعوبة في تذكر هذا الأمر، تعرف أني قضيت عمرًا في البحث عنه ولكني أخيرًا وجدته، لقد واجهته وأرديته قتيلًا، خبر كهذا تمنيت لو أخبرته لكل من أعرفه ويعرفني ولكن ليسوا كثيرون من يعرفون. لا أعلم إن كان هذا حسن تخطيط مني أو مبالغة في تقدير العدو ولكنها الحقيقة دعني أوضح لك ما دار خلال هذه المواجهة. .....

من رسالة من آدم بروين إلى ميلنر:

عزيزى ميلنر:

ببالغ الاهتمام قرأت رسالتك، بالطبع أتذكر كل تفاصيل لقاءنا السابق، أمور كهذه يصعب على المرء نسيانها، لا تعتبر ما سأقوله لك نوعًا من المبالغة أو المجاملة، ولكني قضيت ساعات طويلة عقب لقائنا أفكر فيما وقع لك، كيف يمكن تجاوز

أمر كهذا والتعامل معه؟ بالطبع أحييك على مثابرتك وشجاعتك حتَّى تمكنك من العثور عليه، كنت أود تهنئتك على اِنتصارك ولكن لدي شكوكي، أنت تقول أنك قتلته ولكن معذرة أظن لو أنك قتلت صرصورًا كنت ستبذل مجهودًا أكبر، شيطان كهذا لا يموت بهذه السهولة، تقول بأنَّه كان هناك أربعة أشخاص غيرك كانوا في الفيلا، ألم يخطر ببالك ولو لحظة بأنه قد يكون قد اِنتقل إلى أحدهم، أنت نفسك محل شك للآخرين لو يعلمون، هل تأكدت قبل مغادرة المكان بتوقف نبضه ومغادرة روحه للحياة، هل كان قد مات بالفعل حين أتوا رجال الشرطة أم يكون قد تلبس أحدهم في غفلة من الآخرين؟ هل تتذكر الضحية التي تشبه حالتك والتي كانت تراسلني من حين لآخر؟ لقد قابلت هذا الشخص منذ عدة شهور، اِبتهجت حين رأيته، كان قد توقف عن مراسلتي لفترة طويلة، وكنت أود الاطمئنان عليه، هل تعرف ما هو رد فعله حين رآني؟

لا شيء، إنه لم يتذكر أي كلمة دارت بيننا، إنه لم يعرفني حتَّى، ليس لديّ شك بأنه اِستحوذ على جسده ثانية، أمَّا مصير صاحبنا الذي أحدثك عنه فلا بد وأنه غامض ومجهول.

من رسالة من ميلنر إلى أحمد رأفت:

عزيزي أحمد كيف حالك؟ أتمنى أن تكون بخير، في الفترة الأخيرة تراودني كوابيس عنيدة أرى فيها عصام حيّ يرزق بعد أن تلاعب بنا جميعًا، أعلم أن من نعرفه باسم عصام قد مات وقد قمتم بدفنه، ولكن ما هي اِحتمالات فشل ما قمتُ به؟ أخشى أن نكون قد خُدعنا جميعًا، ماذا لو نجح في الانتقال لأحد المتواجدين داخل الفيلا؟ بالطبع كلامي ليس لك، علمت معاناتك وكيف كنت مقيدًا، ولكن ماذا عن الآخرين؟ المدعو صلاح كان فاقدًا للوعي هو الآخر، نور قد عادت للفيلا في محاولة لإنقاذ صلاح والطفل، حتَّى أني قد سبقتها في العودة لنقطة

التجمع بعد قتلي له، هذا يعني أنها أمضت وقتًا غير قصير هناك، الطفل نفسه موضع شك، ماذا لو أن الأمور ليست كما تبدو؟ هل توافقني في هذه الشكوك أم أن الوحدة التي أعيش فيها تصور لي هذه الأوهام؟ في انتظار ردك، وفي اِنتظار قراءة تلك الرواية التي طلبها منك هذا اللعين.

في زمرة الأحداث، نسيت أن أسألك عمَّا دار قبل فقدانك للوعي، هل تتذكر ذلك؟ ولماذا فقدت وعيك في هذا التوقيت بالذات؟

من رسالة من أحمد رأفت إلى ميلنر:

أنا بخير يا صديقي، لا أعرف أن كنت ستصدق ما سأقول أم لا، أنا نفسي ترادوني كوابيس مشابهة لأعيش المأساة من جديد بنهايات أخرى لأصحو مفزوعًا ما ألبث أن أبتسم بعد التأكد من وجودي بغرفتي، تجربة كتلك التي مررنا بها لن تمحي بسهولة من ذاكرتنا، أنا على اِتصال دائم بصلاح ونور بعد زواجهما، مازال الطفلان بحوزتهما يقدمان لهما الرعاية اللازمة، لم يذكرا لي أبدًا أي شيء غريب وحقيقة لا تراودني تجاههم نفس شكوكك، بخصوص الرواية فقد اِنتهيت منها منذ أسابيع قليلة وسلمتها لدار النشر وقريبا ستصدر طبعتها الأولى، سأرسل لك نسخة فور صدورها، أتمنى أن تنال إعجابك وأن أكون وفقت في نقل تجربتك الفريدة.

أمَّا بشأن تلك الليلة، فقد ذكرت لك من قبل أنه عقب إطلاقك للنار عليه اِنطفأت الشاشات ولم تعد تقوم بعملها، تلا ذلك اِنقطاع التيار الكهربي في الغرفة فغرقت في ظلام تام، آخر ما أذكره أني سمعت صرخة مريعة لم أدرٍ مصدرها ولا صاحبها، خمنت أنَّه عصام وأطلقها عند اِحتضاره، لا أدري هل سمعتها قبل مغادرتك أم لا؟ لا أتذكر أي شيء بعدها حتَّى تمت إفاقتي داخل غرفة المستشفى.

من مكالمة هاتفية بين أحمد وصلاح.

عقب تبادلهم التحية:

- كيف حالك أنت ونور والطفلين؟ هل تسير الأمور على ما يرام؟

- نحن بخير.

- هل أنت واثق؟

- ماذا تقصد؟

- لا أقصد شيء ولكن تراودني كوابيس غريبة بشأن تلك الليلة في الفيلا وبشأنك وبشأني ونور والطفلين، هل أنتم بخير حقًا؟

- لا أدري ماذا أقول لك ولكن ...!

- ولكن ماذا؟

- الطفلين؟

- ما بالهما؟

- لا أعرف ولكن في الفترة الأخيرة، لاحظت أنا ونور مكوث هادي مع جوليا في غرفتها بشكل أكثر من اللازم، لقد صار قليل الكلام وانطوائيًا بعض الشيء في الفترة الأخيرة، لم يكن هكذا هادي، أخشى أنَّه يتأثر بأخته بشكل سلبي ويكتسب طباعها بالانعزال والهدوء التام.

- أليس هناك أي تحسن في حالة جوليا؟

- لا جديد، هل تتذكر قصة المرآة التي رويتها لك من قبل؟ لقد سهوت ذات مرة وأخرجت مرآة في وجود جوليا، لا تتخيل حجم الصراخ الذي اِنبعث من هذا الكائن الرقيق، إنَّه بمثابة لغز بلا حل. هل تظن أن والدها كان لديه تفسير ولم يرد إخبارنا به؟

- ربما ولكن أرى أن الطفلين بحاجة لطبيب نفسي.

- لقد قمت بالأمر بالفعل، أخبرني الطبيب أن الطفلين لديهما نوعًا من الصدمة عقب فقدانهما والديهما، ويحاولان تعويض ذلك بالبقاء معًا وقتًا أطول، إنهما في محنة واحدة.

- وموضوع المرآة؟ ألم تجد له تفسير له لديه؟

- للأسف نسينا تمامًا هذا الأمر أثناء الزيارة.

من رسالة من أحمد رأفت إلى ميلنر.

عزيزى ميلنر:

فكرت طويلًا في رسالتك الأخيرة، لا أدري هل هناك فرصة لانتقال هذا الوغد في جسد طفل؟ هل هذا ممكن؟ صلاح يخبرني بأن الطفل ليس على ما يرام، أمَّا صلاح ونور يبدوان طبيعيين وليس لديّ شك تجاههما، يتبقى أنا، لا أدري تهمة كهذه كيف يمكن نفيها أو حتَّى إثباتها، لكن حتَّى لو لدينا شك تجاه الطفل كيف يمكننا التأكد؟ نسيت أن أخبرك جوليا تعاني من أمر خطير ليس له تفسير، ما إن ترى أي مرآة حتَّى يعلو صراخها بشكل مفزع، هل ذلك يشكل علامة ما؟

"على كوكب صغير، نولد وسط الآلام ونترعرع ونجاهد، ونمرض ونتألم، ونسبب الألم للآخرين ونصخب، ونموت، يموت أناس في حين يولد آخرون، ليبدأ تكرار الملهاة العقيمة من جديد.

أيكون الأمر كذلك حقًا؟ هل حياتنا كلها ليست سوى سلسلة من الصرخات المجهولة في صحاري أجرام لا تبالي؟".

أرنستو سابات.

(25)

من إعلان مدفوع الأجر على مواقع التواصل الاجتماعي:

بعد النجاح الساحق الذي حققته روايته الأولى (حان وقت الأشباح) يعود إلينا الكاتب أحمد رأفت في روايته الجديدة الأكثر تشويقًا (صفقة إبليس) الآن بجميع المكتبات.

من مكالمة هاتفية بين أحمد ومراد:

- ألف مليون مبروك يا أحمد، لقد قرأت الرواية في يومين فقط، أنت تعرف لست قارئ نهم ولكن روايتك مشوقة للغاية، بالطبع أعرف أغلب الأحداث لأني عايشتها معك بل وكنت جزءً منها، ولكن أسلوبك جعل للقراءة متعة خالصة، أنا متأكد أنها ستحقق نجاحًا كبيرًا وسنجدها في يد كل شاب وفتاة.

- الله يبارك فيك يا مراد، لم أتوقع أن تقرأها بهذه السرعة، هذا يحسب لي بالتأكيد، ولكنك لن تهرب هذه المرة من حفل التوقيع، لا بد من حضورك ولن أقبل بأي أعذار.

- سأحاول يا أحمد، لديّ الكثير من الأسئلة بشأن الرواية، لقد غيرت كل الأسماء وهذا مفهوم ولكن بعض الأحداث ليست كما توقعت أو كما جرت.

- ما رأيك أن نؤجل الأسئلة لحفل التوقيع أو أقرب لقاء، سأنتظر قدومك يا مراد؟

- تأكد سأفعل ما بوسعي لأحضر.

من حفل توقيع رواية صفقة إبليس لأحمد رأفت:

يقول محاوره والذي هو كاتب يبدو أكبر سنًا من أحمد رأفت يرتدي عوينات سميكة ولحية بيضاء خفيفة تزين وجهه أمَّا أحمد فقد اِرتدى حلة رمادية اللون أسفلها قميص أبيض وكرافتة باللون البترولي.

يومًا بعد يوم يؤكد الكاتب أحمد رأفت أن نجاحه المدوي في رواية (حان وقت الأشباح) لم يكنْ وليد الصدفة، بعد صدور أكثر من عشر طبعات لها خلال عام ونصف مع العلم أنها الرواية الأولى له وما زالت تتخذ مكانها في قوائم أفضل المبيعات، يعود من جديد لتتصدر رواية صفقة إبليس أعلى المبيعات بجميع المكتبات، وعلمنا أن هناك طبعات خاصة في طريقها إلى الدول العربية، صف لنا يا أحمد شعورك بعد نفاذ جميع نسخ أول طبعتين من الكتاب في أقل من أسبوع.

- اشكرك على هذا الكلام الجميل، بالطبع سعيد بهذا الإقبال الكبير على شراء، مجهود شهور يترجم ويقع بين دفتي كتاب ويصل إلى القارئ، فرحة يعرفها كل كاتب تزداد مع كل ردود الأفعال المتوالية، تزداد بالسادة الحضور الذين حرصوا على اللقاء واقتناء الرواية هذه هي لذة الكتابة.

- لا أريد أن أطيل الحديث وأنا أرى القاعة تكتظ بقراءك الشغوفين بأخذ توقيعك على نسخهم نتوجه للسادة القراء إذا كان لديّ أحدك سؤال فليتوجه به للكاتب أحمد رافت.

يرفع أحد الشباب الحاضرين يده ويسأل والجميع منصت له.

- هل روايتك حان وقت الأشباح سيكون لها جزء ثاني؟

- لا، لا أظن، أعتقد أني بحاجة لتقديم أفكار أخرى في المرحلة القادمة.

ثمَّ قامت فتاة لم تتجاوز العشرين عامًا بتوجيه سؤال جديد:

- هل فكرت أن تكتب للسينما؟

- الكتابة للسينما تحتاج عمل خاص وفي خطتي القريبة دراسة كتابة السيناريو حتَّى يتاح لي العمل بهذا المجال.

ثمَّ شاب تجاوز الثلاثين من العمر خفيف الشعر من الأمام أسمر البشرة حاد الملامح تبدو عليه الجدية ويقول في ثقة:

- كيف تختار أسماء رواياتك؟ لقد كنت موفقًا في اِختيار عنوان (حان وقت الأشباح) أمَّا روايتك الجديدة فبالرغم من جودتها وإثارتها ولكن لم أجد عنوان صفقة إبليس مناسب لها، أظن كان هناك عناوين قد تناسبها أكثر أنا وحدي وضعت لها خمسة عناوين أفضل من (صفقة إبليس).

- أفضل من صفقة إبليس مثل ماذا؟

- النداء الخفي مثلًا، يناسبها أكثر ويحمل غموضًا أكثر.

دقات قلب أحمد تتعالى، القاعة تدور به، يتحول الحاضرون إلى أشباح متحركة، بصره لا يغادر السائل الأخير، وفي ذهنه تتبلور صورة عصام شاهين وهو يردد:

"لأنها روايتي الأخيرة، وليس لديّ الوقت لكتابتها، أنت من سيفعل وستضع لها عنوان (النداء الخفي)، ستكون كما أردت وستتولى أنت مسئولية ذلك، هذا هو شرطي لأغفر لك طمعك وغدرك الذي اِرتكبته بحقي، وأي إخلال ببنود هذا الاتفاق سيحيل حياتك إلى جحيم والقادم من عمرك سيصير كابوسًا يستحيل الخلاص منه".

ما الذي يعنيه هذا السؤال؟ ولماذا النداء الخفي هو الذي وضعه للرواية؟ هل هذا الوغد حي؟

لم يجب أحمد وظل شاردًا يحدق في وجه السائل يطارد أسئلة يطرحها وحده

ويعجز عن الإتيان بإجابة واحدة، تعالت الهمسات من الحاضرين بعدما طال الصمت فتدخل المحاور إنقاذًا للموقف بعد أن شعر بأنه ليس لدى أحمد إجابة

- في رأيي اِختيار عنوان العمل حق أصيل للكاتب هو الأدرى بتفاصيل العمل والأكثر إلمامًا به، من حق القارئ أن يشيد باسم العمل أو لا أو حتَّى موضوع الرواية، لكن لا بد وأن صانع لعمل له وجهة نظر علينا أن نحترمها مهما اِختلفنا عليها، سأفسح لكم المجال الآن كي توقعوا نسخكم من الكاتب الشاب أحمد رأفت.

عقب اِنتهاء الحفل ومن محادثة جانبية بين أحمد ومراد:

- ما خطبك يا أحمد؟

- منذ أن طرح عليك هذا الشاب سؤاله وأنت لست على ما يرام.

- هل معك سيارتك؟ أريد أن أتحدث معك قليلًا؟

معي هيا بنا، وفي السيارة بدأ أحمد بالحديث.

- هل تتذكر آندي أو ميلنر الرجل الذي أفرجتم عنه؟

- بالطبع أتذكره؟

- راسلني منذ فترة وأخبرني أن لديه شكوك حول مقتل عصام شاهين أو بالأحرى روحه، يظن أنه لم يمت ويرجح اِنتقال روحه لجسد آخر، برأيك هل تظن أن العقل الذي تلاعب بي وبكم وبالآخرين، هل يموت بهذه السهولة؟

- حين وصلنا كان قد مات بل ودفناه أيضًا؟

- ربما الجسد مات لكن روحه هل تلبست جسد آخر، تتذكر كل الذعر الذي سببه لنا؟ تتذكر الفيلم الذي خدعنا به؟ تتذكر كيف نقلني من الشقة إلى هذه الحجرة وسط حراستكم المشددة؟ هل هذا الشيطان يموت بعدة رصاصات هكذا؟

- هذا ما حدث ورأيناه يا أحمد ثمَّ لماذا هذه الأسئلة الآن تحديدًا هل تأثرت بكلام آندي هذا إلى هذا الحد؟

- ليس ذلك فحسب يا مراد، هل تعلم حين طلب عصام شاهين كتابة الرواية له ما العنوان الذي أراده لها؟

- ما العنوان الذي أراده لها؟

- النداء الخفي.

عندها أدرك مراد سر ارتباك أحمد الواضح للعيان عند تلقي هذا السؤال الخبيث في حفل التوقيع.

من مكالمة هاتفية بين أحمد وصلاح:

بعد تحية سريعة وبعصبية واضحة يقول صلاح:

- أحمد! لقد قرأت روايتك، ما الذي كتبته في هذه الرواية بشأن نور؟

- أهدأ من فضلك يا صلاح! حين قررت نقل تجربتنا على الورق لم يكنْ عليّ الالتزام حرفيًّا بما دار، كان لا بد أن أطلق لخيالي العنان قليلًا.

- تقصد أن الجزء الخاص بانتقال روح الزوجة إلى جسد نور هو من وحي خيالك؟

- بالطبع يا صلاح، أولًا وأخيرًا هذه رواية، كثير من الأحداث والحوارات من نسج خيالي.

- أحمد! لا أعلم ما يتوجب علي قوله ولكن أخشى أن يكون ما دار قد نال من أعصابي ولكن دعني أؤكد لك نور التي أعيش معها ليست على ما يرام.

- ماذا تقصد بليست على ما يرام؟

- هادي يخشاها أكثر من اللازم، لها نظرات تخيفني أنا نفسي، والأسوأ من ذلك هناك كثير من الأمور دارت بيننا قبل الزواج وقبل تواجدنا في هذه الفيلا، إنها لا تذكر عنها شيئًا، غير ذلك ما من مرة اِستيقظ فيها في منتصف الليل إلَّا وأجدها

جالسة ترمقني في الظلام، أحمد! أنا لا أذكر أني رأيتها مرة واحدة نائمة منذ الزواج، وأظنك ذكرت شيئًا مماثلًا في الرواية عن عصام شاهين

- ذلك لأن هذا ما أخبرتني به أثناء تعارفنا وسردك للمواقف التي جمعتكم، كنت تراه مستيقظًا طوال الليل، كل زياراتك لمكتبه كانت في وقت متأخر.

- أنت تعلم مثلي أنها عادت للفيلا لإنقاذي وإنقاذ هادي، ولا نعلم ما الذي دار قبل خروجها من الفيلا ثانيَة.

- ولكن هادى يعلم، لقد كان بصحبتها؟

- إنه لا يتذكر شيئًا.

- هل فقد الذاكرة؟ لقد قلت لي في المكالمة السابقة إنَّه أيضًا ليس على ما يرام؟

- اِضطررت لقول ذلك، لقد وجدتها أمامي فجأة أثناء حديثي معك، ولكن حين سألته أخبرني أنه تعثر وسقط على الدرج وهما في طريقهما للخروج ولم يدرِ ما الذي حدث بعدها حتَّى أوقظته نور عقب خروجهما من الفيلا.

- صلاح! كلامك هذا خطير ويؤكد شكوك عندي.

- أي شكوك؟

- ليس ذلك الوقت المناسب سأتأكد أولًا.

من مكالمة هاتفية بين أحمد ومراد:

- هل وصلت لشيء يا مراد؟

- نعم، لقد طلبت الاطلاع على كاميرات المراقبة داخل المكتبة وحصلت على صور واضحة لكل الحاضرين ومنهم صاحب السؤال الغريب هذا، ساعات قليلة وسنعرف كل شيء.

من رسالة أحمد رأفت إلى ميلنر:

عزيزى ميلنر:

لقد بدأت تراودني نفس شكوكك في فشل المهمة التي جئت من أجلها لمصر، هناك بعض الأمور الغامضة تحدث بلا تفسير ولا أظن أن الصدفة وحدها مسئولة عن ذلك، جوليا اِبنة عصام ما زالت تصرخ دون اِنقطاع عند رؤيتها لأية مرآة، صلاح تراوده الشكوك بشأن زوجته والطفلين، وأن أيضًا لديّ يقين متنامي بأن عصام لم يمت، أقصد روحه بالطبع، لا أريد لهذا الكابوس أن يعود من جديد.

من رسالة ميلنر إلى أحمد رأفت:

عزيزى أحمد:

الأمر كله غامض ومخيف، ولكن هناك خبر جيد في وسط هذه العتمة الحالكة، دعنا نتلمس قليلًا من الضوء، صديقي الخبير الروحاني والعالم بالماورائيات آدم بروين سيقوم بجولة في الشرق الأوسط سيبدأها بمصر، أرجو أن تحدد معه موعدًا وتعرض عليه الطفلة، أظن سيساعدك كثيرًا، وسنجد لديه تفسيرًا واضحًا، سأرسل لك التفاصيل في رسالة لاحقة.

من رسالة من ميلنر إلى آدم بروين:

علمت بتوجهك إلى مصر في الأيام القادمة، صديقي أحمد سيقوم بالتواصل معك بشأن الموضوع الذي تعرفه، أظن سيرافقه كافة الأشخاص الذين تساورنا الشكوك بشأنهم من الطفلين إلى نور وصلاح وأحمد نفسه، لا أعلم إذا كنت واجهت شيطانًا من قبل أم لا؟ ولكن لو صحت شكوكنا فهو أحدهم. خذ حذرك، إلى اللقاء.

هل لديك فكرة لماذا لا يحارب رجال الإطفاء النار بالنار؟

(26)

اِلتقى أحمد آدم بروين في مقر إقامته، أخبره عن جوليا، ناقشه بشأن شكوكه والتي شاركها معه آدم، كلاهما لديه يقين يفتقد الدليل بوجود خدعة، لقد ظنوا أن هذا الشيطان مات لأنه أرادهم أن يظنوا ذلك، بينما هو يتلاعب بهم من جديد في هيئة جديدة، كان آدم شديد الحذر في التعامل مع أحمد، ما زال داخل إطار لوحة المشتبه بهم، كونه يتظاهر بالسعي وراء الحقيقة لا يُخرجه من هذه الدائرة، قررا سويًّا مباغتة الأسرة في بيتها للجلوس مع جوليا لعله يعرف سر صراخها لمجرد مشاهدة مرآة.

حين فتحت نور الباب دُهشت فور رؤيتها لأحمد، لم يزرهم من قبل بشكل مفاجئ وفي توقيت متأخر كهذا، كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساء، كانت الأسرة قد انهت عشائها للتو.

- أهلا يا أحمد، تفضل:

قالتها نور بتردد واضح ولكن أحمد خطا خطوتين للداخل.

- لست وحدي يا نور، معي دكتور آدم بروين من أُسكتلندا ومساعده روبن، تفضل يا دكتور.

وسط دهشة نور وصلاح دلف الرجل إلى الممر الداخلي للمنزل ومعه مساعده الشاب الأشقر، له شارب أصفر بلون شعره القصير وعينان صافيتين خضراويين، يحمل على ذراعيه حقيبتين يدويتين لونهما أسود.

- أود الاعتذار عن هذه الزيارة المفاجئة، ولكن دكتور آدم لا يملك الوقت الكافي للقدوم نهارًا، يقضي هنا أيام قليلة لحضور عدة ندوات في محافظات مختلفة، كانت اللحظة الراهنة هي الأنسب وإلَّا سنفقد هذه الفرصة.

بعيون ذاهلة وفاه فاغر من الدهشة قال صلاح:

- أي فرصة؟

بسرعة أجاب أحمد:

- ما يحدث لجوليا حين ترى المرآة.

- ولكننا لم نطلب مساعدة في هذا الأمر؟

قالتها نور باستهجان واضح.

- ولكن صلاح أخبرني بأن جوليا ما زالت تعاني؟

- نعم ولكننا اِعتدنا على هذا الأمر، لم نعد نستخدم أي مرايا، سوى واحدة لا تراها جوليا أبدًا.

بدا واضحًا عدم ترحاب نور بهذه الزيارة أو التجربة وأعلنت ذلك بشكل صريح

"أسفة، لن أسمح بتعرض جوليا لأي اختبار".

"ولكن هذا ضروري، لعلنا نستطيع علاجها".

" كل الأطباء لم يفعلوا، لا أثق في الدجالين" قالتها باحتقار نوعًا ما شعر به آدم على الرغم من كونه لا يفهم كلمة واحدة من تلك المناقشة بين أحمد ونور باللغة العربية.

"هو ليس دجالًا، هذا خبير يعرف ما يفعل ولن يؤذيها".

- أنا المسؤلة عنها وأنا أرفض.

- لماذا يا نور؟ هل أنت تخشين عليها أم على نفسك؟ لماذا أنتِ خائفة هكذا؟

- ماذا تقصد يا أحمد؟

- ألن تقولى لي ما الذي حدث قبل خروجكما أنتِ وهادي من الفيلا؟

- لم يحدث ما يستحق الذكر.

- ولماذا لا يتذكره هادي؟

- لأنَّه سقط من الدرج ولم يعد له وعيه سوى خارج الفيلا.

اِحتدم النقاش وعلا صوت كل منهما أمام الجميع قبل أن يتدخل صلاح الحائر بينهما.

- اِهدأا من فضلكما، ليس هكذا تناقش الأمور.

- ألم تسمع إلام يلمح هذا المجنون؟

- لست مجنونًا، رفضك مساعدة جوليا هو ما يثير الشك.

- نور حبيبتي، نحن لن نخسر شيئًا، لماذا لا نجرب ونرى ما يمكن لهذا الرجل عمله؟

- لا أتحمل أن أراها وهي تصرخ من جديد.

قالتها بحنان وهي تشير نحو المساعد الذي أخرج مرآة مستديرة من إحدى الحقيبتين.

- أحمد، هل أفهمتنا ما الذي تنوي فعله بالضبط؟ قالها صلاح الذي يبدو أهدأ من زوجته بمراحل.

- صراخ جوليا عند النظر في المرآة له سبب لا نعلمه، هل هي ترى بداخلها ما لا نرى؟ نحن لا نعرف ما هو التفاعل الذي أدى لهذه النتيجة، هل المرآة ترتبط معها بذكرى اِحتفظت بها في عقلها الباطن ولم تمحَ بمرور الزمن، نريد أن نعرف، لا تنس أنها اِبنة عصام شاهين، لست في حاجة لأذكرك من هو عصام شاهين وماذا

فعل بنا جميعًا، هذا الرجل لديه أجهزة اِستشعار ومعدات حديثة تلتقط أي وجود غريب، معه عداد يرسل أشعة تحت حمراء وكاميرات تلتقط صورًا في الظلام.

- أحمد! أنا أريد مساعدة جوليا، لكن أخشى أن يأتي ذلك بنتائج عكسية.

- لا تخف يا صلاح، لم أتِ لإيذائها.

- أمازلت تظن أن روح زوجة عصام شاهين اِنتقلت لجسدي كما كتبت في الرواية؟

جاء هذا السؤال من نور فنظر سريعًا إلى صلاح الذي مال برأسه جانبًا وهو يرفع يديه في الهواء مفسرًا:

- لقد قرأت روايتك؟ كيف أمنعها من ذلك؟

حاول ألَّا يبدو مرتبكًا وقد أعد نفسه مرارًا لهذا الموقف، ولكنه تصور أن يأتي السؤال في صيغة عتاب أو مزاح، لكن كل الدلائل تشير كما لو أنه يتهمها صراحة بذلك.

- لا يا نور، لقد أعملت خيالي قليلًا، لقد عشت هذه التجربة كما عشتيها من قبل، كان لديّ أسئلة بلا إجابة وما زالت، قصة موت زوجة عصام شاهين خافية علينا جميعًا، نحن لا نعرف كيف ولماذا ماتت، الطب الشرعي أثبت أن وفاتها طبيعية نتيجة هبوط حاد في الدورة الدموية، ولكن لماذا يحدث هذا بشكل مفاجئ في هذا التوقيت لامرأة شابة؟

- أنت جننت بالفعل! إنه يحدث يوميًّا عشرات بل مئات الوفيات لشباب وفتيات يصغرنها بكثير، على أي حال سأسمح لك بإجراء ما تريد اليوم كي ترتاح وننتهي، ولكن إن لمحتك بالقرب من عائلتي وبيتي ثانية فستلعن اليوم الذي ولدت فيه.

ثمَّ دلفت إلى إحدى الحجرات يتبعها هادي، ثمَّ ثبت المساعد عدد من

الكاميرات على قوائم معدنية ووضعها في أركان الصالة المربعة، وغطى المرآة بقطعة من القماش الأسود، من إحدى الحجرات ترامى إلى مسامعهم صوت هادي وهو يقول في رجاء:

- ماما أنا خائف

فقال صلاح لأحمد بصوت يشبه الهمس:

- لقد اِعتاد أن يناديها "ماما" منذ فترة، وكان ذلك مريحًا لكليهما.

ظهرت جوليا بصحبة نور، طفلة جميلة تتحرك بآلية كأنها لعبة، مستحيل أن تعرف إلام تنظر وفيم تفكر إن كانت تفعل، صندوق مغلق يستعصى على الجميع فتحه، ولكن آدم بروين في هذه الليلة سيحاول.

صارت الإضاءة مائلة للون الأحمر، عقب إطفاء المصباح، كل يتخذ مكانه نور وصلاح متجاوران في قلقٍ، هادي تحتضنه نور وتضع رأسه على صدرها في محاولة لتهدئته، أمَّا أحمد فيجلس على مقعد يقابلهم بينما آدم ومساعده يتحركان أمام الأجهزة والكاميرات، هناك ملاءة تغطي المرآة، أحد الأجهزة يصدر أزيزًا متقطعًا، سأل أحمد ما هذا؟

- إنه عداد يشبه عداد شيرينكوف، كل جسم حتَّى وإن كان غير مرئيًّا فإن له كتلة، هذا الجهاز بإمكانه تحديد ما إذا كان هناك أجسام لا نراها هنا أم لا، سيعطينا مؤشرات عن حجمها وسرعتها.

- هل تظن أن هناك غيرنا هنا؟

- ربما، هذه الفتاة قد تعاني من وجود اِستحواذ على عقلها من مؤثر خارجي، سنعرف الآن.

واصل آدم عمله وهو يمر بالجهاز على محتويات الصالة ثمَّ اِقترب بالجهاز من جميع الأفراد وكانت جوليا آخر الجميع.

لم تصدر عن الجهاز أي أصوات تنبيهية أو إنذار مفهوم، الجميع بالكاد يرى بشكل محدود لو أن هناك أي حركة غير معلومة المصدر سيعم الرعب الأنحاء، ولكن لا شيء حتَّى الآن، كل المؤشرات تعلن أنَّه لا شيء خارج عن المألوف في هذا البيت، مساعده الذي أخد يتحرك بحرية أكبر في المكان ككل يعلن أنه لا جديد.

الدقائق ثقيلة على الجميع وإن اِختلفت أسباب كل واحد منهم، حتَّى آدم نفسه ولكنه لا يبالي إذا بدا بمظهر النصاب الأوروبي أو العجوز الفاشل، إنه يبحث عن الحقيقة فقط.

بنظرة وحركة من اليد يشير آدم إلى أنَّه حان وقت الفقرة الأهم، سيزيح الستار الآن عن المرآة، فور تلقي الإشارة وضع هادي يديه على أذنيه بشكل تلقائي، بسرعة أزاحها، فانطلق صراخ مدوي اِرتج له جدران المكان، صفير يصم الآذان، فاقتربت نور سريعًا من الطفلة المذعورة واحتضنتها، الأشعة تحت الحمراء لا تظهر أي شيء، كان يعول آدم على ظهور ما يبرر هذا الصراخ داخل المرآة أو حتَّى تلتقطه أجهزته، لكن لا شيء، أعاد المساعد الملاءة وغطى بها المرآة فهدأت الطفلة، بعد أن كاد الجميع يفقد أعصابه جراء هذا الجو المشحون، وفي محاولة أخيرة طلب آدم من الجميع مغادرة المكان عدا جوليا، رفضت نور بشكل حاسم وكادت أن تشتبك مع آدم وأحمد، لكن صلاح تدخل وهدأ من روعها وسخطها، همس لها في أذنها غير مبالي إن كانت كلماته وصلت للآخرين أم لا "سيكون هذا آخر طلب، أعدك بذلك، بعدها سأوصلهم بنفسي لباب الشقة".

اِنصرف الجميع حتَّى مساعد آدم، اِتجهوا جميعًا لغرفة المعيشة جالسين بينما الإضاءة لا زالت خافتة للغاية.

من حقيبة صغيرة أخرج آدم ورقة بيضاء عريضة وفرشاة وعدد من الأقلام، ثمَّ حل الصمت على المكان لعدة دقائق.

نور تلعب بها الظنون، توتر حقيقي، تتصرف كأمها فعلًا، أحمد يلحظ ذلك بوضوع، هل كان محقًا حين أعمل خياله؟

هل هي أم الطفلة في جسد نور؟

ما الذي ستفعله أمها زياة على ما تفعله نور؟

هل هو يبالغ؟

وبينما أفكاره تتداعى على هذا النحو سمعوا صرخة ثانية، كانت صادرة هذه المرة من حنجرتين لا حنجرة واحدة، فانطلقوا مسرعين، ليجدوا الطفلة تنشب أظفارها في وجهه وفمها مفتوح على آخره، والرجل يحاول دفعها متألمًا، تدخلت نور فحملتها، وساعد أحمد الرجل على الاعتدال بينما صلاح قد أضاء المصابيح فتبددت العتمة.

"ما الذي حدث دكتور آدم؟".

لم يجب الرجل، ولكن اِنحنى في ذروة اِنفعاله ليلتقط ورقة عريضة على الأرض ويرفعها بكلتا يديه في وجه أحمد ونور وصلاح، قبل أن يقول صلاح "لا أفهم هذه الشخبطة" فيكرر آدم بإنجليزية، فيترجم أحمد "ركز جيدًا".

فتظهر على وجه صلاح أعتى علامات الصدمة ثمَّ يمررها إلى نور التي شهقت عقب ثوان من رؤيتها لمحتوى الصورة أمَّا أحمد فكان آخر الناظرين فاتسعت عيناه من الدهشة وحين حاول هادي النظر للصورة، منعته وجذبته إليها،

تركت جوليا آثار أظافرها على وجه آدم فسأله أحمد:

- ما هذا يا دكتور؟

- هذا الوجه هو الذي تراه جوليا في المرآة؟

- كيف رسمته؟

- لست أنا من فعل، هي من فعلت، وضعت القلم في يديها، وهممت بإظهار

المرآة من جديد فبدأت الرسم سريعًا بشكل جنوني، كنت أظنها تهذي ولكن حين رفعت الصورة لأرى ما فعلت وجدتها تغرس أظافرها في وجهي وتصرخ من جديد.

توقف في محاولة لالتقاط أنفاسه، ثمَّ واصل:

- لا أدري هل تراه في كل مرة وأجهزتنا لا تلتقط وجوده، أم إنها تستعيد صورته في كل مرة تنظر للمرآة، لكن بلا شك مرتها الأولى مع هذا الوجه كانت في وجود مرآة.

بسرعة أخرج أحمد هاتفه والتقط صورة لتلك الرسمة، بينما المساعد يلملم أغراضه بسرعة.

وقبل اِنصرافهم قال أحمد بحنق وهو يشير للورقة الملقاة على الأرض.

- أظنها كانت جلسة مفيدة نوعًا ما.

"الحمقى وحدهم يكررون الخطأ مرتين ويستهينون بالتحذيرات،
لذا فهم يستحقون ما هم مقبلين عليه".

(27)

بعد أن أوصل آدم ومساعده إلى فندقهم الأنيق بالتجمع الخامس، قام بالاتصال بمراد، عرف أنه في مكتبه، ولديه بعض الوقت للحديث، كان أحمد بحاجة للكلام، كما يود معرفة إلى أين وصل مراد بشأن السؤال الذي تلقاه في المكتبة، هل تحدث مع السائل، دقائق وسيحصل على إجابة.

قبل وصوله إلى مكتب مراد، اِلتقى عصمت فور خروجه من المصعد، لم يتقابلا منذ شهور، تصافحا وكلاهما يطمئن على الآخر بكلمات سريعة وابتسامات متبادلة:

- بالطبع قادم من أجل صديقك مراد؟

- أجل.

- ألم تتعلم الدرس بعد؟ مصحوبة بقهقهة قوية تجلجل في الأركان قالها.

- نهايتي على يده، يبدو ذلك.

- هذا قرارك كما هو واضح، ولكن احترس، مراد في الفترة الأخيرة يتذكر اِسمه بالكاد.

- هل أصابه الزهايمر فجأة؟

- لا أعرف ولكن منذ قضيتكما وهو كثير النسيان، سريع الغضب، طلبت منه الحصول على إجازة حتَّى يستعيد صفاء ذهنه، مهنتنًا تستلزم التركيز وتشغيل الدماغ، لا يفوتك شاردة أو واردة وبالطبع لا تنسى جريمة قمت بالتحقيق فيها أو اِشتركت في حلها، ألا ترى معي ذلك؟

- يبدو أنكم مضغوطون أكثر من اللازم، للدرجة التي تجعله كذلك.

- نعم قد نكون كذلك ولكن مراد في الفترة الاخيرة يأخذ جانبًا كما لو أن كل هذه القضايا لا تعنيه، لدرجة أني فكرت أنَّه ربما يطلب النقل ولكن حين أمعنت التفكير أدركت أنَّه ينتظر الحصول على الترقية القادمة، ولكن عليه بذل الجهد حتَّى لا يخسر هذه الفرصة، الأمور ليست سهلة كما يتصور عقد أحمد حاجبيه اِندهاشًا، يبدو أن هذه القضية ألقت بظلالها على الجميع، ولم تترك فردًا واحدًا كما كان.

ودع عصمت وذهنه مشغول أكثر بما سبق حضوره.

اِستقبله مراد بحرارة، صافحه واحتضنه على غير العادة، ولكن يبدو أنها طريقته في الإعلان عن حفاوة الاستقبال، بينما أحمد يريد أن يتجاوز كل تلك المقدمات، يريد أن يقفز على الدقائق والساعات التي تسبق وصوله للحقيقة، هواجسه في اِزدياد، وشعوره بأن هناك شيطانًا يتلاعب به يسيطر على عقله تمامًا، لاحظ مراد هدوءه وابتسامته المصطنعة:

- ماذا بك يا أحمد؟ تبدو غريبًا بعض الشيء.

كما لو كان ينتظر السؤال ليلقى ما بجوفه أمام مراد.

- لقد زرت صلاح ونور، ومعي دكتور آدم الذي حدثتك عنه.

- هل من جديد؟ توصلتم لشيء، قالها باهتمام حقيقي.

- لا شيء، كنت آمل مساعدة هذا الرجل ولكن لم تأت الزيارة بجديد بالنسبة لي.

- هل كنت تظن أنه سيقف في وسط الزيارة ليعلن: "هذا هو الشيطان، قيدوه بسرعة"؟

هذه سذاجة يا أحمد إذا سمحت لي، لو أن شكوكك صحيحة، فأنت تحتاج لأكثر من مجرد خبير في عالم الأرواح والأشباح، بجانب أن هناك أمرًا عظيمًا تتجاهله

بشدة، قد يكون الأمر بسيط للغاية وميلنر قضى على هذا الشيطان بالفعل وما تظنه مجرد أوهام، غالبًا الحقيقة لا تصدق لفرط بساطتها

قلب الأمر في رأسه فتذكر ذلك الشاب الذي وجه له السؤال:

- هل وجدت الشاب؟

- نعم وجلست معه، كان يتحلى بالهدوء والمنطق، لم يبد عليه أي توتر سوى هذا الذي يحدث لأي مواطن داخل جهاز أمني، كان سؤاله عفويًا، لكن لديه قناعة بأن الرواية يناسبها أكثر هذا الاسم.

- كاذب، لقد تلاعب بك.

شعر مراد بالحرج وكذلك أحمد بعد توجيه هذه الإهانة.

- أعصابي متوترة، آسف يا مراد، يبدو أن معك حق، قد يكون الأمر أبسط مِمَّا أتصور.

- لا عليك يا أحمد.

ثمَّ اِقترب منه وضمه سريعًا وهو يكرر على مسامعه:

- سامحني، سامحني يا أحمد أنا من ورطتك في هذه القضية، كلما رأيتك تعاني، ضميري يعنفني بشدة.

- الأمر كان أكبر مني ومنك.

اِنصرف وهو يفكر منذ متى صار مراد رقيقًا مرهفًا هكذا، اللعنة على تأنيب الضمير.

عاد لمنزله وهو يؤنب نفسه لشعوره بأنه يبالغ قليلًا، ماذا لو أن الأمر منتهى بالفعل؟ هواجس ميلنر وكوابيسه لا تعنيه، شكوكه بأن من يمتلك هذه القدرة يصعب التخلص منه تظل مجرد شكوك حتَّى وإن بدت غير منطقية أمَّا السؤال الذي وجه له عن عنوان الرواية فهو أكثر الأدلة تأكيدًا على بقاء هذا الوغد حيًّا

يتلاعب به من بعيد، هذا السؤال لم يكنْ تلقائيًا، تخمين نفس الاسم ليس عشوائيًّا، لا شيء يحدث مصادفة، هكذا تعلم.

تهالكت أعصابه فليرتاح قليلًا، على أي حال ليست الأمور أصعب من تلك الليلة التي قضاها في مشاهدة الفيلم، حين تآمرت عليه المصابيح وغرق المنزل في الظلام، وتوالت الرسائل المخيفة في الظهور على الشاشة، عليه أن يبدل ملابسه وأن يهرع للنوم قبل أن يجن جنونه من فرط التفكير، وبينما هو يخلع ملابسه ويفرغ محتوياتها قبل وضعها بغسالة الملابس، يجد ورقة بيضاء مربعة مثنية أكثر من مرة في سترة بدلته، فتحها بهدوء وهو يحاول تذكر متى وضعها ولأي غرض، قرأها ببطء ودقات قلبه يشتد صراخها.

"الحمقى وحدهم يكررون الخطأ مرتين ويستهينون بالتحذيرات، لذا فهم يستحقون ما هم مقبلين عليه".

قرأها وسقط على ركبتيه وهو يتلفت في كل اِتجاه حوله بعيون زائغة من الخوف.

((إن القتيل ليس بريئًا من جريمة القتل)).

جبران خليل جبران.

(28)

من جديد يضيء كل المصابيح، ويرفع صوت التلفاز، لعله يحظى ببعض الأمان تنحي الشك جانبًا وحل محله يقين لا يتزعزع، هذا الشيطان لم يمت، إنَّه يراقبه كل هذا الوقت ويتحين الوقت المناسب للظهور، وقد كان فور الإعلان عن اِسم الرواية.

ولكن كيف؟ لقد قام بزيارة مفاجئة لمنزل صلاح بصحبة خبير ولم يتوصل لشيء سوى صورة لكائن مخيف، يبدو أن هذه الطفلة رأته في المرآة، هل هذه هيئته الحقيقية دون الاختباء في جسد بشري؟ ولكن أي جسد الذي يستخدمه الآن؟

صلاح ونور والأطفال كانوا طبيعيين ولم يتصرف أحدهم بغرابة، حتَّى اِنفعال نور له ما يبرره، وانصاعت في النهاية لطلبه، هل هو أحدهم وبارع في التمثيل إلى هذا الحد؟

"ولكن اِحترس، مراد في الفترة الأخيرة يتذكر اِسمه بالكاد".

"نعم قد نكون مضغوطون ولكن مراد في الفترة الأخيرة يأخذ جانبًا كما لو أن كل هذه القضايا لا تعنيه".

ثمَّ كيف وصلت الرسالة لجيبه؟ من ومتى وكيف وضعها؟

ثمَّ احتضنه:

" سامحني، سامحني يا أحمد أنا من ورطتك في هذه القضية، كلما رأيتك تعاني، ضميري يعنفني بشدة".

"متى صار مراد رقيقًا مرهفًا هكذا".

"أظن كان هناك عناوين قد تناسبها أكثر، أنا وحدي وضعت لها خمسة عناوين أفضل من (صفقة إبليس)".

أفضل من صفقة إبليس مثل ماذا؟

"النداء الخفي مثلًا، يناسبها أكثر ويحمل غموضًا أكثر".

مراد كان حاضرًا وقتها، سواء بالاتفاق مع الشاب أو بالإيعاذ له.

مراد لم يحضر جلسة آدم بروين لذا لم يخرجوا من هذا اللقاء بنتيجة كبيرة.

مراد ينسى القضايا التي يعمل عليها ويبدو غير مهتم.

مراد يدس له ورقة في جيبه بكلمات تحمل نفس الصيغة التي شاهدها في الفيلم.

مراد حضر إلى الفيلا عقب إطلاق الرصاص وأول من شاهد جثة عصام.

كل هذه الوقائع تفضح حقيقة واحدة، مراد ليس مراد .

في مكالمة هاتفية مع آدم بروين :

- أحتاج إلى هذا العداد؟ ولكن إلى أي مدى يمكن الوثوق به؟

- مؤشراته لا تكذب ولن يعطيك إنذار دون سبب ولكن لماذا تسأل؟

- لنقل أني عرفت من هو هذا الشيطان واحتاج لدليل أخير، ولكن في حال تأكدي ما هو التصرف الأمثل؟

- هل هذا يحتاج لسؤال؟ تخلص منه! اقتله! اِغرقه!

- ولكن ميلنر حاول قتله من قبل وفشل؟

- هناك طريقتان لقتله لا ثالث لهما ربما يوجد لكني لا أعلمه فساعتبره غير موجود.

إمَّا أن تقتله وهو نائم وتتأكد من موته بما لا يدع مجالًا للشك؟ وإن كنت أشك أن هذا الكائن ينام، وإمَّا أن تقتله في مكان ليس به سواكما وتقتل نفسك معه! أخبرت ميلنر بذلك لكنه لم يفعل ولا أظن هناك عاقلًا قادر على ذلك، ولكنك أثرت فضولي، هل هو أحد أفراد عائلة صلاح ونور؟

- آسف لن أستطيع الإجابة على هذا السؤال، سأمر عليك غدًا لأني بحاجة لهذا الجهاز، سأعيده حين أنتهي، إن لم أضطر لقتل نفسي.

غالبًا الحقيقة لا تصدق لفرض بساطتها هكذا قال مراد أو من يدعي أنه مراد، من يمكنه تصديق أن رجل الشرطة مراد شيطان رجيم يحترف السحر والخداع؟

تخلص هذا الشيطان من مراد واستحوذ على جسده، هل هذا سبب كافٍ لقتله؟ نعم هو سبب كافي لقتله كنوع من تحقيق العدالة والثأر لكنه ليس كافيًا لأحمد ليكون المنفذ والأداة، لكن لو أن هناك خطرًا يحيط بك ويضيق عليك الخناق فستفعل المستحيل لتدرأ عنك هذا الخطر وهذا الكائن توعده بجحيم طائل لو لم يلتزم بتعليماته، هل يمكن السكوت على ذلك والانصياع لخططه، لا أحد يتحمل تهديد دائم مخيف.

وضع الجهاز بحقيبة يد سوداء وقام بزيارة مفاجئة لمنزل مراد، لا بد من التأكد قبل اِتخاذ أي قرار، هذا الجهاز هو الفيصل، جعل صوته يكاد يكون غير مسموع، لا يريد لفت نظره، كما أنَّه سيفعل المستحيل ليصرف تفكيره عن كل خططه بشأن تعرفه عليه في ثوبه الجديد حتَّى لا يستطيع قراءة أفكاره، سيحتال على عقله ويفعل ما لم يجربه قط من قبل، ما أصعب أن تنوي شيئًا وتُجبر على ألَّا تفكر به وألا يخطر ببالك لجزء من الوقت، هل هذا معقول؟ هل هذا ممكن؟ هل يمكنك التحكم بعقلك إلى هذه الدرجة، إنها معركة ذهنية، ضمان اِنتصاره الوحيد أن

ينسى عن عمد، يتحدث معه كما كان يفعل قبل عدة أشهر في أي شيء إلَّا الأمر الأهم كونه الخطر الأعظم، هل يمكنك أن تلتقي فهدًا وابتسامة تعلو وجهك؟ أن تصافح تمساحًا يتظاهر بالوداعة؟ أن تفتح ذراعيك لذئب؟ أن تطمئن لسبع في عرينه؟ أن تأمن وحشًا لن يتواني عن التهامك؟

سيحاول.

طرق الباب عدة مرات، فأدرك أنه لم يعد بعد وحتَّى أسرته غير موجودة، غريب هذا ولكنه ليس أغرب من تحوله، سينتظره أمام البناية، لم يطل اِنتظاره كثيرًا.

تبعه أحمد، طرق بابه من جديد، وحين فتح له الباب تحدث أحمد في لهفة على نحو غير مسبوق:

- انجدني يا مراد! لقد سرقوا حاسوبي، كنت أسير في الشارع ومعي الحقيبتين وإذا بدراجة بخارية يقودها شابين تمر بجواري فتنزع من يديّ حقيبة حاسوبي الشخصية.

الكلمات تنزلق من فمه فتخرج متعثرة غير واضحة ولكن حاول مراد تهدئته

اِستقبله في صالة منزله وأجلسه على كرسي مريح، أحضر له كوبًا من الماء البارد.

" في أي مكان تمت السرقة؟".

"مدينة نصر".

ثمَّ أخرج هاتفه وأجرى مكالمة تليفونية، يبدو أنَّه يهاتف زميل له في قسم الشرطة، ثمَّ أعطى الهاتف لأحمد ليبلغ بمواصفات الشابين، حين أنهى المكالمة، اِعتذر لمراد عن الزيارة المفاجئة وإرباكه بالأمر، ولكن بدا متفهمًا للموقف، ثمَّ في عجالة حاول أحمد الانصراف بعدما سبب لمضيفه هذا الإزعاج، طلب منه مراد البقاء ولو قليلًا ليرتاح ولكن إصرار أحمد لم يتزحزح، وخرج مسرعًا، اِختلق قصة

كاملة، كان عليه تصديقها حتَّى يستطيع إقناع مراد بها، ويبدو أنَّه نجح في مسعاه، كان متشوقًا لمغادرة المكان ومشاهدة الجهاز، اِبتعد قدر الإمكان وبعد دقائق أخذ سيارة أجرة عائدًا إلى منزله، فتح الحقيبة وأخرج الجهاز برفق، قلبه يترجرج في صدره ثمَّ فجأة وضع يمناه على فمه حين لاحظ تحرك المؤشر إلى أقصى حد واللون الأحمر يصرخ في سفور.

على هذا الكائن أن يموت، معه لن يصبح القتل جريمة بل هدية ولكن ذلك الجسد الذي يرتديه سيصعب المهمة، لذا من جديد يعود أحمد للإنترنت المظلم سيدفع أي مبلغ لقاء التخلص من هذا الكائن، إنَّه بحاجة لمحترف لا يخطئ، يقتل بدم بارد ولكن عليه أن يحتاط كي لا يصبح نسخة جديدة لهذا الشيطان.

وجد أحمد مبتغاه، في عالم يعج بالقتلة والمجرمين لم يعد عسيرًا الحصول على أحدهم مقابل المال، ولكنه سيدفع أكثر مِمَّا توقع، طلب قناصًا، مطلوب منه طلقتين واحدة في الرأس والأخرى في القلب، لا يهم الترتيب، الأهم أن يصيب الهدفين بدقة، وكذلك أن يطلق من مسافة لا تقل عن خمسين مترًا، كانت هذه طلباته وسيحرص على تنفيذها بدقة، إنه لا يعلم حتَّى جنسية المنفذ أو شكله.

بعد يومين كانت كل الأخبار تنقل الخبر الصادم "مقتل ضابط على يد قناص هارب" وأسفل الخبر العريض بخط أصغر "رصاصتان اِخترقتا جسد الشهيد لترديا قتيلًا في الحال، والداخلية تتوعد وتبحث عن الدوافع".

يراها الجميع جريمة محيرة، لم يكن مراد صاحب عداءات مع أحد، لم يكن من العتاة أصحاب السلطة الذين يستغلونها في التعذيب والابتزاز، كان مشهودًا له بالكفاءة وحسن الخلق لذا سبب خبر مقتله صدمة للجميع، أمَّا أحمد فكان يراه انتصارًا، بعدما أيقن بأنه لم يكن مراد. عاش أيامًا بمشاعر مضطربة أيفرح لانتهاء هذا الكابوس أم يحزن لرحيل صديقه الذي لم يعرف برحيله إلَّا منذ أيام؟

مرت أيام عديدة بعد ذلك، كان يتعافى من صدمته تدريجيًّا، لقد اِفتقد تمامًا هذا الهدوء الذي يعيشه منذ شهور.

روايته تواصل النجاح، أكثر من جريدة طلبت منه الانضمام لفريق عملها، مقالاته القديمة تغزو المواقع والصفحات، لقاءات إذاعية وتليفزيونية يحضرها للحديث عن أعماله، لا شك مكاسب عديدة نالها بعد هذه التجربة، ولكن خسارته كانت أكبر، لم يدرِ ذلك في وقته ولكن أدركه بعد حين، بالتحديد حين اِستيقظ من النوم ليجد ورقة كبيرة تحت وسادته، لم يفهم أو يتذكر كيف وصلت لهنا، ولكن حين هم بالقراءة عاد الفزع من جديد.

وقبل أن تتحداه عليك أن تتذكر، أنت من قتل أخاك ودفنته، أنت
من قضم التفاحة وليس هو.

(29)

أهلًا أحمد، مضت مدة طويلة منذ لقاءنا الأخير، كان بيدك غلق هذه الصفحة للأبد، لكنك تصر على تعذيب نفسك، طلبت منك كتابة الرواية وتسميتها ب "النداء الخفي" لكنك لم تحترم رغبتي رغم تحذيري لك، لا أعرف هل هو غباء أم اِستهانة بقدراتي رغم ما رأيت؟ ولكن أحداثًا صنعتها لك وظروفًا هيئتها وأفكارًا لم تخطر ببالك، لماذا تستكثر على من قدم لك كل هذا أن يختار عنوانًا لرواية لم يكنْ لديه الوقت ليكتبها، لقد تخلصت من جسد عصام شاهين لكن إدمانه للكتابة لم يفارقني بعد، واكتفيت بصناعة الحدث بدلًا من كتابته، ووكلتك أنت إيمانًا مني بموهبتك بنقل أفكاري على الورق، لذا كان عليك دفع الثمن؟ تقتل صديقك؟ بهذه البساطة يا أحمد لمجرد أن جهازًا لعينًا أعطى مؤشرًا.

أنتم البشر يسهل خداعكم، كائنات ساذجة تدعى الفهم ولا تتعلم من أخطائها أبدًا. متى ستؤمن بقدراتي؟ متى ستصدق تحذيراتي؟ ولكن في كل الأحوال أنت الخاسر الوحيد، بالطبع تتساءل من أنا؟ وأين ذهبت؟ وكيف نجوت؟

سأجيب على تساؤلاتك رغم خذلانك لي، ولو أنك مُنحتها من البداية، لقد اِعترفت لك من اللقاء الأول، لقد عريت نفسي تمامًا أمامك، ولكنك لم تنتبه،

"هذا أنا الجديد" صلاح الذي جعلتك تراقبني وأنا أستعد للانتقال إليه، لقد كان أمامي طوال الوقت ولم يكن هناك غيره، حتَّى ميلنر الذي يثق تمامًا في قدراتي، اِستنتج ذلك ولكنك كنت أنت دليل برائتي كصلاح، بحيلة ساذجة أوهمتك بأني

فشلت في الانتقال لجسده لسبب غير معروف، وبكذبة صغيرة وقصة قصيرة ينقصها الشهود صدقت أن هناك عرافة أنقذته من الشيطان، إنها حكاياتي أنا التي أنسجها في خيالي فأرويها كأنها حقيقة، لم أعرف أني كاتب وحكاء بارع على هذه الدرجة من الإقناع.

لعلك تتساءل كيف تلاعبت بالجهاز لتتشكك أكثر في مراد؟ ولماذا لم ينتبه حين زرتنا بشل مفاجئ، لعلك تتساءل ما الذي حدث لابنتي وجعلها تعيش في عالم آخر؟ لعلك تتساءل عن سر الصورة التي رسمتها؟

أعلم أن رأسك تزدحم بالأسئلة، سأمنحك الإجابات لا لسبب سوى أني سأمنحك فرصة جديدة، جزء جديد من حكايتنا عليك كتابته، وسيكون عنوانه "النداء الخفي"، لا تكابر وتعلم من أخطاءك! لأن مع كل خطأ جديد سيكون عقابك أكبر، في المرة الأولى حشرت أنفك فيما لا يخصك فجلبت على نفسك هذه المصائب وفي المرة الثانية لم تلتزم بطلباتي فكانت النتيجة قتل صديقك، تخيل حجم ما يمكنني فعله في المرة الثالثة.

لي أخ يلازمني طوال الوقت، يكره فكرة احتلالي أجساد البشر، يرى في ذلك اِعترافًا من جانبنا بتميزهم علينا، اِختار هو القطط ليسكن أجسادها، أخي هذا سريع الغضب، ذات يوم تشاجرنا بعنف، ركلته بقدمي، فنظرة لي نظرة معناها ستندم للأبد، لم تخيفني نظرته، ما الذي يمكنه فعله، لم أعر لهذا بالًا، أثق في قدراتي وأعرف أنه لن يؤذيني، ولكنه اِختار ابنتي لينتقم مني من خلالها، في أحد الأمسيات وبينما تلعب في غرفتها جاء من خلفها وأظهر وجهه الحقيقي لها، رأته في المرآة، منذ ذلك الحين وكلما شاهدت مرآة تأخذ في الصراخ، طفلة في السادسة فقدت عقلها وانمحي صوتها لمجرد رؤية وجه أخي، كان اِنتقامه بشعًا لا يمكن رده، منذ ذلك الحين بات يعلم كلانا بأنه من غير المستحب إيذاء أحدنا الآخر لأن الرد سيكون موجعًا، عاش معي في الفيلا، ولكن دون أن يظهر كثيرًا، بالكاد تشعر

بوجوده وغالبًا لن تراه، قط رمادي كبير سميك الفرو عيناه خضراوتان ولكنه يتمتع بخفة حركة وقدرة على التخفي لا بأس بها، كل من زارني في الفيلا يشعر كأن هناك من يراقبه، لا أنكر حضوره ثقيل حتَّى وإن لم تره، نور شعرت بوجوده وكذلك صلاح، حتَى مراد صديقك، وقت اِقتحامه للفيلا شعر بوجوده أثناء بحثه ثمَّ رآه رأي العين، فركله بقسوة لأنه شعر بخوف حقيقي حين باغته وجوده، أخي لم ينس، لقد تسبب في إحداث صدمة تلازم اِبنة أخيه مدى الحياة، تُرى ماذا سيفعل بمراد؟

وسوس لك أنه الشيطان الذي تبحث عنه وأنت صدقته، ذهبت لتتيقن بذلك الجهاز من صديقك مراد فكان أخي حاضرًا فأظهر لك المؤشر ما أظهر، حقيقة بقتلك لمراد اِنتقم كلانا لنفسه، اِنتقمت منك لعصيانك ما طلبت، وانتقم منه أخي ردًا على قسوته معه.

لقد منحته ميتة مبكرة وهذا عظيم، أنت لا تعرف كم هو مؤثر أن يموت المرء شابًا حتَّى لو كان وغدًا، سيبكونه بحرارة وهذا لن يحدث لو تجاوز السبعين من العمر، سيشعرون وقتها بأنه فعل ما يتوجب فعله.

حين زرتنا أنت وآدم علمت بنواياك فصرفتُ أخي بعيدًا، لذا لم تخرج بنتيجة من زيارتنا، أه كدت أن أنسى، أحييك على خيالك وفراستك، لقد اِنتقلت روح زوجتي حقًا لجسد نور كما ذكرت في الرواية، تلك التي عثرتوا على جثتها كانت نور في جسد زوجتي، تلك هى المرة الأولى التي أجرب فيها نقل روح بشري لروح أُخرى وكُلِل الأمر بالنجاح، لقد اِجتمع شمل الأسرة من جديد، أنا وزوجتي وهادي وجوليا، لقد غادرنا مصر، ولكن كما تعلم قادر على العودة لأجلك إن لم تنفذ ما أطلب، وقادر على إحضارك في أي زمان ومكان كما فعلت من قبل، لا أنصحك بالبحث عنا وحاول ألَّا تقترب مني مجددًا، سأتلاعب بك دومًا كما أشاء، وسأتلذذ

برؤيتك تعض أناملك من الندم، آسف يا أحمد ولكني أخذت عهدًا بأني لن أترك بشرًا يهزمني، وقبل أن تتحداني عليك أن تتذكر، أنت من قتل أخاه ودفنه، أنت من قضم التفاحة وليس أنا.

سأنتظر الجزء الثاني من العمل وستسميه النداء الخفي، وإن لم تفعل فانتظر كثير من المعاناة، ستعيش حتَّى ترى ذلك، أضمن لك هذا.

على الألم أن يتوقف قليلًا.
على الندم أن يدعه وشأنه.
على الموت أن ينشغل بآخر.

(30)

هل عض الأنامل من الندم يفيد؟ لو يعيد مراد سيقطعهم عن طيب خاطر ولكن مراد يجلس أمام أحمد يتساءل بحسرةٍ.

- لماذا يا أحمد؟ لماذا قتلتني؟

يغادر أحمد تلك الغرفة ويذهب لغرفة أخرى، يفر من صوت لا يسمعه سواه وصورة لا يراها غيره، ما إن يفتح نور الغرفة يجد مراد يجلس متربعًا على فراشه ويردد في أسى:

- أولادي يا أحمد! لماذا حرمتني منهم؟ هل تنتقم مني لإقحامك في هذا الأمر؟ كل ما أردته أن تساعدني، لم أقصد أن أورطك.

يبكي أحمد دموعًا تزحف على وجنتيه ببطء كما لو أنها تشق مجراها في وجهه، يغادر منزله، يسير في الشوارع لساعات، لا يشعر بقدميه ولا بالوقت من حوله، إنه يخشى العودة للمنزل، لا بد أن مراد في اِنتظاره، من يتحمل صحبة قتيل هو قاتله؟!

رحل إلى الإسكندرية، مدينته المفضلة، عاشق بحرها ومدمن هواها، لم تخذل مقاصده من زيارتها أبدًا، ولكن يبدو أنها مدينة شبح مراد المفضلة كذلك، بات رفيقه الذي لا يكف عن اللوم والعتاب، بات يحادثه، ويتجادل معه.

- ماذا ستفعل لو كنت مكاني؟

- لن أقتلك.

- ولكنك هددتني؟

- لم أفعل شيئًا أنت من ظننتني هو.

كيف يمكنه الدفاع عن نفسه؟ كيف يمكنه تبرير جريمة قتل؟ عقله سيُجن والندم لا يعرف رحمة، بمرور الوقت حاول إقناع نفسه بأنه ليس قاتلًا، ليس شريرًا، تمَّ حصاره داخل وضع لا يطاق فكان لا بد من البحث عن حل، وبدا له قتل من يتنكر في جسد صديق هو ذلك الحل، لقد تمَّ خداعه بشكل عجيب، بشكل ساحر، هكذا يتم الأمر، تتراءى لك حقيقة زائفة، تصدقها وتقتنع بها تمام الإقتناع فتقدم على حماقة أو جريمة ثمَّ سرعان ما تنزاح الغشاوة عن عينيك فترى الحقيقة التي لا تحتمل أي شك بالأدلة والبرهان فتندم. ولكن هل يكفي الندم؟

اِستطالت لحيته ونحف جسده وثار شعره اِحتجاجًا فوق رأسه، بات غريبًا حتَّى لنفسه، الهاتف اللعين لا يتوقف عن الرنين، الناشر يسأله عن أخبار روايته الجديدة، فيجيب بأنه لم يستقر على موضوعها بعد، يحاول تحفيزه بالطبعات الجديدة المتوالية لروايته، يطلب منه الحضور للحصول على حقوقه المادية، فيبدو أحمد غير متلهف لذلك أيضًا، يقلق الناشر "هل تعاقد مع دار أخرى لعمله الجديد؟"، يخبره بأنه سيرفع حصته من الأرباح في العمل الجديد، فلا يلحظ أدنى سعادة بهذه الزيادة، ولكنه متأكد بأن كل القراء في اِنتظار العمل الجديد.

بعد مُضي شهرين تلقى أحمد اتصالًا جديدًا من الناشر يستفسر عن العمل الجديد ليخبره أنه بصدد كتابة الجزء الثاني من صفقة الشيطان، يسعد الناشر أيما سعادة، يسأله عن موعد الانتهاء منها فيجيب أحمد بأنه لا يمكنه التحديد بعد.

قرر أحمد كتابة الجزء الثاني وإهداءه لروح صديقه مراد، ولإتمام كتابة هذه الرواية كان عليه الإطلاع على عدة كتب؛ لأنه يريد أن تكون النهاية سعيدة، لن

يسمح بأن ينتصر شيطان في النهاية، كان عليه أن يعرف كيف يمكن التغلب على شيطان بهذه القدرات، كيف يمكن قتله بلا رحمة، ليس هو وحده بل أخيه أيضًا الذي يعيش داخل قط.

على القراء أن يسامحوه لأنه لن يذكر هذه الطريقة إن وجدها داخل الرواية، سيحتفظ بها لنفسه حتَّى يحين اِستخدامها.

وبعد مرور عام ونصف ظهر هذا الخبر على كل المواقع والصفحات وتداوله رواد السوشيال ميديا:

" قريبًا صاحب الخيال الخصب أحمد رأفت يعود في الجزء الثاني من صفقة الشيطان".

بعدها بأسبوعين كانت روايته تحتل أرفف المكتبات وقوائم أفضل المبيعات، طبعات جديدة تتهيأ للصدور وكان جميع القراء يتساءلون فور دخول المكتبة أين رواية أحمد رأفت الجديدة "وقت مناسب للموت"؟

أمَّا أحمد نفسه فعلم أن الجولة الأخيرة باتت قريبة للغاية، لن يسمح أن ينهزم أو أن ينخدع أو يتورط في جريمة أخرى، لقد صار أحمد آخر غير الذي عرفه هذا الشيطان.

بات يرتاح أكثر للظلام، ويهوى الانعزال، ولا يجد في القتل غضاضة لكن قتل من يستحق. لم يسمها "النداء الخفي" لأنه ينتظر لقاءً أخيرًا.

إنه الآن يجلس في منزله الجديد تحت إضاءة حمراء خافتة للغاية بعد أن تجاوزت الساعة منتصف الليل بقليل ممسكًا بنسخة من روايته "وقت مناسب للموت" وأمامه يجلس معذبه " شبح مراد" الذي أبي أن يفارقه في مسكنه الجديد.

يجلس منتظرًا صلاح أو أيًّا كان الجسد الذي يستخدمه، يعلم أنَّه سيحضر لقد وعده، أمَّا أحمد فينتظره لينفذ وعده لمراد بالانتقام من هذا اللعين. يشعر

بقرب اللحظة، جسده كأنه صنم مثبت على الكرسي، دقات قلبه تتعالى، هناك حضور ثقيل يستشعره ولكن أحمد مستعد، يسبح ببصره في الأنحاء ومراد جالس مثله ينتظر.

هل هذا مواء قط الذي يتناهى إلى مسامعه؟ إنَّه بالفعل كذلك ولكنه مواء غاضب، أقرب لعواء، يتعاظم الصوت ويتضخم، تتبدل جلسة مراد أمام أحمد، يتلفت يمينًا ويسارًا في قلق بينما أحمد ثابت في مكانه، يتبادلان النظر في صمت قبل أن يبتسم مراد في ثقة، تتحول الابتسامة لضحكة ثمَّ لقهقهات متواصلة، ضحكات تتعالى وراء الأخرى ومواء يقترب للغاية، ودقات قلب أحمد تنتفض جراء ضحكات مراد، ماذا لو أنَّه ليس مراد؟ ألم تفهم بعد لماذا يصر على هذا العنوان "النداء الخفيّ"؟ لماذا أنت؟

أي نداء ولمن؟ نداء لك؟ ربما! شيطان يهوى الكتابة كيف يعود كاتبًا من جديد؟ أنت الإجابة، أنت الحل.

أيهما سيحسم هذا الصراع الأبدي بين إنسان محدود القدرات البدنية لكنه واسع الحيلة عظيم الذكاء وشيطان ذو قدرات لا محدودة مصاب بجنون العظمة؟ شيطان يراك ولا تراه.

الضحكات تتواصل بعنفٍ يثير الأعصاب وقط يظهر في آخر الرواق، قط رمادي ضخم إلى حد كبير يتحرك بخطى ثابتة واثقة، الجنون يخيم، والرياح تعصف كأنَّها تتضامن لإبراز ليلة شديدة الإثارة، والضحكات تتواصل وصداها يرج المكان، ضحكات شريرة مخيفة، وأحمد ينظر في ذهول، يلعن هذا الجالس المخادع أمامه، ضحكات لا تصدر إلَّا من شيطان، لكن أحمد عزم ولو اِضطر لدفع حياته ثمنًا لذلك ألَّا تنتهي هذه الليلة إلَّا وكلاهما أو أحدهما قتيل، سيقتله وإن اِضطر لقتل

نفسه بعدها كي لا يستحوذ على جسده. يتحسس بكلتا يديه سكينًا حادًا في جيب ومسدسًا محشوًا في الجيب الآخر

في حالة اِحتاج أحدهما أو كلاهما.

ليس هذا فحسب، لقد أعد أكثر من خطة، لعل أحدها تنجح وتعينه في بلوغ هدفه كي يضمن أن روحًا واحدة ستُزهق اليوم، سيكون هناك الليلة قتيلًا أو أكثر، قتيلًا خاسرًا دون عودة جديدة.

قتيلًا للأبد.

تمت

الكاتب فى سطور

- من مواليد القاهرة لعام 1983م, تخرج من كلية الألسن قسم اللغة الألمانية بجامعة عين شمس لعام 2004

- عمل بمجال الترجمة حيث قام بترجمة بعض الأفلام الوثائقية والأبحاث المتنوعة

- عمل بمجال التدريس كمدرس للغة الألمانية

- والآن يعمل SOC Analyst بشبكة محمول (WE)

- شارك بعام 2013 فى كتابين جماعيين بعنوان

- (شيزوفرينيا الحب) - (1+99)

فى عام 2014 شارك فى ثلاثة كتب جماعية بعنوان

- سكر بنات – خوف - 3 فاز

- أولى أعماله الروائية صدرت عام 2016 بعنوان (سجن الموتى) عن دار (ن للنشر والتوزيع)

- ثانى أعماله الروائية صدرت عام 2018 بعنوان (حفلة دم) عن دار (ن للنشر والتوزيع)

يمكن التواصل مع الكاتب عبر حسابه التالي على الفيس بوك

https://www.facebook.com/ahmed.osama.792

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007